



مجلة كلية الآداب

المجلد الرابع والثلاثون

١٩٨٦

مجلة سنوية محكمة تصدر ... أول أكتوبر ١٩٨٦ .





مجلة كلية الآداب

مجلة سنوية محكمة تصدر أول أكتوبر

عند التحرير

من مجلس الإدارة :

رئيس التحرير : د. محمد عبد الله

رئيس التحرير :

الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور أحمد عبد الحامد

الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الله

الأستاذ محمد يوسف

الأستاذ محمد حسين الحويش

الأستاذ ليلى مطر

رئيسة مجلسات الأبحاث للكلية

الأستاذة المحترمة وكلاء الكلية لتدريس

اللغة والحديث كلية الآداب

القطيف الاسكندرية ٢٠٠٢ م

صاعد : ٤٩٣٥٧٣٧ - ٤٩٣٥٧٣٥

إكس : 34467 UNIVY UTH

المختبرات

٧ في المصوغ من الصرف ... حياء ، وإعترابه

د محمد عبد الله حر سلومة

١٦ عروس الخنثى ما لها وما عليها

د احمد سليمان بالوت

المحاربون وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في مدينة

٦٥ إمسكطرية في العصر العثماني

د صلاح احمد مردي

٢٧ بيت الناصر يوسف والنور

د سعد بن محمد حفيظ الفاضل

إمام البيت عبد الله بن حمزة

وكتابه زيد الأمان

١٤٧

د عبد الفتاح احمد فراد

حالة القلق ومحنة الفلق لدى عبيدات سعودية ذهانية

١٧٩

وعصابية

د احمد محمد عبد الفتاح

د احمد حويش حفظ



في المنوع من الصرف

حده ، وإعرابه

د . محمد عبد الله جبر سلومة

نقول النحويون العرب موضوع « مالا يتصرف من الأسماء » منذ تبهّروا إلى ما يميز هذا النوع من الكلمات من خصائص صرفية في التصيغ وخصائص إعرابية في التراكيب .

يجد في « كتاب » ميبويه حراراً بينه وبين أسناده الخليل حول صيغة « أفعل » إذا كانت علماً أو وصفاً وتعليل منع صرفهما ، وما ينحرفهما من التصغير فتصرفان لأجله^(١) .

ويست ليونس البصرى قولاً في صرف « نهشل » و « ثولب »^(٢) .

وينقل رواية للأخفش الأكبر أرى الخطاب في تذكر كلمة مختومة بألف التأنيث المقصورة^(٣) .

ويذكر توضيحاً للخليل لغنى « ثثنى » و « ثلاث » وإعرابهما مأخوذاً من قول أنى عمرو بن العلاء^(٤) .

ويروي عن يونس قول ابن أبي اسحاق وأنى عمرو في مع صرف العند المؤنث المنقول من مذكر^(٥) .

(١) ميبويه : الكتاب ج ٢ ص ٢ ط ١٣١٧ . وانظر سائر الناب

(٢) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١١ ، ١٢ .

(٣) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١٧ .

(٤) السابق : ج ٢ ص ٣ وانظر ص ١١ ، ٢٨ .

(٥) السابق : ج ٢ ص ١٣ .

وينقل رأى عيسى بن عمر في صرفه أيضاً (٦٧).

ولابد أن ذلك كان امتداداً لبحث اللغويين من الأجيال السابقة وملاحظاتهم ، وأنه كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني الذي كان هو الباعث على النشاط اللغوي ، فقد اهتم سيبويه كذلك بأن يتجمل قول بعض المفسرين إن قوله عز وجل : ﴿ اهبطوا مصر ﴾ (سورة ٦١) بغير تنوين وإنما أراد « مصر » بعينها (٦٨).

ويبدو أن اصطلاح « لا ينصرف » كان قد استقرّ قبل أن يدون سيبويه كتابه ، حتى إنه يستعمله بما يدلّ على ذلك ولم يثبت له حدّاً ولم يصنع ما صنعه في الأبواب المتقدمة من الكتاب حيث كان العنوان - أو الترجمة - يستغرق عدداً غير قليل من الأسطر يتضمّن محاولة للتعريف ولا يتضمّن الاصطلاح الذي استقرّ فيما بعد (٦٩).

بل إننا نجد اصطلاح « صرف مالا ينصرف » في الأبواب الأولى من الكتاب ففي « باب ما يحتمل الشعر » (٧٠) نجده يقول : « اعلم أنه يجوز في الشعر مالا يجوز في الكلام من صرف مالا ينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها أسماء كما أنها أسماء » ولم يستشهد لذلك ، فهذا دليل على أنه يستخدم مصطلحاً مستقراً متداولاً يعني ذكره عن التمثيل .

وحدير بنا أن ننظر في معنى « الصرف » في هذا الموضوع من الدرر السحوي . وأول ما يصادفنا في كتاب سيبويه مما يعين على فهم معنى « الصرف » قوله : « واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض ، فالأفعال أثقل

(٦٦) السابق : ج ٢ ص ٢٣ .

(٧٧) ينصرف : باب الفاعل الذي لم يجره فعله إلى مفعول ، والمفعول الذي لم يتعد إلى فعله فعله فاعل ج ١ ص ١٣ - ١٤ وهو بوجه عام يتناول الفعل اللازم والفعل المتعدي ، والمبنى للمجهول و « كان » وأسوانها .

(٨٨) ج ١ ص ٨ . وانظر قوله : « أنكل وأكلب ينصرفان في النكرة » ج ١ ص ٦ . وقوله : « أكثر الكلام ينصرف في النكرة » ج ١ ص ٧ . وقوله : « وجميع مالا ينصرف ... ما يتجمل في المنصرف » ج ١ ص ٧ .

من الأسماء ، لأنَّ الأسماء هي الأولى وهي أشدَّ تمكُّناً ، فمن ثمَّ لم يلحقها تنوين
ولحقها الجزم والسكون ... واعلم أن ما ضارِع الفعل المضارع من الأسماء في
الكلام وواقعه في البناء أُجرى لفظه مُجرى ما يستقلون ومنعوه ما يكون لما
يستحقُّون وذلك نحو : أبيض وأسود وأحمر ، فهذا بناء أذهبُ وأعلمُ ، فيكون
في موضع الجرِّ مفتوحاً ، استقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء «^(٩)» .

ثمَّ قوله : « واعلم أن التكرة أخفَّ عليهم من المعرفة وهي أشدَّ تمكُّناً ...
لنَّ ثمَّ أكثر الكلام ينصرف في التكرة »^(١٠) .

ثمَّ قوله : « واعلم أن الواحد أشدَّ تمكُّناً من الجمع ... ومن ثمَّ لم يصرفوا
ما جاء من الجمع على مثال ليس يكون للواحد نحو : مساجد ومفاتيح »^(١١) .

ثمَّ قوله : « واعلم أن المذكر أخفَّ عليهم من المؤنث ... فالتنوين علامة
للأمكن عندهم والأخفَّ عليهم ، وتركه لما يستقلون ، وسرف نبيِّن ما
ينصرف وما لا ينصرف إن شاء الله »^(١٢) .

ثمَّ قوله : « وجميع ما لا ينصرف إذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف
إحز ، لأنها أسماء أدخل عليها ما يدخل على المنصرف ، وأدخل فيها الجر كما
يدخل في المنصرف ، ولا يكون ذلك في الأفعال ، وأمينوا التنوين »^(١٣) .

ثمَّ قوله : « فجميع ما يُترك صرفه مضارع به الفعل ، لأنه إنما فُعل ذلك به
لأنه ليس له تمكُّن غيره ، كما أن الفعل ليس له تمكُّن الاسم »^(١٤) .

من هذه النصوص يمكن أن نفرق بين أمرين : أحدهما يتصل بصيغة
الكلمة ، والآخر يتصل بحكمها الإعرابي في بعض التراكيب .

أما ما يتصل بالصيغة فهو أمر التنوين ، وهذا - في ظني - هو
« الصرف » الذي يعنيه سيويه : فكل مقارناته التي يرسم من ورائها إلى
تعين « المنصرف » و « غير المنصرف » هي بين صيغ : التكرة في مقابل

(٩) - ج ١ ص ٦ ، وانظر في النصوص نفسه : ج ٢ ص ٢ ، ٤ ، ٦ .

(١٠) - ج ١ ص ٢٧ ، وانظر : ج ٢ ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ .

المعرفة ، والمفرد في مقابل الجمع ، والمذكر في مقابل المؤنث ، والاسم من حيث هو في مقابل الفعل من حيث هو ، وصيغة الاسم في مقابل صيغة الفعل .

فالأطراف الأولى لى هذه المقابلات هي الأمكن والأخف وهي التي تستحق التنوين ، والأطراف الأخر ليست الأمكن ولا الأخف فمُنِعَت التنوين

وأما ما يتصل بالحكم الإعرابي فهو أن مالا ينصرف « يكون في موضع الجرّ مفتوحاً » « وإذا أدخلت عليه الألف واللام أو أضيف انجرّ » بمعنى بالكسرة .

أستطيع أن أخلص من هذا إلى أن « الصرف » عند سيبويه يعني التنوين لا الجرّ بالكسرة . وقد أوضح ذلك في استشهاده بيت جرير حيث قال : « وقد قال الشاعر فصرف ذلك ولم يصرفه :
(بمعنى العلم المؤنث الثلاثي الساكن الوسط)

لم تطفح بفضل منزهها دعدو ولم تُغد دغد في الثلب

فصرف ولم يصرف »^(١١).

وهذا ما أثبتته السيوطي في « الجمع » في تقسيمه للتنوين فقد قال في تنوين التمكن وهو القسم الأول :

« فالصرف هو تنوين التمكن الذي إذا حُرِّم الاسم لمشايبته الفعل قيل : مُنِع الصرف »^(١٢).

وإن يكن سبق أن أثبت للممنوع من الصرف تعريفين ، أحدهما : أنه ما سلب منه التنوين ، والآخر : أنه ما سلب منه التنوين والجر معاً^(١٣) . بناء على

(١١) - ٢ ص ٢٢

(١٢) الجمع ٧٩/٢ طبع السعادة ١٣٢٧ . يمكن قراءة « حُرِّم » : حُرِّد منه .

(١٣) السابق : ٢٤١ .

الاختلاف في تعريف الصرف « هل هو التنوين ؟ ، أو هو التصرف في جميع
المجاري ؟

وابن مالك في أول باب « مالا ينصرف » يقول : « الصرف تنوين » ...
ويعقب عليه الأشتوني في شرحه على الألفية بأن : « ما ذكره الناظم من أن
الصرف هو التنوين هو مذهب المحققين ، وقيل : « الصرف هو الجر والتنوين
معاً » وبسط الصبان هذا القول ناقلاً عن أبي إسحاق أنه مذهب المحققين لوجوه :
مها أنه مطابق للاشتقاق من الصرف الذي بمعنى الصوت إذ لا صوت في آخر
الاسم إلا التنوين ، ومنها أنه متى اضطرَّ شاعر إلى صرف المرفوع أو المنصوب
نونه وقيل صرفه للضرورة مع أنه لا جرُّ فيه فأطلقوا على مجرد تنوينه
« صرفاً » .

وقد أوضحتُ رأيي سببه أن الصرف هو التنوين ، وفصلت ما بين قَدِ
التنوين ، وهو راجع في الأساس إلى خصائص صرفية متعلقة بالصيغة ، والجرُّ
بالمفتحة وهو مظهر من مظاهر التغير الإعرابي .

ولنا أن نسأل - رغبة في المعرفة - عن العلاقة بين هاتين الظاهرتين فقد
التنوين ، والجرُّ بالمفتحة .

أشير أولاً إلى أن ظاهرة التنوين في العربية لها نظائر في عدد من اللغات
السامية .

وتقدّم لنا المقارنات اللغوية نماذج من هذه الظاهرة التي يجوز لنا أن نظنَّ أنها
كانت موجودة فيما يعرف باسم اللغة السامية الأم أي الأصل الافتراضي للغات
السامية المعروفة ، وإن تكن قد اتخذت مسارات مختلفة وصوراً غير متطابقة .

وقد اهتمّ دارسو اللغات السامية بعقد المقارنات بينها فيما يتعلق بالظواهر
الصرفية والنحوية ، وكان من بين ما تبّهوا عليه وجود ظاهرة التنوين في العربية
وظاهرة مقابلة لها هي ظاهرة التميم - أي وجود الميم بدل النون - في اللغة
العربية الجنوبية القديمة ، وفي اللغة البابلية الآشورية وتعرف بالأكادية - وقد
عدهما بروكلمان علامتين للتكبير ، ورأى أن الميم أصل وأن النون في العربية

متحوّلة عنه^(١٤) ويشير أيضاً إلى وجود تميم في العربية والحبشية والآرامية في بعض الظروف^(١٥).

وقد قدم راين خلاصة للملاحظات علماء الساميات في دراستهم لهذه الظاهرة ، نعرضها فيما يلي :

• في العربية الجنوبية :

الأسماء المعرّقة بعلامة التعريف وهي النون في آخرها أو التوسين لا يحذفها تميم ، وأما الأسماء التي تخلو من علامة التعريف فقد يلحق بعضها تميم^(١٥).

ووضح بيستون^(١٦) أن الحالات التي لا يُثبت فيها تميم في اللغة السبئية هي بدائل للصيغ المعرّقة بعلامة التعريف : وقد وقع هذا في الأسماء الآتية :

- ١ - أسماء الجهات الأصلية الأربع .
- ٢ - أسماء فصول العام .
- ٣ - أسماء الأجناس .
- وأصناف جنب Gibb - فيما يقل راين^(١٧) مجموعة أخرى عم ذات تميم في السبئية هي :
- ٤ - الأعلام التي على وزن أفضل .
- ٥ - الأسماء التي على صيغة صرفية مبنومة بالنون (= أي الزائدة) .
- ٦ - بعض صيغ جموع التكسير .
- ٧ - بعض تراكيب العطف بين اسمين .

(١٤) C. Rabm - Die Diphthong-Dehnsion, Arabie & Islamische Studien In Honor of G. H. Rieu, I. Maktila, Bonn, 1965, p. 553.

(١٥) C. Rabm - Die Diphthong-Dehnsion, Arabie & Islamische Studien In Honor of G. H. Rieu, I. Maktila, Bonn, 1965, p. 553.

(١٦) A.F.L. Beason - A descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, Louvain, 1961, p. 31.

- ٨ الأعلام المركبة تركيب المخرج .
- ٩ الأعلام التي على وزن تَفْعَل .
- ثم أضاف مولر إلى كل أولئك :
- ١٠ الألقاب الإلهية والبشرية .

• في الأكدية القديمة :

الأسماء التي لا يلحقها تميم لها مواقع نحوية واضحة ، منها أربعة تشبه أربع حالات في العربية بدون تنوين (ولكنها ليست ممنوعة من الصرف) وهي :

الإضافة الظرفية نفى الجنس ابتداءً^(١٧٦) .

وهناك أيضاً بعض الأنواع لا يلحقها التميم ولها خصائص معنوية هي :

- ١ أسماء الأعلام ، وخاصة المركبة والأحجية .
- ٢ أسماء الشهور .
- ٣ ألفاظ الأعداد والمقاييس .
- ٤ بعض المركبات الظرفية .
- ٥ بعض المركبات المزدوجة^(١٧٨) .

ولكن لا شيء من هذه الأنواع ثبت على حالة الخلو من التميم .

وإضافة إلى ذلك نجد في الأكدية صيغاً مُوغلة في القديم تخلو من التميم ونسبى بفتحة لا علاقة لها بحالة النصب ، وبعض هذه الصيغ تمثل الأعجاز من أسماء مركبة ، وبعضها أعلام^(١٧٩) .

(١٧٦) يقصد هنا : الظروف ليلية . واسم « لا » التامية للجنس في بعض أنواعه . والنادى في بعض أنواعه .

(١٧٨) لاحظ في هذه الأنواع أن بعضها يوافق بعض ما في لغة من المنوع من الصرف . وهو : الأعلام المركبة تركيب المخرج ، والأرقام الأعجمية وبعضها ، وفق بعض ما في لغة من النباتات . وهو : الأعداد ليلية ، وبعض الظروف . وبعض المركبات مثل : صباح مساء .

C. Robin : Ibid. p. 355.

(١٧٩)

وهنا أذكر أنّ الأكادية كانت تستخدم ثلاث علامات إعرابية كالتي
تستخدمها العربية :

الضم للرفع - والفتح للتصيب والكسر للجر . ويفترض علماء
الساميات أنّ اللغة السامية الأم كان فيها هذا النظام الإعرابي ، وقد بقيت آثار
منه في العبرية والحيشية والآرامية^(٢٠).

● في اللغة العمورية :

ليس في نقوش اللغة العمورية أسماء غير الأعلام ، ولها ثلاث حالات
إعرابية ، ولكن بعض الأسماء بالإضافة إلى كونها معرفة لها حالتان أخرىان ،
إحداهما بدون حركة إعرابية ، وفي الأخرى تنتهي بالفتحة^(٢١).

● في اللغة الأوغاريتية :

يتضح من نقوش اللغة الأوغاريتية أنه قد كان في تلك اللغة ثلاث حالات
إعرابية كلّها بغير تميم . وقد وُجد فيها أربعة أنواع من أسماء الأعلام وفعت
مجرورة منتبهة بالفتحة ، ثلاث منها تناظر بعض الممنوع من الصرف في
العربية ، وهذه الأنواع الأربعة هي :

- ١ - الأعلام المختومة بعلامة التأنيث .
- ٢ - الأعلام المختومة بألف ونون زائدتين .
- ٣ - الأعلام التي على وزن فَعْل .
- ٤ - الأعلام والألقاب الخاصة بالمعبودات^(٢٢).

(٢٠) بروكلمان : فقه اللغات السامية من ١٠٠ - ١٠٦ .

C. Rabin : Ibid, p. 356.

(٢١)

• في اللغة الحبشية :

أما اللغة الحبشية فقد ضاعت بها الضمة علامة الرفع ، والكسرة علامة الجر ، ولم يبق سوى الفتحة علامة النصب^(٢٢).

• في العربية والآرامية :

ليس في العربية ولا الآرامية تغير إعرافى .

وقد قدم راين قائمة بالحالات التي يكون فيها الاسم غير مخنوم بالتنوين أو التميم ، أو يكون فيها مفتوح الآخر . ويشمل هذا : المنوع من الصرف والمختل على الفتح في العربية ، ومن تلك القائمة يبين وجود المختلين بشكل غير مركز في الحبشية ، والأوغاريتية ، والعربية الجنوبية . ويتركز فقد التميم بصورة واضحة في الأكادية ، وفقد التنوين مع الفتح في العربية^(٢٣).

وأشد النتائج وضوحاً أنّ في اللغات السامية - سوى العربية - حالات متفرقة لا يربطها نظام ، يفقد فيها بعض الأسماء التميم لخصائص متعلقة بالدلالة ، أو الصيغة الصرفية ، أو التركيب النحوي والصيغة الصرفية معاً ، ولكن اللغة العربية قد وضعت الخصائص اللغوية السامية العامة في نظام متنسق ، واهتمت بالخصائص المتعلقة بالصيغة الصرفية اهتماماً قوياً في هذا المجال ، وقللت من الخصائص المتعلقة بالدلالة^(٢٤). وهذا على النقيض مما نلاحظه إذا أوغنا في التاريخ فإنّ الخصيصة المتميزة لمنع الصرف في البدايات الأولى للغات السامية بل قد تكون الخاصية الوحيدة هي الخاصية المتعلقة بالدلالة ، والقسم الرئيسي من الأسماء المنوعة من الصرف لهذه الخاصية هو أسماء الأعلام^(٢٤).

C. Rabin : Ibid, p. 559.

(٢٢)

C. Rabin : Ibid, p. 559.

(٢٣)

وهذا ما أشار إليه الأحمري في شرحه على الألفية بعد أن ذكر الخطأ الشيع فتح الصرف فقال : « الصيغة هي العربية والوصف هو « دها أعطى » فنعدن والتأنيث والضمحة والتركيب والجمع الشاهي وورن الفعل وريادة الألف والتنول خصائص لغوية .

C. Rabin : Ibid, p. 560.

(٢٤)

وقد استتبعت بغيره هؤلاء العلماء إلى ظاهره فقد اتهموا والنسب أن يصنوا إلى المنوع من الصرف بمفهومه في النحو العربي كلمات أخرى سبقت الإشارة إليها هي في نصيف النحو العربي من المنبئات لا من المنوع من الصرف .

وواقع الأمر أنهم في ذلك موقوفون ؛ فقد تناول بعض كتب النحو العربي المتقدمة في التأليف ظاهرة المنوع من الصرف وألحق بها جانباً من المنبئات ؛ من ذلك ما نجد عند سيويه ؛ فإنه تحت عنوان : « هذا باب ما ينصرف ومالا ينصرف »^(٢٥١) تناول ما يدخل في المنوع من الصرف ثم ألتحق به « ما جاء معدولاً عن حذره من المؤنث »^(٢٥٢) وهو صيغة « فعان » إذا كانت اسم فعل ، أو سبأ لمؤنث ، أو وصفاً لمؤنث أو مصدرأ ، أو غلما لمؤنث ، وهذا كله من المنبئات ، وإما دعاه إلى ذلك أن ينبي تميم يعربون « فعان » علماً لمؤنث إعراب مالا ينصرف^(٢٥٣).

ثم تناول الظروف المهمة غير المتمكنة^(٢٥٤) ، وهي من المنبئات ، ثم تناول المركبات المرجحة من الأعلام غير المنصرفة . وألحق بها المركبات الذمية كالعناد المركب^(٢٥٥) ، وبعض أسماء الأفعان مثل نخيئل^(٢٥٦) وبعض الظروف التركبية مثل : يوم يوم ، وصباح مساء ، وبين بين^(٢٥٧) . ثم عاد مرة أخرى إلى « مالا ينصرف من الأسماء المعتنفة الآخر »^(٢٥٨) ، ثم انتقل إلى الحكاية^(٢٥٩).

(٢٥١) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٢) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٣) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٤) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٥) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٦) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٧) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٨) - ص ٢٠٤ .

(٢٥٩) - ص ٢٠٤ .

وقد فعل أبو اسحاق الزجاج مثل ما فعل سيويه ، فقد خصص كتاباً بعنوان « ما ينصرف ومالا ينصرف »^(٣٤) تناول فيه خصائص المتنوع من الصرف ، وإعرابه ، ثم تطرق إلى المعدول على وزن فعّال^(٣٥) كما فعل سيويه ، ثم تناول الأسماء المبهمة وهي أسماء الإشارة ومعظمها من المبيئات^(٣٦) ثم تناول الظروف المبهمة وبعض أسماء الأفعال وهي من المبيئات^(٣٧)، ثم المركبات التي لا تنصرف والمركبات المبنية^(٣٨)، وإعراب المنقوص^(٣٩) وختم الكتاب بالحكاية^(٤٠).

وقد أورد ابن جنى^(٤١) مناقشة لقول يرى أصحابه أن البناء خطوة تلي منع الصرف ، ولعل صيغ سيويه والزجاج وابن جنى يشير إلى ما لاحظته عنفاء بعد ما مر أن مع الصرف البناء بينهما ارتباط وتماثل في تكوينها مخالفين لحالة الإعراب التي سئل في تعاقب العلامات الثلاث

ويمكن^(٤٢) أن يُفسر جزً مالا ينصرف بالفتحة إذا تجرد من الإضافة والتعريف بالحرف بأنه في مرحلة من مراحل حياة اللغات السامية كانت هناك أقسام ثلاثة للأسماء

فمن تنوين بالتحريك أو التنوين ، وآخر بغير تحريك أو تنوين ينتهي بفتحة في جميع الأحوال ، وثالث مفتوح دائماً ولكن للفتح فيه وظائف معنوية كالتأكيد في العربية ، أو وظائف نحوية كالتعريف في الآرامية والإضافة في الحثية ، ثم ثلاثى التحريك ، وشأ نظام إعرابي فيه الضم والفتح والكسر بغير تنوين ويقابله

(٣٤) بتحقيق هادي محمود زراعه ، طبع مجلس الأمر لمتنوع الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧١

(٣٥) ما ينصرف ٧٢

(٣٦) ما ينصرف ٧٩

(٣٧) ما ينصرف ٨٧

(٣٨) ما ينصرف ١٠٢

(٣٩) ما ينصرف ١١١

(٤٠) ما ينصرف ١٢٢

(٤١) ابن جنى ، خصائص ١٧٩: ١٨ ، غير أن هذا هو المختص ١٩٥٢

ما آخره مفتوح دائماً ، ولكن العربية احتفظت بالتنوين للمعرب وجعلت لبعض ما آخره فتحة علامة الرفع بالضممة فكان ما يُعرف بالمنوع من الصرف .

وبهذا التفسير الذي رجّحه راين يكون المنع من الصرف ظاهرة عربية محصية يعود تفردُها بها إلى أنها تجمع عناصر متعددة لم تجتمع في اللغات السامية الأخرى ، وإنما هي متوزعة بينها^(٤٢).

وهذا الرأي الذي يجعل المنع من الصرف خطورة في طريق إعراب ما كان غير معرب بإعطائه علامة الرفع ، ثم بإعطائه علامة الجر في حالتي التعريف بالحرف والإضافة يصطدم بالتصور الذي يُستشف من الرأي القائل بأن المنع من الصرف خطورة في طريق سلب التصرف الإعرابي بخذف التنوين ، ثم منع الكسرة في حالة التجرد من الإضافة والتعريف ، وأن البناء هو الخطوة التالية ، وقد سبق أن أشرتُ إلى هذا القول الذي ناقشه ابن جنى .

ويصطدم هذا الرأي أيضاً بما انتهى إليه الاستعمال اللغوي لدى عامة المتحدثين والكتاب بالفصحى من عدم إجراء أسماء الأعلام أبياً كانت : عربية وأعجمية ، مذكرة ومؤنثة ، ما حَقَّ التنوين منها وما لا حَقَّ له فيه . فكأنما انتهت إلى حالة من البناء على السكون لا هدف منها سوى التخلص من علامات الإعراب .

فهل أتجه الاستعمال اللغوي في خط واحد من الإعراب إلى منع الصرف ثم إلى البناء ؟

أو أنه العكس بدلاً من أن يتجه إلى إعراب غير كامل ثم إلى إعراب كامل كما نجدُه في صرف مالا ينصرف في الضرورات في الشعر ، أو لأسباب بلاغية في القرآن ؟

د . محمد عبد الله جبر سلومة

عروض الخليل ما لها وما عليها

د. أحمد سليمان يافوت

العروض لغة الناحية ، وهي مؤنثة^(١) ، قال الشاعر :

فإن يعرض أهر العباس عني

ويرجب لي عروضاً عن عروضي^(٢)

ولهذه سميت الناقبة التي تعترض في سرها عروضاً ، لأنها تأخذ في ناحية دون الناحية التي تسلكها ، وقيل هي مكة والمدينة شرفهما الله تعالى وما حولهما واصطلاحاً : ميزان الشعر ، وسمى كذلك لأن أشعر يعرض عنه ، فعرف به المترن من المنكسر ، أو لأنه من ناحية من نواحي العلوم ، أو لأن الخليل ألهم معرفتها بمكة وهو أيضاً اسم لفجزء الأخير من النصف الأول (من البيت) سالماً أو معيراً^(٣) .

ولقد اعتمد الخليل بن أحمد في وضعه عروض الشعر على عنصرين أساسيين العنصر الأول : الحرف المتحرك ، والعنصر الثاني : الحرف الساكن ، ومن هذين العنصرين كون الأسباب والأوتاد ، ومن الأسباب والأوتاد تكونت الشفيلة ، ومن الشفيلات تكون البيت من الشعر ومن الأبيات تكونت القصيدة .

وهذه التسميات مستمدة من البيعة العربية ، يقول أبو بكر الشريفي « وأعلم أن العرب شبهت البيت من الشعر بالبيت من الشعر ، لأن بيت الشعر يتجوى على ما فيه كاحتواء بيت الشعر على معانيه ، فسموا آخر جزء في انشطر الأول من البيت عروضاً تشبيهاً بعارضة الخباء ، وهي الخشبة المعترضة في وسطه ، وسمى آخر جزء في البيت ضرباً لكونه مثل العروض مأخوذاً من

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٤٦ مادة عرض .

(٢) الأغاني ج ١٣ ص ١٦٢ ط دار الكتب .

(٣) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٤٦ مادة عرض ونتاج العروض للبيداني ج ٥ ص ٤٠ .

ضرب الذي هو النحل ، وشبهوا الأسباب والأوتاد التي تتركب منها بأسباب الحياء وأوتاده لثبات الأوتاد واضطراب الأسباب في أكثر الأصوات بما يعرض فيها من الزخاف والاختلال»^(٤١).

إذن والتفصيل هي الوحدة الأساسية في نغم الشعر العربي في عروض الخفيف وهي مكونة من عنصرين : المتحرك وساكن فيما المتحرك وما الساكن»^(٤٢).

إن هناك اضطراباً كبيراً في تعريف الساكن والمتحرك ، وهي توجه المعطلحين Consonant و Vowel بالإنجليزية Conson و Voyelle بالفرنسية ، وقد فصل الدكتور محمود السمران هذا الاضطراب تفصيلاً لا يحتاج معه إلى إعادته^(٤٣).

وربما كان هذا الاضطراب في التعريف ومن ثم في الترجمة راجعاً إلى أن نسبة الحرف في كل من الإنجليزية والفرنسية تختلف عنه في العربية ، فالحرف في العربية :

(أ) إما أن يكون متحركاً يحدى الحركات الثلاث : الفتح والضم والكسرة مثل الفاء في كلمة فحة وفرن ويتفتح .

(ب) وإما أن يكون ساكناً : فلا يأخذ واحدة من هذه الحركات ، بل ينسب به حالياً منها كالضاد في مصطنعي ، والسين والحاء في استخراج .

(ج) وإما أن يكون من حروف المد وهو ما اصطلاح على تسميتها بحروف الثنين ، وهي الألف في مثل ماء ، والواو في مثل نور ، والياء في مثل مير .

وكس انقسامه بخلاف في الإنجليزية والحرف عندهم :

(أ) إما أن يكون Vowel ، أي حرف مد وحروف المد هي :

U , O , I , E , A

(ب) وإما أن يكون Consonant ، أي لا يمد ، بل يكون له نقطة نطق محددة

(٤١) معارف في أصول اللغة لأبي بكر الشمراني ص ١٢ تحقيق الدكتور محمد رشيد الفايه بيروت

عبد الوهاب

(٤٢) عبد الوهاب ص ٢٦ - ٢٢ في المعارف ١٩٦٤

لا يتعداهما ، وعند النطق به يحدث لتيار النفس نوع من الإعاقة أو الإغلاق ثم الإنطلاق^(٦).

ومثال ذلك الحرف s والحرف r في كلمة street والحرف b من الكلمة Subject وعلى ذلك فمن السهل أن نقول إن أصوات اللين عندما إنما هي vowels ومن السهل أيضاً أن نقول إن المتحرك عندما هو Consonant مضافاً إليه حركة غير ممدودة أي أن يكون متبوعاً أو قبل - مصحوباً بحركة قصيرة (فتحة أو ضمة أو كسرة) مثل ك ، ك ، ك ، و مثل أي جزئين مصطحبين في الفعل كتب : الكاف مع الفتحة التي تصاحبها أو التاء مع الفتحة التي تصاحبها ، أو الياء مع الفتحة التي تصاحبها .

والسؤال الآن : هل نضع الحرف الساكن عندما ؟ أي الذي له نقطة نطق محددة (Consonant) كالصا د في (مصباح) - هل نضعه بإزاء حرف المد vowel أي أنه مساوٍ له ؟ الإجابة المستندة على تعريف هذين المصطلحين تنفي هذه المساواة ، فلقد عرفنا مصطلح الساكن consonant بأن له نقطة نطق محددة ويحدث لتيار النفس عند النطق به نوع من الإعاقة أو الإغلاق ثم الإنطلاق ، في حين أن الـ vowel يمكنه فهو يمتد بمجهور يصدر دون إعاقة لتيار النفس فكيف نساوي بين الصا د وألف المد في (مصباح) ؟

ونكنا في هذا المجال مرتبطين بالعروض (Meters) وارتباطنا هذا يجعلنا نجيب عن السؤال السابق بنعم ، ونساوي بين الصا د والألف في مصباح ، وذلك لأننا في العروض نساوي بين الساكن والمد من حيث القيمة الصوتية وقد انضبطت جميع تفاعيل العروض على أساس هذه المساواة بحيث إننا لو وضعنا الساكن في غير موضع الـ vowel لانهدمت التفاعيل كلها من أساسها ، والتفاعيل العروضية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بانتظام الإيقاع ، واستقامة الموسيقى ، الأمر الذي يؤكد أن الساكن إنما هو في عداد الـ vowel عروضياً ،

بمعنى أننا إذا رمزنا للمتحرك بشرطة (-) والساكن بدائرة صغيرة كان رمز صباح^(٧) (- ○ ○ -) فتساوى الصاد مع الألف .

والذى يدل على ذلك أنه من الممكن أن يحل محل كل حرف من حروف المد حرف ساكن ، فمن ذلك قول الشاعر : (من بحر الرمل) :

أضحت الدار تقاراً موحشات عافيات دارسات خاليات^(٨)

إذ نجد أن الضاد الساكنة في (أضحت الدار) هي ألف فاعلاتن الأولى ونجد أن الواو في (موحشات) هي ألف فاعلاتن الأولى ، ونجد أن الألف في (عافيات) وفي (دارسات) وفي (خاليات) هي ألف (فاعلاتن) الأولى والثانية .

وفي قول شوقي :

رعد الشائر إلا نسورة في ميل الحن لم تحمد جذاهما^(٩)

نجد أن الياء في (في ميل ال) هي الألف في فاعلاتن الأولى والثانية ونقول إن ذلك في العروض ليس غير ، حتى لا يظن أننا نطلق القول بأن الساكن إنما هو من الحروف العائنة vowel على وجه العموم .

وقد وقع القدماء وبعض المحدثين في هذا الخطأ ، ألا وهو المساواة بين الساكن وحرف المد ، وكنت أظن أني أول من تنبه إلى ذلك حتى قرأت كتاب « دراسات في علم اللغة » للدكتور كمال بشر ، فوجدته قد فصل هذا الموضوع تفصيلاً ، على أني كنت قد قرأت هذا الكتاب منذ سنوات ويبدو أن أثره العلمي بقي في ذاكرتي دون أن يبقى المرجع .

(٧) الحاء مضمومة توتة توتة .

(٨) من تاء المد الكائن في العروض والقوال الثموري ص ٨٤ تحقق الحساب حسن عبد الله الخالعي - بغداد - دون ترج .

(٩) من الشواهد ص ٢٨ من ١٧٨ التجارة الكبرى ١٩٢٧ .

لقد عند الدكتور بشر المواضع التي ساوى القدماء فيها بين الساكن وحرف المد^(١٠١) منها :

١ قول الخضرى « إن (إذا) مبنية على سكون مقدر منعه السكون الأصلي الذى فى الألف »^(١٠٢)، فهذا قول صريح بأن الألف فى (إذا) سكون .

٢ قول ابن جنى عن حروف المد فى نحو : دعا وأدعو وأرمى « لا يكن إلا ساكن ، لأنهن مدات ، والمدات لا يتحركن أبداً »^(١٠٣) مع أن ابن جنى نفسه هو القائل : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهى الألف والياء والواو . فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهى الفتحة والكسرة والضمة . فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو . وكان متقدسو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة »^(١٠٤) .

٣ - قاعدتهم المشهورة فى عدم نوالى ساكتين فإذا حدث ذلك فلا بد من تحريك الأول ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْكَاْفِرُونَ إِلَّا فى غرور ﴾^(١٠٥) بكسر نون (إن) ، وأيضاً فى (لم يقل) و (لم يستطع) و (لم يختر) ، فما قبل الحرف الساكن الأخير فى كل هذه الكلمات كان حرف مد (الواو ، والياء والألف) وهو بمثابة الساكن عندهم فلذلك حذف « أما حقيقة الأمر - كما يراها الدكتور بشر - فهى أن الواو هنا يقصد فى (يقول) - رمز للضمة الطويلة (u) وليست صوتاً ساكناً ، وفى هذا السياق ، قصرت هذه الضمة فصارت (u) أفقط ... »^(١٠٦) .

(١٠١) دراسات فى علم اللغة ، (القسم الأول) من ص ٢٩١ إلى ص ٢٠٤ دار المعارف ١٩٦٩ .

(١٠٢) حاشية الخضرى على ابن عقيل ج ١ ص ٣٣ الطبعة الميعة ١٣٠٥ هـ .

(١٠٣) مدد صاعدة الإعراب - ج ١ ص ٣٦ تحضير الشفا وآخرين ط المجلس ١٩٥٥ .

(١٠٤) السابق ج ١ ص ٢٩ .

(١٠٥) التلذذ ٢٠٠ .

(١٠٦) دراسات فى علم اللغة ص ١٩٧ .

٤ قولهم في مثل (لتكتنن) ان الأصل فيها لتكتنوا نَ نَ (بعد حذف نون الرفع وفك النون المشددة . فتقابل ساكنان : واو المد والنون الأولى الساكنة من النون المشددة فحذفت الواو لكي لا يلتقي ساكنان) .

٥ - قول حفي ناصف إن من صفات الأصوات المد ، ويختص - أي المد - بالأحرف (و أ ي) الساكنة المسبوقة بحركة إنجاسة (١٦٦) وقد علق الدكتور بشر على ذلك قائلاً : « ... فكونها مدات يعني يدها كونها حركات طويلة ، وذلك يبطل كونها ساكنة ... إما أن هذه المدات مسبوقة بحركات تجانسها فهو وهم آخر لا أساس له من الصحة ، إذ ليست هناك حركات سابقة أو لاحقة (وإنما المدات نفسها هي الحركات) وهي حركات طويلة» (١٦٧).

ويعلل الدكتور بشر مساواة القدماء بين السكون والمد في هذه المواضع وفي غيرها بما لم تذكره اكتفاء بما ذكرناه ، يعلل ذلك بقوله : وما سميت هذه المدات سواكن ، على ما نفهم من كلامهم ، إلا لخلوها من علامات الحركات الثلاث (الفتححة والضمة والكسرة القصيرات) وإلا فمن المستحيل تسميتها سواكن على أي وجه فسرت السكون ومعناه (١٦٨).

... فالواو مثلاً بوصفها رمزاً في نحو (أدعو) يمكن تسميتها (ساكنة) بمعنى أنها خالية من علامات الحركة القصيرة ، ولكنها بوصفها صوتاً حركة طويلة ويبدو أن علماء العربية قد اعتمدوا على الاعتبار الأول دون الثاني ، ومن ثم كان حكمهم عليها بالسكون ، وأنها مسبوقة بحركة تجانسها هي الضمة مخدوعين في ذلك بالرسم الكتابي . وقد زاد في هذا الخداع ما عمد إليه بعضهم من وضع علامة لما قلته حركة قصيرة نسبي حروف المد فوضوا فتحة قبل الألف في (أقال) وكسرة قبل الياء في (أرمى) وضمة قبل الواو في (أدعو) (١٦٩).

(١٦٦) - مع الألف في حركاتها العربية ص ٢٦ + ٢٧ - جامعة القاهرة ١٩٥٨

(١٦٧) - سابق في اللغة ص ٢٠٠

(١٦٨) - السابق ص ١٩٥

(١٦٩) - السابق ص ٢٠٢

ثم يستخلص الدكتور بشر من ذلك نتيجة مؤداها « أن في هذا النج اعتماداً على الرموز لا على الأصوات الفعلية في تقعيد اللغة ، وهو ما لم يأخذ به أحد ، لأن الرموز في عمومها وسائل كتابية ناقصة لا تفي بحاجة النطق في كثير من الأحيان وأن الاعتماد على الرموز دون الأصوات الحقيقية كثيراً ما يؤدي إلى الخنط والاضطراب ، كما رأينا في تلك الأمثلة التي أوردناها سابقاً » (٢٠).

إن النفس لتطمئن إلى أن هناك فرقاً كبيراً بين الساكن وحرف المد بعد قراءة هذا البحث القيم الذي كتبه د. بشر في السكون ، ولكن النفس تطمئن أيضاً إلى علاقة المساواة بينهما في حالة التقسيم العروضي فقط ، وقد بينا ذلك بالدليل المادى عندما قطعنا اليقين اللذين من بحر الرمل منذ قليل ، فالمألة إذاً - في حالة العروض - بعيدة عن أن تكون متعلقة بالرموز الكتابية ليس غير ، بل هي تجاوزت ذلك إلى جوهر الإيقاع نفسه في تفعيلات الخليل ، بحيث إننا نهدم تلك التفعيلات هداماً إذا لم نقر تلك المساواة .

وربما نستطيع أن نلمح هذه العلاقة - أقصد علاقة المساواة بين الساكن وحرف المد - في مسألة أخرى ، ألا وهي تعريف المقطع . فهل تصور الخليل المقطع ؟ وهل كان في ذهنه القصير منه والطويل عندما وضع الساكن مساوياً للمد وعندما قال بالسبب الخفيف ؟ مسائل لا تفرق إلى مرتبة اليقين ، ولكنها تظل مع ذلك احتمالات ربما ثبتت صحتها فيما بعد .

فلننظر الآن في أمر المقطع syllable ، إنه ما كان حرفاً صامتاً Consonant وبعده ضم أو فتح أو كسر خفيف مثل : ك ك ك وهذا هو المقطع القصير .

وأما ما كان حرفاً صامتاً Consonant وبعده حرف من حروف اللين vowel ، أى مد طويل مثل : كا كى كو فهو المقطع الطويل :

| | | |
|-------------------|---|-----------|
| vowel | + | Consonant |
| ألف أو واو أو ياء | + | ك |

ويسمى المذكور إبراهيم أيس هذا المقطع بالمقطع المتوسط وليس بالطويل^(٢١). ويضف صورة أخرى إلى المقطع المتوسط وهي :

| | | |
|----------|---|----------|
| حرف صامت | + | صوت ساكن |
| ك | + | م |
| | | كَمْ |

ومثلها كَمْ ، وكَمْ ، فساوى د. أنيس بين كا و كى و كو من ناحية وبين كَمْ و كيم و كَمْ من ناحية أخرى^(٢٢)، أى أن حرف المد ساوى مع الساكن . ويسمى التحليل كليهما بالسبب الخفيف .

ولا بد أن نذكر هنا أن المصطلحين (صائت وصامت) ليسا محدثين لأن أبا نصر الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ قد ذكر مصطلح (المصوت) فقال : « والحروف منها مصوت ، ومنها غير مصوت ، والمصوتات منها قصيرة ، ومنها طويلة والمصوتات القصيرة هي التي تسمى العرب (الحركات) . وقد جاء بالهامش : الحركات : المقاطع القصيرة وهي الحرف^(٢٣) .

ثم يقول : « والمصوتات القصيرة (يعنى المقاطع القصيرة) فإنها لا تعتمد مع النغم مادامت على قصرها ، فإذا ساوت النغمة امتدت حتى لا يفرق بينها وبين الطويلة^(٢٤) .

ويقول عن المصوتات الطويلة : « والمصوتات الطويلة منها أطراف ومنها محرجة عن الأطراف^(٢٥) » وجاء بالهامش « أطراف أى ذات انحناءات

(٢١) إذ أن عربى عدده ما كان حرفاً صائماً ، وواو ساكن من باب وطوى ويضم معنى (طوى) حد أنه صوت الحرف الصامت ، لأن حرف المد ، وأد الصوت ساكن فهو (طوى) ولا يحطد أيسر من هـ ، فخطع غير متضمن إلا في بعض الفروع التي قبله في اللغة ، كقول توفيق

أحسبت بعضك مصر يا يمنى وحوافه من بند السروح الأمير
فبنت طهرًا يا ياك كمنى لغبت يارب أم المؤمنين

موسيقى الشعر ص ١٤٦ ، والبيان من التجارى ، الشوقيات - ٣ ص ١٦٢ .

(٢٢) موسيقى الشعر ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٢٣) موسيقى الشعر لأن نعم الفارابى ص ١٠٧٢ دار الكتاب العربى ١٩٦٧ .

(٢٤) السند ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

مستقيمة لامتداد المصوتات ، وهي تحريك الألف بالفتح والواو بالضم والياء بالكسر ، وممتزجة عن الأطراف : يعنى يمتد الصوت فيها وسطاً بين اثنين من الأطراف الثلاثة ، أو يمتد أكثر إلى أحد الطرفين دون الآخر»^(٢٥).

ثم يقول : « وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنما نسميه المقطع الطويل^(٢٦) وجاء بالهامش وهو^(٢٧) الحرف الممتد مع أحد الأطراف الثلاثة والأمالات الممتزجة فيها . »

وبعد هذا نود أن نقول إن عنصرى التفعيلة عند الخليل هما المتحرك وهو الحرف ذو الحركة الخفيفة غير الممدودة ، وحرف المد vowel وهو صوت اللين (ويتساوى معه في العروض الحرف الساكن كما بينا) .

وهذه العناصر هي نفسها التي يتكون منها المقطع القصير والطويل كلاهما . وعلى ذلك فإن تقسيم البيت عند الخليل إلى تفعلات كأنه تقسيم إلى مقاطع ولا فرق بين التقسيمين إلا ما سنورده بعد قليل . فالتفعيلة مستفعلن مثلاً تقسم مقطعيًا وكذلك حسب عروض الخليل على النحو الآتي :

مستفعلن = مس + سف + ع + لن
 ° .. ° .. ° .. ° .. ° .. ° .. ° .. ° ..

مقطع طويل + مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل

والتفعيلة :

مفاعيلن = م + فا + عي + لن
 ° .. ° .. ° .. ° .. ° .. ° .. ° .. ° ..

مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل + مقطع طويل

(٢٥) السانوي ص ١٠٧٣ .

(٢٦) السانوي ص ١٠٧٣ .

والتفعيلة :

فاعلاتن = ف ا ع ل ن
○ - ○ - - ○ -

مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع طويل + مقطع طويل

وهكذا إلى آخر التفعيلات ، ومن ثم فإن قول د. أنيس : « حين يبحث الأوربيون أوزان الشعر يتخذون عادة ما يسمى بنظام المقاطع في البيت أساساً لهذا البحث ، ونظام المقاطع قد يفضل ما جرى عليه أهل العروض من تحليل البيت إلى تفاعيل ، وذلك لأن المقطع - كوحدة صوتية - يشترك في جميع اللغات ، وله أساس عمنى يعرض له علم الأصوات Phonetics فيحلل كل كلام سواء كان نثراً أم شاعراً^(٢٧٧) شعر إلى مقاطع صوتية يختلف نظام نواحيها وأنواعها باختلاف اللغات في العالم »^(٢٧٨).

هذا القول فيه نظر ، فليس هناك مفاضلة بين تفعيلات العروض وبين المقاطع ، فمن الممكن أن تقسم التفعيلات إلى مقاطع كما بينا .

وإذا كانت هناك مفاضلة ، فإن تفاعيل العروض تفضل عندى نظام المقاطع ، وذلك في تقسيم الشعر ليس غير ذلك أن نظام المقاطع يقسم البيت إلى تقاطع ليس غير ، دون إعطائه نغماً موسيقياً معيماً يعرف به (وهو ما يسمى بالبحر) بعكس التفاعيل ، فإن كل تفعيلة تجمع عدداً معيماً من المقاطع لكن تُكوّن نغماً أو لحناً متميزاً عن غيره ، وذلك باختلاف عدد المقاطع التي تجتمعها كل تفعيلة . ولنتقارن بين تقطيع بيت عروضياً وبين تقطيعه مقطعياً لنرى أيهما أوقع في الأذن وأحلى نغماً وأضبط إيقاعاً ، ولتأخذ بيت المتنبي :

مومكما عجل عن الملام ووقع فعائه فوق الكلام

تقطيع الخليل : مومكما عجل عن ل ملام

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

(٢٧٧) في الأصل (أو)

(٢٧٨) موسيقى الشعر ص ١٤٤

التي توصل إلى معرفة تجزئته (أي الشعر) وقسمة ألقانه^(٣٠) .

وأما الثاني فقد ذكر في كتابه الفصول والقطايات الطرائق الثمانية لألحان المزهر (العود) وقرنها بتضاعيل العروض فمن هذه الطرائق التثقيب الأول وإيقاعه ثلاث فقرات متساويات الأقدار على مثال مفعولان :

(مف) فقرة ، (عو) فقرة ، (لن) فقرة ، والتثقيب الثاني : ثلاث فقرات اثنتان متساويتان والثالثة ثقيلة وزن مفعولان مف + عو + لان^(٣١) .

وأما الثالث فقد أورد في كتابه (مروج الذهب) محاورة بين المعتمد وابن خردذابة يقول فيها ابن خردذابة : « إن منزلة الإيقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر^(٣٢) » ثم يعنى بعد ذلك شارحاً العلاقة بين الإيقاع أو الطرائق في الغناء وبين محور الشعر العربي .

هذا بالإضافة إلى ما لاحظته أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب في كتب اللغة والأدب جميعاً عندما تورد بيتاً أو بيتين من الشعر أو قصيدة كاملة ، فقد لاحظ أن هذه الأبيات تكون مسبوقة بجملته (أنشد فلان) ولم يستعمل فعل آخر مثل (أنقى) أو (قال) أو (ذكر) . فهل لاستعمال الفعل (أنشد) تون غيره قصد معين ؟

نعم لأن الإنشاد هنا ليس بمجرد إلقاء ، بل هو إلقاء متعمق بطريقة معينة . وهذه الطريقة لم تنزل بسهولة حتى الآن وربما يكشف عنها البحث العلمي مستقبلاً .

ولابد من القول بأن التبر stree لا يصلح أن يكون قاعدة أو أساساً لتنظيم الشعر ، بل إن المقطع أو وحدة التفعيلة هي الأساس في ذلك ؛ ذلك لأن

(٣٠) الأغاني - ١ من ٥ دار الكتب ١٩٢٧ بصرف .

(٣١) الفصول والقطايات في فقه الله والمواعظ من ٨٨ ، ٨٩ شعراءه ونسخه عن عماد الدين مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨

(٣٢) مروج الذهب للمعتمد بن عباد الثاني ص ٥٩١ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢

تعريف المقطع أو وضع حد للتفعيله شيء مضبوط مقنن لا يختلف فيه اثنان ، في حين أن النبر مجهود صوتي يرجع إلى القارئ أو المنشئ ، وله حرية اختيار وضعه في أكثر من جزء من أجزاء الكلمة ، الأمر الذي يتيح لكل شاعر أن يتصور تنعيم بيته كما يشاء ، وأن يخلق إيقاعه الخاص والفردى بدلاً من أن يرتدى زياً موحداً^(٣٣).

ولقد نادى الشعراء الفرنسيون الرمزيون باتخاذ النبر أساساً للتنعيم ، ولكن سرعان ما فشلت هذه التجربة ، لأن الفرنسيين يحبون اتخاذ القواعد ويهتمون بالبناء المنظم بالإضافة إلى أن اللغة الفرنسية لا تكاد تنطوي على وجوب رفع النبرة عند أجزاء معينة من بعض الألفاظ في سياق العبارة مما لا يكفى لإرساء قواعد عروضية على هذا الأساس^(٣٤).

وأهم من هذا أن النبر في الفرنسية يكون في أغلب الأحيان على المقطع الأخير من الكلمة أى على عناصر تكوينية (لواحق) ويبقى الجزء الأصل من الكلمة غير منبور^(٣٥) فالنبر في الكلمات الآتية على ما تحته خط منها :

Monsieur Dormez Approchez

فإذا ما وصلت كل كلمة من هذه الكلمات بكلمة أخرى انتقل النبر ليكون في الكلمة الأخيرة :

Monsieur Jean Dormez bien Approchez-vous^(٣٦)

هذا التحديد لمواضع النبر مما يعيق الشاعر أو الناطق للشعر في اختياره للمواضع التي يريدونها .

(٣٣) مجلة الشعر من ٢٧ العدد العشرون أغسطس ١٩٦٥ . مقال للدكتور جان تودين ترجمة الدكتور أنور لوقا .

(٣٤) السابق ، وفصول في الشعر وفنائه للدكتور شوقي صيف من ٣٠ در المعارف ١٩٧١ .

(٣٥) اللغة لتندريس ترجمة الأستاذين السواحل والنصاص من ٨٨ الأجلو ١٩٥٠ .

(٣٦) Prononciation Française, Monique Leon, p. 2,3 Libraires Hachette et Larousse 1944.

ولابد من القول إن هناك اختلافات في النعة الفرنسية بتحدد فيها النطق بالنبر تحديداً لا مجال فيه لاختيار المتكلم وله ثلاث أنواع accent aigu مر حاد ، accent grave غير غنظ أو خشن accent circonflexe غير محبب من مثل société lexe

على أن استعمال النبر أو قل استغلاله ، لإقامة الوزن العروضي لم يكن بعيداً عن ذهن الشاعر العربي ، وقد فطن إليه النقاد العرب حينما قالوا بالمد أو بالمط في الحركات أو التقصير فيها ، وقد يكون النبر غير متعلق بالمد أو التقصير في الحركات ، وقد يكون متعلقاً بهما^(٣٧) ولكن يجمع بينهما في هذا المجال أنهما تنظيم اصطغمه الشاعر لكي يقيم الوزن العروضي دون ارتباط بمقطع ، أو وحدة تعيلية ، وهذا يدل عندهم على ضعف الشاعر يقوّن الجاحظ : « العرب تقطع الأهلان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم تخط الألفاظ فنقبض وتيسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موروناً على غير مورون »^(٣٨) غير أني لاحظت أن بعض شعراء العرب قد نسلت هذا المسلك أيضاً فمن ذلك قوّن الشاعر

قوّن إبحاب على لكلكار - نافقا - حد - بر - ع - (٣٩)

فقد مذ في حركة الكاف الثانية في العروض حتى نسقم التعيلية نشأته من السريع على (معقون)

وأنصح من ذلك قوّن الشاعر

ع - م - زمرى - عصب - حد - : يله مثل القينى المكدم^(٤٠)

فلقد أظن حركة الباء في (يساع) حتى نسقم التعيلية الأولى من الكامل (يساع من) على (متفاعلين) تكبير الشاء

(٣٧) في كتاب : Stress لأخيه : محمد باقر ص ١٠٠ - علامه اقباله في تفسير في الحركات إذ هو في التقصير النسبة التي هي تنبع من فاعق بوزن (ع - م) يعطي بحرف اتصال vowel في مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة ، فبأن : ع - م - في صوت الصائغ ، على الصوتين ، فإن هناك فاصل حدودي ، وحواف من جهة ، على اتصال ، وعم الصوت من ناحية أخرى ، انظر : Dictionary of Theoretical P 268 ويراد بالذكور السعدان بوزن الو جهارة في مقطع أو في كلمة بهذه طوّن الصوت ، والتكثار ، ودرجته ، قال ذلك أبي العود التعيلية (فتح ليد) عليه اللغة ص ٢٠٦ - الطراف ١٩٦٢

(٣٨) عصب - ٢ ص ٢

(٣٩) إنصاف لأمير الأمازيغ ص ١٠٠ حسين محمد يحيى الدين نخبة ١٩٥٢

(٤٠) إنصاف ص ١٦ - وصال الشعر لفران القديري ص ١٢٨ تحقيق : علي - سلام د محمد

وكذلك قول الشاعر :

ألا هل أتى نبيان قومي جماعة بما لظمت كلف انقضاء هجيتها^(٤١)
فإن (ما) استهامية ومع ذلك مذهبها الشاعر حتى نستقيم تفعيلة الطويل
(بمائل) على فعول
وعندما قال الشاعر :

حتى إذا ما لم أجد غير السرى كنت أمراء من مالك بن جعفر^(٤٢)
نجده قد خفف السرى (بتشديد الياء) وجعلها (السرى) أو بتعبير آخر
حذف النبر أى الشدة في التلظظ في حرف الياء ، وذلك حتى يستقيم عروض
البيت (غير السرى) على مستعملن .

ونلاحظ أيضاً أن هذا التغميم المصطنع يؤدي به في بعض البحور التي يصيب
حشوها بعض الزخافات . من ذلك مثلاً بيت البحري .

صنت نفسي / عما يدن / نس نفسي /
فاعلاتن مستعملن فعلاتن
وترفع / ت عن جدا / كل جيس
فعلاتن متعلمن فاعلاتن

إذ نجد أننا عند تقطيع البيت على (فاعلاتن مستعملن فاعلاتن) مضطربين
لأن أن نعدُّ أو نمط أول التفعيلة الثالثة من الشطر الأول (العروض) وهي
(نس نفسي) يجعلها (في) حتى تستقيم على (فا) من فاعلاتن .
كذلك الحال في التفعيلة الأولى من الشطر الثاني (وترفع) نجد أننا
مضطربين إلى أن نعد النواو (وترفع) حتى تستقيم على (فا) من فاعلاتن .
إلا أن هذا المدد أو النمط محدد في كل البحور بمواضع معينة بينهما الخليل ، ولم

(٤١) ديوان الشفري ص ١٨

(٤٢) صرائر الشعر للفرار القزويني ص ١٢٢ ونوشح لى مآخذ العطاء لعمرو بناني ص ٤٦٤ ط اسلميه

بتركها مائة لكل من يريد أن ينظم شعراً دون أن يقدر على ذلك فيضطر إلى
التنظيم الخاص به وحده .

وهذا التحديد لم يكن من صنع الخليل ، بل كان من اكتشافه ، وفرق كبير
بين الحائزين واكتشاف الخليل له كان مبيحاً على استقراء أعمار كثيرة للعرب من
قبله ولمن عاصره . وهذا يظهر عبقرية هذا الرجل ورفاهة حسه الموسيقي ، إذ
إنه فرّق بين ما يجوز أن يدخل البحور من هذه (الهنات) الموسيقية الخفيفة
التي لا تكاد تؤثر في سياق البيت الموسيقي ، وبين (الكسرات) التي تحدثنا
عنها في الآيات :

أقول إذ خَرَّ على الكلكال

و يناع من ذفري غضوب جصرة

و حتى إذا ما لم أجد غير السرى

ومما يظهر عبقرية الخليل أيضاً أنه عندما قام بعملية الاستقراء الواسعة لشعر
سابقه ومعاصرة نتج له من الصور المختلفة للأوزان ما يزيد على الثمانين ، فبحر
الظويل مثلاً له ثلاث صور والبسيط له سبع صور ، والكامل له تسع
صور الخ وذكر هذه الحقائق فيه تجاوز في التعبير ، لأن الخليل عندما بدأ
عملية الاستقراء لم يكن في ذهنه أسماء هذه البحور ، ولم يكن في ذهنه - أو لم
يكن معروفاً على وجه العموم - أن هذه الصور إنما هي مجموعات ، وكل
مجموعة تعزى إلى بحر واحد .

ولنا أن نتصور بعد ذلك أن الخليل بن أحمد قد جمع حوالي ثمانين صورة ،
وحصر فيها الشعر الذي قيل ، وفي هذا جهد ما بعده جهد ثم إنه - وهذا هو
الأهم والأكثر مشقة - بتأقب نظره ورفاهة حسه الموسيقي - هذه الصور
استطاع أن يرجع إلى خمس عشرة صورة (خمسة عشر بحراً) ليس غير ، بأن
وضع أصلاً للبحر ، ثم ضم إليه كل الصور التي تتج بعد حذف ساكن أو
تسكين متحرك أو حذف متحرك أو حذف ساكن السبب الخفيف ثم إسكان
متحركه أو إلى آخر ما أطلق عليه الخليل الزحافات والعلل ، وأعطى كل

تغيير اسماً معيناً وهذا يدل على صبره وجلده ورجاحة عقله وحسه الموسيقي المرهف .

ومن ثم فإن الزخافات والعلل كانت تخفيفاً ولم تكن تعقيداً ولا تشويشاً كما يقول بعض منتقدي الخليل (٤٣) لأنها يسرت للمتعلمين - ولتناس على وجه العموم حفظ خمسة عشر حرفاً ليس غير ، وعدت كل ما خرج عن هذه الأثمان فرعاً لواحد منها ، ولولاها لكان كل فرع من هذه الفروع أصلاً بذاته ، على أنه ينبغي لنا أن نكرر القول بأن هذا الخروج لا تعدى تسكين متحرك أو حذف ساكن أو حذف متحرك بمّا يعد من (الهنات) الموسيقية الخفيفة التي لا تؤثر في انتظام الإيقاع .

الإيقاع إذن أو الانتظام الملحني الموسيقي هو الذي جعل الخليل يرجع صورة من صور التقسيم العروضي إلى بحر معين (لحن معين) من البحور ولا يرجعها إلى بحر آخر .

ولنأخذ مثلاً على ذلك هذا البيت :

ألم تأس القوم عن حمزة وعن ضربة السيف والعمرة (٤٤)

إن هذا البيت يقطع على :

| | | | |
|-----|-------|-----|-----|
| ز | م | أل | م |
| ر | عن | ل | عن |
| ة | خم | ق | وم |
| فعل | فعل | فعل | فعل |
| | ف | ب | ض |
| ر | والغم | ة | ض |
| فعل | فعل | فعل | فعل |

ويقطع أيضاً على :

| | | |
|------|------|--------|
| م | ل | ألم |
| عن | ل | تأس |
| حمزة | ق | م |
| فعل | مفعل | مفاعيل |

(٤٣) د. مرويخ خاطر في كتابه «أوزان الشعر الفارسي» ص ٨٨ ترجمة الدكتور محمد نور الدين وعبد النبي حسين . الاصل ١٩٧٨ .

(٤٤) الكافي في العروض والقوافي للبريزي ص ١٣٢ تخفيف الحسان حسن عبد الله الخليلي ١٩٧٧ .

وعن ضرب ة سَّيف و ن غمزة
مفاعيل مستفعلن فاعلن
ويقطع أيضاً على :

ألم نـــــــــــــــــ
فعلون مفاعيل متفعلن
وعن ضرب بة سَّيف وغمزة
فعلون مفاعيل مستفعلن

ولكن من الواضح لكل ذى أذن موسيقية أن الصورة الأولى هي صاحبة الإيقاع المنتظم الذى يتولد فيه اللحن السوى الذى لا (نثاز) فيه . ومن المؤكد أن الخليل قد تعرض لهذه الصور جميعاً واختار الأولى وأرجعها إلى المتقارب ، وعلى ذلك فقص الأبيات كلها في الشعر كله الذى استقره الخليل ، وتحيل معى عدد الصور الناتجة عن هذا الاستقراء وكيف أن الخليل بحسه الموسيقى قد أرجع كل صورة إلى ما يناسبها - لا أقول من الأصول إذ إن الأصول لم تكن قد وضعت بعد بل إلى غيرها من الصور التناسبية معها في الإيقاع حتى كون خمس عشرة مجموعة كل مجموعة فيها عدد من الصور ، فالمجموعات هي البحور ، والصور هي ما دخل على هذه البحور من هئات موسيقية^(٤٥) خفيفة لا تؤثر في الأذن ، وهي الزخافات والعتل . إن البحث العلمى يقتضى ألا تقدح في الذم ولا نبالع في المدح ولكنى أرائى مضطراً إلى القول بأن هذا يعد عبقرية من الخليل قل أن توجد في غيره .

ويضع المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس نظاماً لتقسيم العروضى نليت ويسميه (مولد مشروع)^(٤٦) ولا نستطيع أن نقول أنه نظام مغاير لما وضعه الخليل إذ إنه يقوم أيضاً على نظام التفعيلات ، فهى مبنى على ما بناه الخليل ولكن

(٤٥) ومن ثم فإن هذا بعدد آخر من قال بأنة أخرى أو تفاعل أخرى غير تلك التى وضعها الخليل وذلك كما فعل أم العباس عبد الله بن محمد اسنقى الأسارى المعروف باسم شرشير الشاعر نفوى ١٢٩٣ هـ وفيات الأعيان لأبى حنبلان ج ٣ ص ٩١ تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٦٨ وانظر نشء أدبنا الشعر الفارسى أون ص ٩٢ للدكتور برويز خافىدى الأنجلو ١٩٧٨ .

(٤٦) موسقى الشعر ص ١٣٧ وما بعدها الأنجلو ١٩٥٢ .

الدكتور أنيس غير من نظام هذه التفعيلات ، وألقى بعضها ، ولعرض ، لما
فانه معلقين عليه .

يرى الدكتور أنيس الاكتفاء بثلاث تفاعيل ليس غير ، هذه التفاعيل هي :
فعلون فاعلن ، مستعملن . ويرى - رحمه الله - أن هذه ميزة تعين الطالب على
حفظ هذه التفعيلات الثلاث بدلاً من التفعيلات التي وضعها الخليل وعددها
عشر . ولكن الدكتور أنيس يرجع فيريد هذه التفعيلات ثلاثاً أخريات بعد أن
يضيف سبباً خفيفاً (مقطوعاً طويلاً) إلى كل من التفعيلات الثلاث السابقة
فيصبح عددها ستاً وهي :

فعلون فاعلن مستعملن
فعولان فاعلان مستعملان

ثم يبدأ في تقسيم البحور حسب هذه التفعيلات على النحو الآتي :

- (١) الطويل : فعلون + فعولان + فعلون + فعولان
- (٢) المختارب : فعلون (أربع مرات)
- (٣) البسيط : مستعملن + فاعلن + مستعملن + فاعلن
- (٤) الرجز : مستعملن (ثلاث مرات)
- (٥) السريع : مستعملن + مستعملن + فاعلن
- (٦) المرح : مستعملان + مستعملن + فاعلن
- (٧) الخفيف : فاعلان + مستعملن + فاعلان
- (٨) المجتث : مستعملن + فاعلان
- (٩) الرمل : فاعلان + فاعلان + فاعلن
- (١٠) المدبذ : فاعلان + فاعلن + فاعلن

وواضح أن هناك ستة بحور لم يذكرها د. أنيس ، وهو يعلل لذلك بأنه أهمل
المتدارك ، لأن الخليل لم يتناوله ، وأهمل أيضاً المقتضب والمجتث ، لأن العرب لم
تقل شعراً على مثالهما ، يبقى بعد ذلك ثلاثة بحور وهي الوافر والكامل
والمرج ، ويبرر لتركه إياها بمباراة غامضة وهي :

« والذي يجمع بين هذه البحور الثلاثة تلك الظاهرة القليلة الشروع في البحور الأخرى ، وهي أنها تشتمل في أتوالي مقاطعها على مقطعين قصيرين متواليين ، الأمر الذي يندر أن نراه في الأوزان الأخرى » (٤٧).

ولقد وضحا المقصود بالمقطع القصير والمقطع الطويل ، ومن ثم فإن القول بتوالي مقطعين قصيرين في الكامل والوافر صحيح :

متاعلن : م (مقطع قصر) + ت (مقطع قصير) ، فا (مقطع طويل)
 ع (مقطع قصر) ، لن (مقطع طويل)
 مفاعلتن : م (مقطع قصر) ، فا (مقطع طويل) ، ع (مقطع قصير)
 ن (مقطع قصر) ، تن (مقطع طويل)

ولكن المخرج لا تتحقق فيه هذه الظاهرة .

مفاعيلن : م (مقطع قصر) ، فا (مقطع طويل) ، عيه (مقطع طويل)
 لن (مقطع طويل)

فليس فيه مقطعان قصيران متواليان . ثم نسأل بعد ذلك ما علاقة وجود مقطعين قصيرين متواليين في تفعيلة بعدم انتظام هذه التفعيلة في قاعدة ما ؟ ثم ماذا تفعل في هذه البحور الثلاثة وهي من البحور التي قيل على مثالها شعر كثير لا يخصى ؟ يجيب الدكتور أبيس عن هذا السؤال قائلاً :

« فإذا نحن أتينا إلى الأجنس الثلاثة وهي (الكامل والوافر والمخرج) وجدنا أنها تنهى آخر الأمر إلى نفس التفعيلات التي استبطناها هنا . انظر مثلاً إلى تفعيلة البحر الكامل كما ذكرها أهل العروض تحديداً (متفاعلتن) ونجد أنها تصير في غالب الأحيان (مستعلنن) كذلك حين نفكر في تفعيلة بحر الوافر (مفاعلتن) نجد أنها تصير في غالب الأحيان (مفاعلتن) (يسكن اللام) ، وهذه هي نفس التفعيلة (فعولاتن) . أما المخرج فهو شبيه بمجزوء الوافر ، ويمكن أن نذكر له الوزن الآتي :

فمولانسن + فمولانسن (١٨)

وواضح أن قوله هذا فيه مأخذ ، فتفعيلة الكامل (متفاعلت) لا تصير في أغلب الأحيان (مستفعلتين) ، بل إنها تصير كذلك في بعض الأحيان بدخول الإضمار عليها . فماذا تفعل في باقي الأحيان ؟

وكذلك القول في مفاعلتين ؛ نسكن اللام (أى يدخل عليها العصب) فتصير مفاعلتين وتقلب إلى مفاعلتين ، وهذا يعمى في بعض الأحيان وليس في غالبها .

أما الهزج « فكلام الدكتور أنيس عنه صحيح ، ولا أدري لِمَ لَمْ يدخله في عداد التفعيلات التي وضعها ؟

عل أننا نقول بعد ذلك إن د. أنيس لم يخترع نظاماً مغايراً لنظام الخليل ، بل هو سار على دربه ، ولم يفعل شيئاً غير أنه حذف تفعيلات وغير أخرى ، وحذف أسماء العلل والزحافات ، وتمسك بجوهرها فلقد كتب ما يزيد على ثلاث صفحات فيما يصيب كل تفعيلة من التغير إن نقصاً وإن زيادة ، ومع ذلك لم يسلم مشروعه من المآخذ - والذي يبرر ذلك كله عند صاحبه « أنه مولد مشروع لم تكمل كل نواحيه »^(٢٩) .

ويتيم محروصى محدث (وهو د. كمال أبو دية) الخليل بن أحمد بأنه جانب المنهج العلمي السليم ، وأنه فرض مفاهيم مسبقة التصور على التراث ، وأنه يجب علينا لكي نعيد اكتشاف التراث أن نتحقق هذه العودة في إطار مفاهيم ذهنية جديدة نحاول جاهدة أن تكون انعكاساً أميناً للرجود الفعلي للحقيقة التاريخية ذاتها^(٣٠) .

وهو اتهام باطل للخليل ، وهو يرى منه البراءة كلها ، فالخليل - كما نعلم - قد قام بعملية استقراء واسعة لما قيل في عصره ، ولما قيل قبل عصره من

(٢٨) السابق ص ١٤٣ .

(٢٩) موسيقى الشعر ص ١٣٨ .

(٣٠) في البيئة الإلهامية للشعر العربي الدكتور كمال أبو دية . أسفل ص ٣١ وأعلى ص ٣٢ « بصرف

وبمختم أفاضه » دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٤ .

شعر حتى استطاع أن يضع القواعد العروضية التي ندرسها الآن .

ومبعث هذا الاهتمام عند قائله أن هناك قصيدة أو اثنين أو ثلاث قصائد لا تخضع لقواعد الخليل ، وكان يجب عليه عند وضع قواعده انطباق هذه القواعد عليها ، بحيث لا تكون خارجة عنها .

وعندى أن الحق يقضى بأن نشكر الخليل على ذلك ، فمن جملة الأشعار الهائلة التي امتزها استطاع أن يضع قواعده واستطاع أيضاً أن يتجنى جانباً هذه القصائد (الشاذة) ، وعددها لا يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة فربما قالها أصحابها عابثين هازلين « فإن نفس هؤلاء الشعراء الذين رويت عنهم تلك القصائد المضطربة في وزنها روى عنهم قصائد كاملة مستقيمة في وزنها وقوافيها »^(٥١) .

وليس من المنهج العلمي السوي أن نهمل كل الشعر الذي قيل وتأخر بعين الاهتمام قصيدة أو قصيدتين أو ثلاث قصائد، طالما أن الشعر كله عدا هذه القصائد ينضوي تحت قاعدة واحدة ، بل إن الخليل كان ذا فضل عندما استبعد هذه القصائد حيث إنها تُعد كسراً للنخبة الموسيقية .

وقد ذكر د. شوقي ضيف هذه القصائد المضطربة الوزن التي لا تستقيم مع عروض الخليل^(٥٢) « فمنها قصيدة عبيد بن الأبرص الأسيدي :

أفتر من أهله ملحوب فالتقطيات فالدنوب

فهى من مخلع البيط ، وقلما يخلو بيت منها من حذف في بعض نفاعيله أو زيادة »^(٥٣) .

« وعمل غرارها قصيدة تنسب لأمرئ القيس مطلعها :

(٥١) بعض المدعي شكور شوقي صيف . دار المعارف ١٩٦٠ ، وهؤلاء الشعراء هم عبيد بن الأبرص وأمرؤ القيس ... وسذكر مطلع قصائدهم بعد قليل .

(٥٢) بعض المدعي ص ١٨٤ و ١٨٥ .

(٥٣) السابق ص ١٨٤ والقصيدة في ديوان عبيد بن الأبرص مع ديوان عامر بن الطفيل ص ٥ تعلق سير شارلر جان . لندن ١٩١٣ .

عيناك دمعها حسان كأن شأهيا أوشال «^(٥٤)
 «ومثلها في هذا الاضطراب قصيدة المرقش الأكبر :
 هل بالتدبير أن خيب صمم لو كان رسم نطقاً كلم
 فهي من وزن السريع ، وخرجت شطور بعض آياتها على هذا الوزن^(٥٥)
 » وعلى هذه الشاكفة قصيدة عدى بن زيد العبادي :
 نعرف أمس من ليس الظنل مثل الكتاب للذرس الأحول
 فهي من وزن السريع وخرجت بعض شطورها على هذا الوزن^(٥٦) .

ويرى الدكتور الصعدي أن هذه القصائد تمثل المرحلة الأولى للشعر
 الجاهلي حيث كان مضطرباً في أوزانه وقوافيه ، ولم يكن يجري على بحر واحد ،
 وذلك قبل الصورة التي نراه عليها منتظماً في أوزانه وقوافيه جارياً على نسق
 موسيقي واحد . يقول ضارباً المثل بمجمهرة عبيد « فمن آثار ذلك الشعر
 محمودة عبيد بن الأبرص ، وهو شاعر قديم من أوائل الشعراء الجاهليين ، قد
 أدرك أولية الشعر الجاهلي ، وتشبث ببعض آثارها ، وبقي محافظاً عليها في
 شعره ، وقد كان معاصراً للمهلل وامرئ القيس ، ولكنهما لم يتشبا مثله بما
 أدركا من أولية الشعر الجاهلي ، بل تخلصا من آثارها ، وأبدأ في الشعر عهداً
 جديداً أثره من عاصرهما ومن أتى بعدهما من الشعراء فكان من آثارهما ذلك
 الشعر الجاهلي الذي لا اضطراب في أوزانه ولا شذوذ في قوافيه «^(٥٧) .

(٥٤) العصر الجاهلي ص ١٨٤ والقصيدة في « شرح ديوان امرئ القيس » ص ١٨٢ تحقيق حسن
 السنبلي ط تجاربه الكبرى بمصر ١٩٥٣ .

(٥٥) العصر الجاهلي ص ١٨٤ والقصيدة في النضيات ص ٢٣١ تحقيق الأستاذين أحمد شاکر وعبد
 السلام هارون ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ .

(٥٦) العصر الجاهلي ص ١٨٥ ، والقصيدة في الأغاني ج ٢ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب .

(٥٧) مع ربيع الأدب العربي ص ١٢٤ و ١٢٥ مكتبة الخدي بالقاهرة طونا طراج .

فهؤلاء الشعراء عندما قانوا هذه الأبيات المعدودة إنما كانوا متأثرين بما كان عليه الشعر قبلهم حيث كان مضطرباً لا يسير على وتيرة واحدة يؤيد ذلك ما يفوهه د. إبراهيم أنيس : « غير أننا الآن نستطيع ونحن مطمئنون كل الاطمئنان أن نؤكد حقيقة ثابتة ، أصبح الباحثون في الأدب العربي يجمعون عليها ، وهي أن الشعر الخاهل في صورته المعروفة لنا ليس إلا نتيجة تطور أحياناً سبقتها ، ومرحلة مرت بها ، حتى صارت إلى تلك الأوزان المتعددة الدقيقة النسيج التي لا يعقل نسبتها إلى شعب فطري بدائي ، كما كان الناس يظنون فيما مضى ، بل هي نتيجة ثقافة أدبية مرت عليها قرون كثيرة »^(٥٩).

ومهما يكن من أمر فإنّ المعيار الوحيد في ذلك هو استقامة الموسيقى وإحساس الأذن بأن الشعر يجري على وتيرة واحدة . فما كان كذلك فهو يسير عروض الخليل ، حيث إنها - أي العروض - متوافقة مع انظام الإيقاع واستقامة الموسيقى ورتابة النغم ، وما شد عن ذلك فلا يؤخذ به .

فدنا من قبل إن الدكتور كمال أبا دية اتهم الخليل بن أحمد بأنه جاب المنهج العمى لأنه فرض قواعد عروضية لا تغطي الشعر كله ، ومن ثم فهي ليست انعكاساً أميناً للوجود الفعلي للحقيقة التاريخية ذاتها^(٦٠).

فما القواعد العروضية التي وضعها أبو دية ويطبق عليها الشعر كله وتكون انعكاساً أميناً للوجود الفعلي للحقيقة التاريخية ذاتها ؟

إنه يعقد فصلاً في كتابه « في اليقظة الإيقاعية في الشعر العربي » عنوانه « في إيقاع الشعر العربي : نحو بدليل جذري لعروض الخليل »^(٦١).

و يلخص هذا البديل الجذري الذي وضعه أبو دية تلخيصاً أميناً^(٦٢).

فنقول إنه يمكن رد تماعيل الخليل كلها إلى تفعيلتين :

(٥٩) مدغى شعر ١٨٤ ع ٥ مكتبه لأخبر ١٩٧٣ .

(٦٠) ص ٢٩ من هذا البحث . ثم ما بعدها من صفحات دعت فيها هذا الاتهام الباطل .

(٦١) ص ٤٣ من هذا الكتاب .

(٦٢) في كتاب - كتبه - أبي دية من ص ١٧ إلى ص ٥٥ .

١ فعولن ٢ - فاعلن ، ولما كانت التفعيلة الأولى هي التي تليها بعد فاعلها :

فعولن = لن فعول = فاعلن
 ٥- ٥ ٥-٥ ٥-٥

فإن هناك نواتين إيقاعيتين أساسيتين في العروض العرفية هما : (فاعل) و (فعول) ومنهما تتكون كل تفاعيل الخليل على النحو التالي :

(أ) ما يبدأ من التفاعيل بالواو عولن :

- | | | | | | | |
|-----|-------------|-------------|-------------|-------------|-------------|-------------|
| ١ | المقارب : | الخليل : | فعولن | فعولن | فعولن | فعولن |
| | أبو دية : | الخليل : | عولن فاعل | عولن فاعل | عولن فاعل | عولن فاعل |
| ٢ | الظويل : | الخليل : | مفاعيلن | مفاعيلن | مفاعيلن | مفاعيلن |
| | أبو دية : | الخليل : | عولن فاعل | عولن فاعل | عولن فاعل | عولن فاعل |
| ٣ | المرج : | الخليل : | مفاعيلن | مفاعيلن | مفاعيلن | مفاعيلن |
| | أبو دية : | الخليل : | عولن فاعل | عولن فاعل | عولن فاعل | عولن فاعل |
| ٤ - | المضارع : | الخليل : | مفاعيلن | فاعلاتن | مفاعيلن | مفاعيلن |
| | أبو دية : | الخليل : | عولن فاعل | فاعلاتن | عولن فاعل | عولن فاعل |
| ٥ - | لواقر : | الخليل : | مفاعلاتن | مفاعلاتن | مفاعلاتن | مفاعلاتن |
| | عولن ؟ عولن |

(٦٣) ملاحظ أن تعبئة الواو (مفاعلاتن) لا تتساوى أبداً مع عولن ١ وهما تكررنا ، ذلك لأن في (مفاعلاتن) ثلاثة حروف متحركة متوالية ، ولا يوجد ذلك في (عولن ١) ، لذلك فقد وضعنا علامة يستعملها تحت العين من (مفاعلاتن) ونسوف نتكلم عن نفسها في آخر التلخيص وسنكرر هذا الأمر مرة أخرى في تفعيلة الكامل (مفاعلاتن) ، وفي تفعيلة المربع (مفعولات) .

(ب) ما يبدأ من التفاعيل بالنواة (ف ا) :

١ - اعتذرنا : ولا فرق بين الخليل وأبي دية

فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس

٢ - السعيط : الخليل : مسن تف علس فاعلس مسن تف علس فاعلس

أبو دية : ف ا ف ا علس ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا علس

٣ - الرجز : الخليل : مسن تف علس مسن تف علس مسن تف علس

أبو دية : ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس

٤ - الرمس : الخليل : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

أبو دية : فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس

٥ - المفيد : الخليل : فاعلاتن فاعلس فاعلاتن فاعلس

أبو دية : فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس

٦ - الخفيف : الخليل : فاعلاتن مسن تف علس فاعلاتن

أبو دية : فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس

٧ - السريع : الخليل : مسن تف علس مسن تف علس مسن تف علس

أبو دية : ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس

٨ - المشرح : الخليل : مسن تف علس مسن تف علس مسن تف علس

أبو دية : ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس

٩ - السريع : الخليل : مسن تف علس مسن تف علس مسن تف علس

أبو دية : ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس

ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس

٩ - المقترض : الخليل : مسن تف علس مسن تف علس مسن تف علس

أبو دية : ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس ف ا ف ا علس

١٠ - المجت : الخليل : مسن تف علس فاعلاتن فاعلاتن

أبو دية : ف ا ف ا علس فاعلس فاعلس فاعلس

١١ - الكامل : الخليل : فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس

أبو دية : فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس فاعلس

« نك » وهو الخفيف ، والثاني الذي عن اليمين « كُرْ » وهو الثقيل ، ووزانه أنه ضعف الأول لا يسد مكانه إلا اثنان من الخفيف (٦٥).

وهذا القول فيه كثير من الغموض ، ذلك أن هاتين العلامتين اللتين أوردتهما البيروني ١ ليستا للمساكن والمتحرك بل هما للسبب الخفيف ثم للمتحرك فقط ، أي أن كلاهما ترقى إلى مقطع : الأولى مقطع طويل ، والثانية مقطع قصير ، وذلك بدليل قوله عندما قارن بين تقطيع العروضيين العرب وبين العروضيين الهنود : « إنا نعر عن قوالب الخفيف السالم التام بأبنية الأفاعيل في كل واحد من عروضه ويقول :

| | | |
|---------|----------|---------|
| فاعلاتن | مستفعلتن | فاعلاتن |
| ١٥١٥٥١٥ | ١٥٥١٥١٥ | ١٥١٥٥١٥ |

وعلاماته بأرقام الهند ١ << ١ << ١ << ١ << (٦٦)

فواضح كل الوضوح أن علامة < تعبر عن متحرك فساكن أو متحرك ثم مد (-) ، وهذا هو المقطع الطويل ، وعلامة ١ تعبر عن متحرك ليس غير وهذا هو المقطع القصير . هذا بالإضافة إلى أن البيروني قد عكس الصورة في العروض العربي فرمز إلى الساكن بالعلامة ١ والمتحرك بالعلامة ٥ (٦٧) وأشد من هذا خطأ أن البيروني يقول « ووزانه أنه ضعف الأول لا يسد مكانه إلا اثنان من الخفيف » أي أن الصوت الكمي لما ترمز له العلامة < ضعف الصوت الكمي لما ترمز له العلامة ١ « وهذا خطأ لأن العلامة < ترمز إلى متحرك ثم ساكن أو متحرك ثم مد في حين أن العلامة ١ ترمز إلى متحرك فقط . والمتحرك والساكن أو المتحرك والمد بعده ليسا ضعف المتحرك .

(٦٥) تحقيق ماثلهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردودة ص ١٠٦ و ١٠٧ لثي الربيعان البيروني طبعة لندن ١٩٥٧ .

(٦٦) السابق ص ١١٢ .

(٦٧) لاحظ أن ابن عبد ربه في العقد الفرید قد تبع ما أسع البيروني فرمز للمساكن ١ والمتحرك ٥ انظر العقد الفرید ج ٥ ص ٤٣٩ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥ .

هذا إلى أن الخليل لم يتخذ المقطع ، طويلاً كان أم قصيراً وحدة البيت . بل اتخذ التفعيلات وكانت وحدة التفعيلات عنده المتحرك والساكن ، وليس المقطع .

ويدوأن الأمر قد اتبس على البيروني حتى إنه وقع في كل هذه الأخطاء ، ذلك نتيجة عدم درسه للموضوع جيداً ، وهو يعترف بذلك ، يقول وإن كنت إلى الآن لم أستيقن حال الخفيف والثقيل بحيث أتمكن من تمثيلهما في العربية»^(٦٨) ويقول في موضع آخر « وقد قدمت العذر وكررت أنه لم يحصل لي من هذا الفن ما يصلح للتعريف إلا أني مع ذلك أبذل فيه جهد المقل»^(٦٩) . ويقول في موضع ثالث بعد أن يعدد الكتب الهندية التي تناولت علم العروض « لم أطلع على شيء منها ولا على كثير من المقالة التي في (براهم سدھاند) في حسابها بحيث أتحقق قوايين عروضهم ، ولا أستجيز مع ذلك الأعراض عما اتسم رائحة إحالة إلى وقت الإحاطة»^(٧٠) .

إذن فالبيروني لم يكن متفهماً في العروض الهندية - باعترافه - ولم يطلع على كتبهم أو كثير من كتبهم - في ذلك . فأتى له أن يبحث فيه ، بل أتى له أن يقارن بينه وبين العروض العربي ، ويفتي بأن الخليل قد أخذ من الهند ، ومعروف أن المقارن (اسم فاعل) لا بد له من التمكن التام في المقامين المقارنين بينهما^(٧١) .

وخيء البيروني بعد ذلك بشيء غريب بدل على عدم تمكنه من العروض الهندية فيقول « وكذا أن أبيات العربية تنقسم إلى نصفين بعروض وضرب ، فأبيات أولئك تنقسم لتقسمين يسمى كل واحد منهما رجلاً ، وهكذا يسميها اليونانيون أرجلاً ثم يرجع ويقول « وينقسم البيت (عندهم) لثلاث أرجل ولأربع وهو الأكثر ، وربما زيد في الوسط رجل خامسة ولا تكون

(٦٨) السابق ص ٩٠٧ .

(٦٩) السابق ص ١١٢ .

(٧٠) السابق ص ١٠٦ .

(٧١) السابق ص ١١٠ .

مفعاة» (٧٢) فهو يقدر أن البيت رحلان ثم يرجع ويقول أنه ثلاث أرجل أو أربع .

ثم يفصل هذه الأرجل وترتيبها بشيء فيه كثير من الغموض والإبهام .

على أننا لو تغاضينا عن قول البيروني في مسألة أخذ الخليل العروض من الهنود لوجدنا المسألة عامة شائعة لا يجوز القول فيها بالأخذ أو بالسرقة فالحروف ساكنة أو متحركة والسبب الخفيف هو متحرك وبعده ساكن أو حرف مد . والثقل هو متحرك والمقطع القصير هو متحرك حركة قصيرة والظويل متحرك وساكن أو متحرك ومُد ... كلام عام كقولنا $٢ = ١ + ١$ أو $س \times س - س$ ٢ ولا يجوز الحكم فيه بالسرقة أو بالنقل .

إن معظم ما أخذ على الخليل إنما يرجع إلى فكرة الدوائر ، وأراني مضطراً إلى شرح هذه الفكرة بالتفصيل حتى يكون كلامي عن المأخذ واضحاً .

إن فكرة الدوائر مبنية على نظرية التبادل والتوافق في الرياضه بمعنى أن ترتيب أجزاء الشيء الواحد يعطيه صورة معينة ، ثم بإعادة هذا الترتيب تولد صورة أخرى وإذا أعدنا الترتيب مرة ثالثة تولدت عندنا صورة ثالثة وهكذا دواليك .

ومثال ذلك أننا لو فرضنا أن شيئاً يتكون من أجزاء هي أ ، ب ، ج ، د ، فإننا نحصل على أربع وعشرين صورة مختلفة لهذه الأجزاء ، وذلك بإعادة ترتيبها أو بالتبادل في الأوضاع بين أجزائها على النحو التالي :

| | | | |
|---------|---------|---------|---------|
| أ ب ج د | ب أ ج د | ج أ ب د | د أ ب ج |
| أ ب د ج | ب أ د ج | ج أ د ب | د أ ج ب |
| أ ج د ب | ب ج أ د | ج ب أ د | د ب أ ج |
| أ ج ب د | ب ج د أ | ج ب د أ | د ب ج أ |
| أ د ج ب | ب د أ ج | ج د أ ب | د ج أ ب |
| أ د ب ج | ب د ج أ | ج د ب أ | د ج ب أ |

وهذا ناتج من ضرب عدد الأجزاء \times العدد الذى يليه وهكذا ، أى :

$$24 = 1 \times 2 \times 3 \times 4$$

استغل الخليل بن أحمد بثائب فكره هذه النظرية في التبديل بين أجزاء التفعيلة حتى يتضح صوراً أخرى لها ، فرأى مثلاً - أن مفاعلتين (وهى وحدة التفعيلة في الوافر) تتكون من وتد مجموع (مفا) وفاصلة صغرى (علتن) ، فلو عكس (بديل) الرضع لتتج (علتن مفا) وهى تساوى متفاعلتين ، وهى وحدة الكامل . مثال آخر : إن وحدة التفعيلة في الهزج (مفاعيلن) تتكون من ثلاثة أجزاء :

| | | |
|-------|--------|--------|
| الأول | الثانى | الثالث |
| مفا | عي | لن |

فإذا أعدنا الترتيب بحيث يكون الثالث ثم الثاني ثم الأول :

| | | | |
|--------|----|-----|------|
| لأصبحت | عي | لن | مفا |
| وهى = | مس | تسف | علتن |

(وهى تفعيلة الرجز)

وإذا أعدنا الترتيب مرة ثانية بحيث يكون الثاني ثم الأول ثم الثالث :

| | | | |
|--------|----|-----|----|
| لأصبحت | عي | مفا | لن |
| وهى = | فا | علا | لن |

(وهى تفعيلة الرمل)

بل إن الخليل لم يستغل هذه النظرية في التبادل بين أجزاء التفعيلة الواحدة فحسب ، ولكنه استغلها في التبادل بين تفعيلة بجميع أجزائها وتفعيلة أخرى بجميع أجزائها أيضاً .

فالبحر السريع مثلاً يتكون من :

مستفعلن مستفعلن مفعولات

فمن غيرنا (أو بدلنا) مكان مفعولات ووضعناها بين مستعملين ومستعملين
لنتج :

مستعملين مفعولات مستعملين

وهي تفعيلات (البحر المنسرح)

وهكذا سار الخليل على هذا الدرب فوقع في أخطاء تندرج تحت باب عدم
التوفيق بين النظر والتطبيق أو عدم التطابق بين القواعد والشواهد ، إذ نتجت
صورٌ من التفعيلات لا شواهد لها من شعر العرب وهي التي سماها الخليل
(مهملة) . كما نتجت صورٌ أخرى لبحر من الشعر ، مستعملة - ما في ذلك
من شك - ولكن التفعيلات الناتجة مخالفةٌ لبعض الشيء للاستعمال ، وما كان
إلا لأن المنهج الرياضي ليس صالحاً للتطبيق في مسائل اللغة على وجه العموم .

وقبل أن نترسل في بيان هذه الأخطاء مع دواثرها يجب أن نقول إن
الخليل قد اتبع المنهج نفسه في تأليفه معجم (العين) حتى إن من يقرأ هذا
المعجم - وكان قد عرف قبل ذلك فكرة الدوائر - ليتقن ان مؤلفهما رجل
واحد فهو يأتي بالمادة ثم يبدل بين حروفها على نحو ما فعل في التفعيلات
العروضية فـ (ضرب) بالتبادل بين أجزائها يتج :

ض ب ر ر ض ب ر ب ض ب ض ر ب ر ض

وكما نتج له في العروض تفعيلات لبحور مهملة لم تستعمل نتج له كلمات
مهملة لم تستعمل .

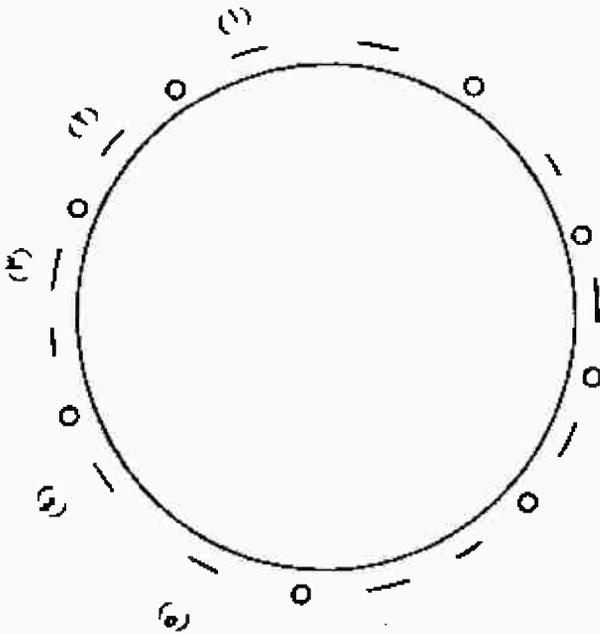
وما كان الشيء بالشيء يذكر فإننا نذكر هنا الاشتقاق الأكبر لابن جنى
الذي تأثر فيه - بلا شك - بالخليل « وهو أن تأخذ أصلاً من أصول الثلاثة
وتعقد عليه وعلى تقاليبه السته معنى واحداً يجمع التراكيب السته وما يتصرف
من كل واحد منها عليه »^(٧٣) ونذكر أيضاً كتاب الثلاثة لابن فارس فتأليفه
قائم على الفكرة نفسها .

(٧٣) مصادر ، ج ٢ ، ص ١٢٤ تحقيق محمد علي النجار . دار الكتب ، ١٩٥٤ .

تستأنف القول عن المواتر فهي مبنية كما قلنا - على نظرية التباديل والتوافق في الرياضة ، ولكن الخليل بعقليته الفذة لا ينص على التبدل بين أجزاء التفعيلة بل إنه يجعل تفاعيل بحر معين في دائرة بحيث تبدأ ثم تنتهي ثم تبدأ وهكذا والذي يتغير هو موضع البداية ، فتغير هذا الموضع تتغير صور التفعيلات ومن ثم نرى صوراً أخرى لبحر جديدة .

الدائرة الأولى وهي دائرة المختلف

وتحتوي على خمسة أبحر ثلاثة منها مستعملة واثنان مهملان .



ويتتابع فيها متحركان فساكن فمتحرك فساكن فمتحركان فساكن فمتحرك
فساكن فمتحرك فساكن ،

فـ و لـ نـ مـ عـ بـ لـ

ثم يتكرر هذا كله مرة أخرى :

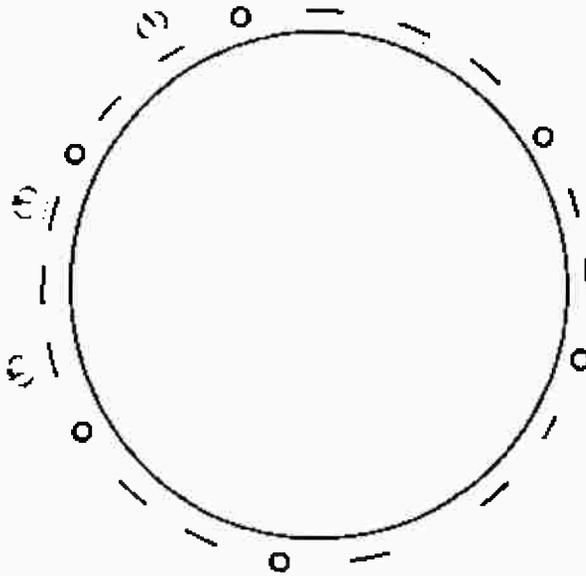
- ١ - إذا بدأنا من الوند المجموع رقم (١) نتج لنا :
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن وهذه تفعيلات البحر الطويل
- ٢ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٢) نتج لنا :
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن وهي تفعيلات البحر المديد
- ٣ - إذا بدأنا من الوند المجموع رقم (٣) نتج لنا :
مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن وهي تفعيلات مهملة لم يتعلمها
العرب
- ٤ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٤) نتج لنا :
مستفعين فاعلن مستفعلن فاعلن وهي تفعيلات البحر السبط
- ٥ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٥) نتج لنا :
فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن وهي تفعيلات مهملة لم يتعلمها
العرب

الدائرة الثانية دائرة المؤلف

ويتتابع فيها متحركان فاكن فمتحركان فمتحرك فاكن .

مما عن ن

ويتكرر هذا مرتين أخريين وتحتوى على ثلاثة أبحر ، اثنان مستعملان والثالث مهمل .

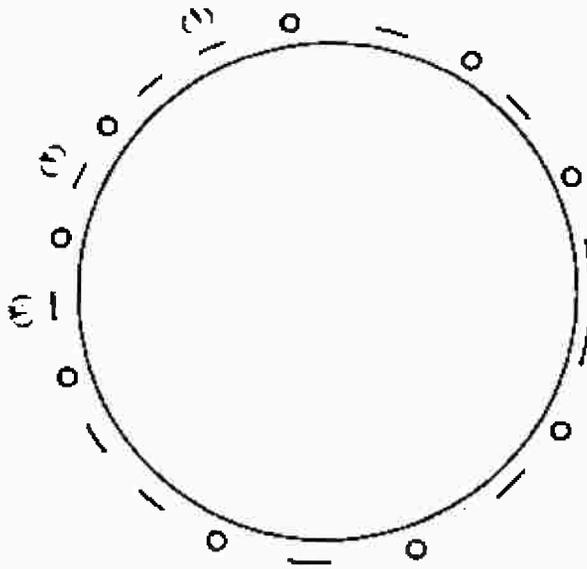


- ١ - إذا بدأنا من الوجد المجموع رقم (١) نتج لنا :
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن وهذه تفعيلات البحر الوافر
مع قطف آخر تفعيلة وجوباً فتصبح (مفاعلتن) وتحول إلى فعولتن
- ٢ - إذا بدأنا من السبب الثقيل رقم (٢) نتج لنا :
متفاعلتن متفاعلتن متفاعلتن متفاعلتن وهي تفعيلات البحر الكامل
- ٣ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٣) نتج لنا :
فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك وهي تفعيلات مهملة

الدائرة الثالثة

دائرة المشته

وتحتوى على ثلاثة أبحر جميعها مستعملة



ويتتابع فيها متحركان فساكن فمتحرك فساكن فمتحرك فساكن

م ف ا ع ل ن

ويتكرر هذا مرتين آخرين

- ١ - إذا بدأنا من الوجد المجموع رقم (١) نتج لنا :
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن وهذه تفعيلات المزج
- ٢ - وإذا بدأنا من السب الخفيف رقم (٢) نتج لنا :
مستفعلن مستفعلن مستفعلن وهى تفعيلات الرجز
- ٣ - وإذا بدأنا من السب الخفيف رقم (٣) نتج لنا :
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن وهى تفعيلات الرمل

- ٢ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٢) نتج لنا :
فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن
وهي تفعيلات مهملة
- ٣ - إذا بدأنا من التوند للمجموع رقم (٣) نتج لنا :
مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن
وهي تفعيلات مهملة
- ٤ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٤) نتج لنا :
مستفعلن مفعولات مستفعلن
وهي تفعيلات البحر المنسرح
- ٥ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٥) نتج لنا :
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
وهي تفعيلات البحر الخفيف
- ٦ - إذا بدأنا من التوند للمجموع رقم (٦) نتج لنا :
مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن
وهي تفعيلات البحر المضارع
- ٧ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٧) نتج لنا :
مفعولات مستفعلن مستفعلن
وهي تفعيلات البحر المقتضب
- ٨ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٨) نتج لنا :
مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن
وهي تفعيلات البحر المجتث
- ٩ - إذا بدأنا من التوند المنزوع رقم (٩) نتج لنا :
فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن
وهي تفعيلات مهملة

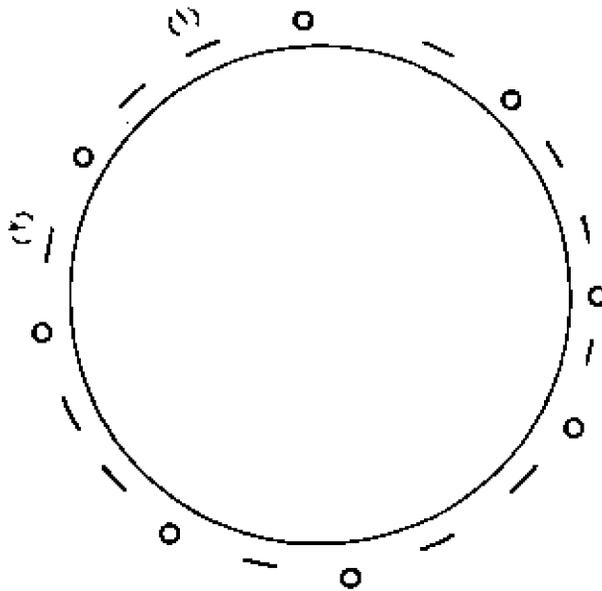
الدائرة الخامسة

دائرة المتفق

ويحتوى على بحرين مستعملين .
ويتتابع في هذه الدائرة حركتان فساكن فحركة فساكن

فـ و ل ن

ويتكرر هذا ثلاث مرات أخرى



- ١ - إذا بدأنا من الوجد المجموع رقم (١) نتج لنا :
فـ و ل ن فـ و ل ن
وهي تفعيلات المتقارب
- ٢ - إذا بدأنا من السبب الخفيف رقم (٢) نتج لنا :
فـ و ل ن فـ و ل ن
وهي تفعيلات المتدارك

وبعد هذا العرض تأتي إلى المآخذ وكلها تتلخص في الفعيل بين الفواعل والشواهد ، (الدائرة الأولى) .

١ - ان بحر المديد كما أنتجت الدائرة مكون من / فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن في الشطر الواحد . في حين أن الواقع الشعري يشهد بغير ذلك فهو لم يحمى إلا على : فاعلن فاعلاتن فاعلن . ومن ثم فإنه من الخطأ أن تفترض أن أصله أربع تفعيلات ثم جاء مجزوءاً .

٢ - ان عروض البحر التطويل (آخر تفعيلة في الشطر الأول) لم يحمى إلا على صورة (مفاعلن) ، وقد أنتجت الدائرة (مفاعيلن) فمن الخطأ وضع قاعدة تقول إن هذا هو أصلها ثم إنها لم تستعمل إلا مقبوضة (حذف الخامس الساكن : مفاعلن) .

٣ - أنتجت الدوائر تفعيلات لبحور ثلاثة لم تستعملها العرب .
(الدائرة الثانية)

٤ - العروض والضرب في الواقع هو (فعولن) بذلك يشهد كل ما جاء من شعر على هذا البحر ، فمن الخطأ أن تقول أن الأصل (مفاعلتن) ثم أصاب هذا الأصل قطف فأصبحت (مفاعل) وحولت إلى فعولن .

٥ - إن هناك بحراً مهملاً أنتجت هذه الدائرة .
(الدائرة الثالثة)

٦ - بحر المزج كما أنتجت الدائرة - مكون من مفاعيلن ثلاث مرات في الشطر الواحد في حين أن شواهد هذا البحر لم تأت إلا على مفاعيلن مرتين في الشطر الواحد ومن الخطأ أن تقول أن الأصل محييه على (مفاعيلن) ثلاث مرات ولكنه لم يستعمل إلا مجزوءاً .
(الدائرة الرابعة)

٧ - إن الدائرة أنتجت البحر السريع وهو مكون من مستعملن مستعملن مفعولات ولكنه لا يأتي إطلاقاً على هذه الصورة . بل إن عروضه وضربه يأتيان على فاعلن أو فاعلان أو فعلن

٨ - أنتحت الدائرة تفعيلات البحر المنسرح وهي مستعملن مفعولات مستعملن في الشطر الأول ومثلها في الثاني ، ولم تجيء هكذا في واقع الشعر ، بل جاءت على صور أخرى مختلفة أقربها إلى ما جاء بالدائرة هي :

مستعملن مفعولات مستعملن مستعملن مفعولات مستعملن

٩ - لعل الخطأ الوحيد الذي وقع فيه الخليل دون أن يكون لتباديل الدوائر علاقة بذلك هو أنه فصل التفعيلة مستعملن في بحرى الخفيف والمجث إلى مستفع لن وفصل التفعيلة فاعلاتن إلى فاع لاتن في بحر المضارع ويرجع السبب في ذلك إلى القاعدة التي تقول « إن الزحاف يختص بثواني الأسباب »

و (مستعملن) تتكون من سبب خفيف + سبب خفيف + وتد مجموع
مس تف علس

ولكن الفاء في السبب الخفيف الثاني لا تحذف أي لا يدخل الطي (وهو حذف الرابع الساكن) هذه التفعيلة . وهذا كسر للقاعدة من أجل ذلك كتبت مستعملن على النحو التالي :

سبب خفيف وتد مفروق سبب خفيف
مس تقع لس

وبذلك أصبحت الفاء في الورد المفروق ، ولكون عدم حذفها غير متناقض مع القاعدة . وقل مثل ذلك في المجث أيضاً .

ونقول بالتعليل نفسه في فاعلاتن في بحر المضارع فإن هذه التفعيلة لا يدخلها الحين فإذا كتبت فاعلاتن كان ذلك كسراً للقاعدة التي تقول بدخول الزحاف على ثواني الأسباب ، من أجل هذا كتبت على هذا النحو : فاع لاتن وبذلك تقع الألف في وسط الورد المفروق بعد أن كانت ثانياً سبب . على أن هناك نقطة هامة في هذه الملاحظة ، ذلك أننا لا نستطيع أن نجزم أن الخليل قد كتب مستعملن على هذا النحو : مستفع لن ، ولا فاعلاتن على هذا النحو : فاع لاتن ، فربما كانت هذه كتابة من لحق به من العروضيين . يؤيد ذلك أن محقق كتاب الكافي في العروض والقوافي يقول : « إنه وجد في جميع النسخ التي استعان بها في التحقيق التفعيلة (مستعملن) متصلة ، وهو أي المحقق

الذى مررها إيضاحاً لتواتر المرفوق^(٧٤) وكذلك يقول عن فاعلاتن إنها وردت هكذا ولم ترد فاع لاتن في أية نسخة من النسخ التى اتخذها موضوعاً للتحقيق^(٧٥). ويرى الجوهري^(٧٦) الاستثناء عن مفعولات حيث أن (مستفع لن) مفروقة التواتر تماثلها في الكم الصوتي ، فكل من التفعيلتين تتكون من سيين خفيفين وواتد مفروق ، مع الاختلاف في الترتيب ، بالإضافة إلى أنه لا يوجد بحر وحدته (مفعولات) . وهو كلام صحيح غير أننا لا نستطيع أن نستغنى بواحدة عن الأخرى فـ (مفعولات) يقع التواتر المفروق في آخرها ، في حين أنه في (مستفع لن) يقع في وسطها . وإلا فهل تغنى مفاعلتن عن متفاعلتن أو العكس حيث إن كلا منهما تتكون من سبب ثقيل وسبب خفيف وواتد مجموع ؟

١٠ إن البحور المضارع والمقتضب والمجتث

| | | | |
|----------|----------|----------|--------------|
| مفاعلتن | فاعلاتن | مفاعلتن | (المضارع) |
| مفعولات | مستفعلتن | مستفعلتن | (المقتضب) |
| مستفعلتن | فاعلاتن | فاعلاتن | (المجتث) . |

في حين أن الشواهد التى وردت على هذه التفعيلات ، وردت مجزوءة

| | | |
|----------|----------|-------------|
| مفاعلتن | فاعلاتن | (المضارع) |
| مفعولات | مستفعلتن | (المقتضب) |
| مستفع لن | فاعلاتن | (المجتث) |

بل إن هذه البحور مع كونها مجزوءة لم تسلم من الزحاف وهذا غير وارد في الدائرة . فالمضارع لا تسلم تفاعله من الكف أو القبط . والمقتضب لا تسلم تفاعله من الحين أو النطى ، والمجتث يقع فيه الحين أو الكف .

(٧٤) الكافي في العروض والقوافى لشجري ص ١٠٩ تحقيق الحسان عبد الله ط الحامى القاهرة

(٧٥) السابق ص ١١٧ .

(٧٦) العمدة ج ١ ص ١٣٥ بصرف .

يبقى بعد هذا أن نقول إن هذه البحور الثلاثة قليلة الاستعمال ، بل إن صاحب أهدى سبيل قال عن المضارع « والذي أورد شواهد هذا البحر هو الخليل أما الأخصش فأنكر أن يكون هذا الوزن من كلام العرب^(٧٧) . وقال الزجاج : ورد ولكنه قليل حتى إنه لا يوجد منه قصيدة لعرب ، وإنما يروى منه البيت والبيتان »^(٧٧) .

وقال عنه القرطاجني : « فأما الوزن الذي سموه المضارع ، فما أرى أن شيئاً من الاختلاف على العرب أحق بالكذب والرد منه ، لأن طبايع العرب كانت أفضل من أن يكون هذا الوزن من نتائجها . وما أراه أنتحه إلا شعبة بن شام ، خطرت صورته على فكر من وضعه قياساً ، فيأليه لم يضعه ، ولم يدنس أوزان العرب بذكره معها ، فإنه أسخف وزن سمع ، فلا سبيل إلى قبوله والعمل عليه أصلاً^(٧٨) .

وقال عنه التبريزي ولم يسمع المضارع من العرب ولم يجيء فيه شعر معروف وقد قال الخليل : وأجازوه^(٧٩) .

وقال عن المقتضب بعد أن أورد بيتين « ولم يعرف غيره شيء من المقتضب على زعم الخليل^(٨٠) . بل إن التبريزي أورد آياتاً ثلاثة على المضارع والمقتضب والمجتث قال عنها محقق الكافي إنها موضوعة^(٨١) .

وقد ذكر أبو انعلاء المعري أن المضارع والمقتضب والمجتث قفما توجد في أشعار المتقدمين ، وأن الخليل وضع هذا البيت للمضارع :

(٧٧) - فهدى سبيل إن عمير جليل ص ٨٣

(٧٨) - تاريخ لطفاء وسراج الأدباء لأن حسين بن أحمد القرطاجني ص ٢٤٣ تحقيق محمد نجيب طبعته دار المعارف ١٩٦٦

(٧٩) - كتاب في العروض وعلومها ص ١١٧

(٨٠) - كتاب في العروض وعلومها ص ١٢١

(٨١) - كتاب في العروض وعلومها ص ١٢٦

وان تدن منه شبراً يقربك منه باعاً
وهو مفقود في شعر العرب ، كذلك وضع هذا البيت للمقتضب :
أعرضت فلاح لنا عارضان من برد
وهو مفقود في شعر العرب أيضاً ، وأما المبحث فيته
البطن منها خميص والوجه مثل الهلال
وهذا الوزن زعم الأخصر أنه قد سمعه في شعر العرب ، وأنشد
جن مبین بلیل بيد بن سيد هـ^(٨٢)

فعله من صائب الرأي بعد ذلك أن تقول إن المقتضب والمضارع والمجث
من وضع الخليل حتى تصدق الدائرة بما أتت به .

١١ - إن الدائرة أتجت ثلاثة بحور مهمة لم يقل عليها العرب شعراً
ونكرر القول بأن هذا وضع لقواعد منفصلة عن الاستعمال .
(الدائرة الخامسة)

١٢ - ليس بها من ملاحظات سوى ما أورده بعض العرويين من أن
الخليل لم ينتبه إلى التندارك ، بل إن الأخصر هو الذي زاده ، وتدارك به على
الخليل ، وبعضهم يسميه المحدث .

وبعد ، فلعلنا بعد عرض الدوائر ثم عرض المؤاخذات بالتفصيل ننتهي إلى
نتيجة مؤداها ، أن كل ما يؤخذ على الخليل إنما كان مبعثه الدوائر ، بحيث إننا
لو افترضنا أن الخليل لم يضع هذه الدوائر واكتفى بأن يعرفنا أن تفعيلات الوافر
مفاعلتن مفاعلتن فعولن ، وأن البسيط : مستفعلتن فاعلتن مستفعلتن
فاعلتن ... الخ أقول لو فعل ذلك لما كانت هناك مؤاخذات توجه إلى الخليل
ذلك أن كل هذه المؤاخذات إنما كانت ناتجة لإحضاع الخليل عروض الشعر

(٨٢) - تصور والغايات في مجيد الله و مواظب لأبي العلاء المعري ص ١٢٢ بصرف و تلخيص . عقيق
محمود . ذات مطبعة حيدري ١٩٣٨ .

للمنهج الرياضي الذي يفترض أن كل ما تأتى به دوائر التبادل من حيث الشكل - مستعمل موضوعاً ، أو قل إنه يهتم بالشكل فقط دون الموضوع .

وعلى ذلك فإن الدوائر تعد ترفاً في الفكر إن صح هذا التصور ، وهي لا تخدم العروض في شيء ، إلا إذا عُدّدتا الترف والإمعان في الفكر فائدة تجنبي .

وتتضح لنا هذه المقدرة العقلية إذا ما قارنا بين التبادل في هذه الدوائر وبين تقسيم الجوهرى لهذه البحور ، أو وضعه إياها في مجموعات قال ابن رشيقي : « وجعل الجوهرى هذه الأجناس اثني عشر باباً على أن فيها المتدارك : سبعة منها مفردات ، وخمسة مركبات ، قال : فأولها المتقارب ثم الهزج ، والظويل بينهما مركب منهما^(٨٣) . ثم بعد الهزج الرمل والمضارع بينهما ، ثم بعد الرمل الرجز والخفيف بينهما ، ثم بعد الرجز المتدارك والبيط بينهما ، ثم بعد المتدارك المديد مركب منه ومن الرمل^(٨٤) . قال ثم الوافر والكامل ، لم يتركب منهما بحر لما فيها من الفاصلة^(٨٥) .

وواضح أن عمل الجوهرى لم يتعد المشابهة بين التفاعلات وأنه مع ذلك وقع في تناقض أشرنا إليه منذ قليل في الحاشية .

(٨٣) يقصد أن وحدة التفعيلة في التقارب (معولن) وفي الهزج (معاعلين) والظويل مركب من الإثنين (معولن ، معاعلين) وعلى ذلك يأتي باقي كلامه .

(٨٤) كنت أتوقع أن يقول « ثم بعد المتدارك الرمل ، والمديد مركب منهما » متعمداً حتى لا يقع في تناقض .

(٨٥) الصلحة ج ١ ص ١٣٦ ر ١٣٧ تحقيق عمى النديم - بيروت ١٩٧٤ .

الحجازيون وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية
في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني
دراسة وثائقية من سجلات المحكمة
الشرعية بالشهر العقارى
(٩٢٣ - ١٢١٣ هـ - ١٥١٧ - ١٧٩٨ م)

دكتور
صلاح أحمد هريدى على
جامعة الإسكندرية وانلك سعود

١٤٠٥ / ٥١٤٠٦ / ١٩٨٥ - ١٩٨٦ م



لقد ساهم الحجازيون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاسكندرية في العصر العثماني (٩٢٣ - ١٢١٣هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨م) ، وقد اعتمدت في هذا البحث على وثائق المحكمة الشرعية بالشهر العقارى بالاسكندرية .
والتمرت بتسميتهم على حسب مسميات هذه الفترة .

وتتمت حياتهم الاقتصادية في اشتغالهم بالتجارة ، واحترافهم بعض الحرف . أما حياتهم الاجتماعية فقد شملت الزواج والطلاق ، والعلاقات الاجتماعية ، مشتملة على علاقاتهم مع بعضهم وعلاقاتهم مع غيرهم ، سواء كانوا من العرب أم من الأجانب .

وقبل التحدث عن حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، لابد من التحدث عن استقرارهم بمصر بصفة عامة ، والاسكندرية بصفة خاصة . فمن المعروف أن اتصال العرب بمصر يرجع إلى عهد سحيقة ، فإن صلات السلالة والدم بين وادى النيل الأدنى وشمال الجزيرة العربية ، هي صلات بعيدة الأصل ، ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، إذ يرى علماء الجيولوجيا أن الجزيرة عبارة عن تكملة طبيعية لصحارى أفريقيا التى يفصلها عنها الآن منبسط وادى النيل ومنخفض البحر الأحمر العميق ، كما ذهبوا إلى أن الجزء الجنوبى الغربى من بلاد العرب عبارة عن بحيرة . وإذا كان البحر والصحراء قد شكلا فيما قبل التاريخ موانع لا يمكن التغلب عليها بالنسبة إلى قوة حرية كبيرة ، وجعلا من مصر بلداً لا يسهل غزوه ، فقد كان الأمر ميسوراً جداً في حالة تسلل أفراد أو جماعات متجولة أو قوافل تجارية صغيرة سواء من الشمال عند شبه جزيرة سيناء حيث تلتقى الصحراء الشرقية ببلاد العرب لقاء دائماً ، أو من الجنوب حيث يشتد اقتراب جزيرة العرب من أفريقية ، عند باب المنديب فلا يفصل بينهما سوى خمسة عشر ميلاً^(١) . وكانت هناك علاقات تجارية بين مصر وجزيرة العرب منذ أقدم العصور ، وظهر ذلك واضحاً في العلاقات التجارية بين الملكة حثشبوت وبين جزيرة العرب ، ويضن أن الذهب كان يستورد في

(١) عبد الله حورشيد البرى ، الفضائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى لتهجرة ، ص ٧ .

عهدهما من هناك^(٢) واحتكر العرب التجارة في مصر لوقت طويل ، حتى جاء الإسكندر الأكبر الذي فكر في إنشاء أسطول ضخم يعمل البضائع مباشرة دون الاعتماد على التجار العرب ، وذلك لكي يقضي على سيادة العرب على التجارة البرية والبحرية ، ويحد من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار البضائع الثمينة والتي كانت تأتي من الشرق إلى أسواق مصر أو بلاد الشام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل ، ومن هناك تنقل إلى أوروبا^(٣) . وفي عهد البطالمة كان ميناء Leuke Kome^(٤) من أهم الموانئ التجارية على سواحل الحجاز ، ومنه تنجس السفن إلى الساحل المصري لتفرغ شحناتها هناك فتقل إما بواسطة القوافل وإما بالفس من القناة المحصورة بين البحر الأحمر ونهر النيل لتتابع طريقها إلى موانئ البحر المتوسط ، وجاءت أساطيل البطالمة التجارية ، التي لا يستبعد أنهم استخدموا فيها خبراء من العرب عركوا البحر وعرفوه قبلهم بعصور إلى البحر الذي يفصل ما بين مصر والجزيرة العربية ، والذي كان يعرف باسم الخليج العربي ، فأدى ذلك إلى اندحار زعامة الجنوب العربي التجارية^(٥) . واستمرت العلاقات بين العرب والمصريين قائمة بعد إنهاء عهد البطالمة وانتقال مصر إلى قبضة الرومان . الذين جعلوها تابعة لحكم قيصرية روما ، وظهرت أعطس القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر ، وعنى بالتجارة البحرية ومياه البحر الأحمر التي عصت بقرصان البحر . وأوعز إلى حاكم مصر اليبوس جالوس ، بغزو جزيرة العرب للاستيلاء عليها وعلى ثروتها التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر والنبان والبخور والأفاوية^(٦) .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٠ .

(٤) يرى بعض الباحثين أن هذه الميناء هي المعروفة قديماً باسم (الحوراء) وموقعها الآن ضمن بلدة أمعج بمسافة قصيرة وأنها لا تزال بارزة . انظر عن الحوراء « للمرحوم الصغراق للبلاد العربية السعودية . قسم شمال المملكة » .

(٥) عبد الله توري ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٦) المرجع نفسه . ص ٢٥ .

وعاش المصريون في الحجاز ، بل في مدينتيه الكبيرتين مكة ويثرب نفسها ، وقد حدث قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بحوالى خمس سنوات سيل عظيم صدع جدران الكعبة ، فأعادت قريش بناءها مستعينة في ذلك بنجار قبطي كان يسكن مكة ويدعى باقوم ، كما أن جبر بن عبد الله القبطي كان أحد الصحابة الذين أخذوا عن النبي دينهم . ولذلك يفخر قبط مصر به . وقد كان رسول المقوقس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بيمارية والهدية . وفي سنة ٦١٠م كان يعيش في الاسكندرية كثير من العرب إلى جانب غيرهم من الأغريق والقبط والسوريين واليهود ، الأمر الذي كان يجعل العاصمة المصرية من أشق البندان حكماً^(٧).

وكان عمرو بن العاص الذي قدر له أن يقود الجيش العربي الذي فتح مصر سنة ٦٢٠هـ تاجراً في الجاهلية ، وتاجر في الأدم (الجلد) والعطر ، وشهد أعياد أهل الإسكندرية وأنعابهم^(٨).

ولما فرغ عمرو من فتح مصر واستقامت نه البلاد ، وضع التنظيم الأساسي للرباط ، فخصص ربع قواته للمرابطة في الاسكندرية وحدها ، وأرباعاً آخر للمرابطة في سائر السواحل المصرية ، أما النصف الباقي فاستبقاه معه في القسطنطينية^(٩). ويذكر المؤرخون أن قوماً من العرب نزلوا في الاسكندرية عقب الفتح على أن الاسكندرية لم يكن فيها خطط ، وإنما كانت «أخائذ» أي من أخذ منزلاً نزل فيه ، ويقال أن الزبير بن العوام اختط الاسكندرية^(١٠) وقد بلغت حامية الاسكندرية في عهد معاوية سبعة وعشرين ألف جندي ، منهم عشرة آلاف من أهل الشام وخمسة آلاف من أهل المدينة

(٧) المرجع نفسه ، ص ٣١ .

(٨) جمال الدين الشيال ، تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الإسلامي ، ص ٣٤ ، سيدة إسماعيل كاشف ، تعريب مجتبع الاسكندرية ، ص ١٨٩ ، والهرى ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٩) جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٣٧ ، وللتزيد من المجلات العربية إلى مصر ، انظر صلاح هريدي ، دور الصعيد في مصر العثمانية ، ص ١٥٩ - ١٩٠ .

(١٠) جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٣٤ .

يرابط فيها دائما لحمايتها^(١١). وظهر من تعرب بعض رجال الفكر مثل ظليل ابن كامل (ت ١٧٣ هـ) وهو من أئمة المجتهدين وقد سكن الإسكندرية ، وحلق بن السمع النفاط (ت ٣١١ هـ) وكان محدثا ومن رجال الأسطون المعصرى أيضاً ابنه إبراهيم^(١٢) وقد سكن الإسكندرية عويم بن عبد الله أبى اندرداء الصحابى الحليل وهو خزرجى أنصارى ، أبى أنه ينتمى إلى إحدى القبيلتين اللتين كانت لهما الزعامة والسيطرة فى المدينة ، وهما قبيلة الأوس والخزرج كما أنه كان من الأنصار من أهل المدينة الذين رحبوا بالرسول عليه الصلاة والسلام عند هجرته إلى المدينة ، ونصروه على أعدائه ، وشاركوا فى فتح الإسكندرية^(١٣) وأقام بعض الصحابة بالإسكندرية مثل عبد الله بن سعد ابن أبى سرح ، وأبو ذر الغفارى ومعاوية بن حديج^(١٤) وعبد الرحمن بن هرمز (١١٧ هـ : ٧٣٥ م) وهو قرشى مدنى وارتبط بأسرة بنى هاشم أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم - برابطة الولاء فهو مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وفى رأى آخر أنه مولى محمد بن ربيعة^(١٥)، واستقرت أيضاً قبيلة جذيم التى اشتركت فى الفتح التى ظلت تضطرب فى الإسكندرية ، منذ عام ١٩٦ هـ حتى ثورة أسفل الأرض الكبرى عام ٢١٦ هـ^(١٦). وحين اضطربت أمور الخلافة العباسية فى أثناء النزاع بين الخليفة العباسى الأمين وأخيه المأمون ظهر أثر ذلك النزاع فى مصر ، وأدرك المعاصرون من المصريين أن الخارجيين وندوا فى مصر إذ ذلك كانوا خارجين على الخلافة ومن بين هؤلاء الخارجين عبد العزيز الجروى الذى استولى على شرق الدلتا ، من مشظوف إلى الفرما ، والسرى بن الحكم الذى استولى على الوجه القبلى من مصر إلى أسوان ، أما غربى الدلتا بما فى ذلك الإسكندرية وأعمالها ومربوط والبحيرة

(١١) سيدة كاشف ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(١٢) عبد الله البرى ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(١٣) جهان النشاپ ، اعلام الإسكندرية فى عصر الإسلام ، ص ١٦ .

(١٤) مرجع نفسه ، ص ٢٤ .

(١٥) مرجع نفسه ، ص ٣٤ .

(١٦) عبد الله البرى ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

جميعها ، فقد ملكتها قبيلتا لحم وجذام ، وهما من العرب اليمنية أو عرب الجنوب . وكذلك ثورة نبي مدنج في الاسكندرية ضد والى الخليفة العباسي عام ١٩٨هـ وبنو مدنج هم بطن من كنانة عرب الشمال^(١٧).

وارتبطت بلاد الحجاز بسلطنة المماليك وكان يخطب لسلطان المماليك من منابر مكة بألقاب « سلطان البحرين وحاوى الحرمين » وحصل سلاطين المماليك على أموال من رسوم تجارة الهند في ميناء جدة ويتبع^(١٨) إلا أن السيادة المملوكية بدأت تضعف في أواخر سلطنة المماليك وخضعت مصر للعثمانيين وبخضوعها خضعت الحجاز تلقائياً ، لأنها كانت تتبع مصر تبعه تلقائية كذلك . ونجمل فيما يلي العوامل التي أدت إلى سيادة مصر على الحجاز^(١٩).

أولاً : كان الحجاز من الناحية الاستراتيجية - منطقة حيوية بالنسبة لمصر من الناحيتين الدفاعية والهجومية .

ثانياً : كانت مصر مركزاً لقوافل الحج التي تكفلت الحكومة المصرية بحراستها .

ثالثاً : إرسال كسوة الكعبة بالإضافة إلى وجود الأوقاف المحبوسة على فقراء مكة والمدينة وعلى الحرمين الشريفين .

وأثناء وجود سليم الأول في مصر استقبل أبانمي بن الشريف بركات الثاني ابن محمد - شريف مكة الذي جاء ليعلن خضوع وطاعة والده مثلما كان يخضع سابقاً للسلطان المملوكي . فأقره سليم في شرافته وحرضه على قتل حاكم حدة المملوكي . وأبقى سليم على نظام الشرافة كما كان من قبل ، مع إنشاء (صنحقية) عثمانية في جدة أطلق عليها العثمانيون اسم ولاية الحش . وعين عليها حاكماً عثمانياً يدعى حسين الرومي وكان مرتبطاً بوالى مصر خاير^(١٧) سيدة كاشف ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(١٨) نعيم زكى مهسي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، أواخر العصور الوسطى ، ص ١٧ .

(١٩) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، الشرق العربي منفتح العناني حتى نهاية القرن الثامن عشر ، ص ٩٤ - ٩٥ .

بك^(٢١). تلك لحظة سريعة عن تطور استقرار الحجازيين بمصر بصفة عامة ،
والاسكندرية بصفة خاصة .

الحجازيون وحياتهم الاقتصادية :

وتعطينا وثائق المحكمة الشرعية سجلاً واضحاً لتعامل الحجازيين في التجارة
وأشكال السلع وطرق التعامل في هذا الميدان .

فلقد تعامل الحجازيون في مدينة الاسكندرية في الجبل والعمل ، مع بعض
المنغارية ، وكان يحدد قيمة الصفقة ونوع العملة^(٢٢) والأرز^(٢٣) والدقيق^(٢٤)
والتين مع عرب الهوارة ، ويحدد وزن الكمية^(٢٥) والقمح^(٢٦) والجمال^(٢٧)

(٢٠) عمر عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٢١) سجل رقم ١ ، مادة ١٥٥٠ ، ص ٣٦٥ بتاريخ ٣ جمادى الأولى عام ٩٥٨ هـ مايو عام ١٥٥١ م
وقد لوحظ أن العملة المستخدمة هي نصف مصة ، وهي نقد توكي ترجع أقدم إشارة إليه في عام
١٥٨٣ م . وقد ضرب أولاً من الفضة بقيمة أربع أنجات (احتشا) وسرعان ما اختلف مركز
الاحتشا باعتبارها الوحدة النقدية التركية الصغرى ، حتى أصبحت الفضة تساوي ١ : ٤٠ من
الفرض بوزن قدره ست عشرة فسخة أي ١١٩ جرام ، ثم انخفض وزنها إلى ربع ذلك في أوائل
لعون الثامن عشر ، وقد أطلق الأتراك العثمانيون على الفضة اسم بارة القارسية . (انظر عبد
الرحمن فهمي ، النقود المتداولة أيام الجبلون ، ص ٥٧٣ ، وانظر أيضاً Stanford Shaw
Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, p. 167.

(٢٢) سجل رقم ٢٦ ، مادة بدون رقم ، ص ٥٨ بتاريخ ١٣ شعبان عام ٩٩٧ هـ / يونيو ١٥٨٨ م .

(٢٣) سجل رقم ٢٩ ، مادة ٢٥٣ ، ص ٩٧ بتاريخ ٢٤ جمادى الثاني ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م .
وبلاحظ أن قيمة هذه الصفقة ثلاثة دنانير ذهب سلطان* جديد ولا يدكر كمية النقرى .

(٢٤) * الدينار الذهبي الشريفي ، يساوي خمسا وعشرين بارة ولكن عقب انبار قيمة النقد عام
١٥٨٤ م ، أصبح كل خمس وثلاثين بارة تساوي دينار شريفي ، (انظر ، عفاف مسعد السيد ،
دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر (٩٧١ - ١٠١٧ هـ / ١٥٦٤ - ١٦٠٩ م) رسالة ماجستير
غير منشورة .

(٢٥) سجل رقم ٩٣ ، مادة ٩٤ ، ص ٩٤ ، بتاريخ ١٠ جمادى الثاني عام ١١٨٧ هـ / أغسطس
١٧٧٣ م . وتقدر الكمية بقنطارين* .

(٢٦) القنطار ، وحدة من وحدات الوزن ، وكان حجمه يختلف تبعاً للزمان ، وكذلك المكان
الذي كان يستخدم فيه عملية الوزن . وفي أواخر العصر المملوكي كان يتراوح وزن القنطار ما

والبقر^(٢٧)، والمنسوجات ، وشمل ذلك قماش القلاع والقوط^(٢٨) والنيلة^(٢٩) .

أما طرق التعامل في ميدان التجارة فكانت متعددة ولا شك في أن بعض التجار كان يعمل لحسابه الخاص ، وسواء على مستوى صغير أو في حجم تجارة كبيرة وهنا نجد أن أرشيفات المحكمة تسجل لنا ميادين تعاقدته وخلافاته مع الغير الذين يتعامل معهم . وكان هناك من يقوم بتكوين شركات للتجارة . وهناك وثائق عن تكوين شركة لتجارة النيلة مع بعض السودانيين^(٣٠) .

ويشهد قطاع التجارة للحجازيين في مدينة الاسكندرية الكثير من المنازعات في هذا الميدان ، تعطينا صورة عن طريقة التعامل البسيطة وطريقة التقاضي والأحكام التي تصدر ، أو الطرق التي كانت تتبع لتسوية الخلافات الودية . وأرشيف المحكمة الشرعية بالاسكندرية ملء بهذه الصور المعبرة عن أممات وأساليب هذا العصر العثماني .

وكانت هناك خلافات تنشأ في قطاع الشراء بالأجل حول المبلغ المتبقى كما هي حالة أحد الحجازيين ، الذي أنكر تماماً ، ولم يستطع البائع إثبات حقه ، لأنه لم يقدم الدليل^(٣١) وعلى هذا نرى أن البائع لم يقدم الدليل على إثبات حقه ،

بين ٤٥ ، ٩٦ كيلو جرام ، ول سنة ١٦٦٥ م وصل وزنه لى ١٢٠ كيلو جرام (انظر حموة نفوس إمارة الحج ، ص ١٢٠) .

(٢٥) سجل رقم ٣ ، مادة ٣٨٥ ، ص ١٢٨ ، بتاريخ ٢ ذى الحجة عام ١٩٦٤ / ١٥٥٦ م . انظر الملحق رقم (٢) .

(٢٦) سجل رقم ١١ ، مادة ٦٦٣ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ٢١ ذى الحجة عام ١٩٥٧ / أكتوبر ١٥٥٠ م .

(٢٧) نفسه .

(٢٨) سجل رقم ١ ، مادة ٧٧١ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ٢١ ذى الحجة الحرام ١٩٥٧ / ١٥٥٠ م . انظر الملحق رقم (١) .

(٢٩) سجل رقم ١٢ ، مادة ١٤٤ ، ص ٥٦ بتاريخ ٢٤ ذى الحجة عام ١٩٨٥ / ١٥٧٧ م . انظر الملحق رقم (٥) .

(٣٠) سجل رقم ١٢ ، مادة ١٤٤ ، ص ٥٦ ، بتاريخ ٢٤ ذى الحجة عام ١٩٨٥ / ١٥٧٧ م .

(٣١) سجل رقم ٣ ، مادة ٣٨٥ ، ص ١٢٨ ، بتاريخ ٢ ذى الحجة ختام شهر ١٩٦٤ / ١٥٥٦ م .

(٥) الخولى ، وهي من صنس وغلائف الجهاز الإدارى في ريف مصر العثمانية ، وبهتة أن يكون

والسؤال هنا هل أن هذه الصفقة قد تمت أم لا ؟ هذه المسئلة تحتاج إلى الإجابة عنها . وقد يطالب البائع بمبلغ أكثر من المطلوب ، ويحدث نزاع بين الاثنين ، كما هي في تجارة الجمال ، فقد باع أحد الحجازيين جملاً إلى أحد من جنوى ووظيفة الجنوى* ، واتفق على تحديد ميعاد لتسديد ، ولكن عند المطالبة أنكر ذلك ، ويحدث النزاع ويتوسط البعض ، وسوى مثل هذا الموقف بأن دفع المشتري مبلغاً يقل عن المطلوب^(٣٢) ومن هنا يرى أنه ربما تكون الوساطة هي التي حكمت بذلك ، أو أن يكون الطرفان قد اتفقا على ذلك ، وقد يتفق على البيع بأقساط ، ولكن بعد دفع عدة أقساط ، يتنع عن دفع الباقي ، وعندما يطالب ، ينكر ، ويذكر أنه قد دفع ثمن الصفقة بالكامل ، ويقسم بيمين الله تعالى ، كما حدث ذلك في تجارة الأقمشة الخاصة بقلاع المراكب^(٣٣) كما حدث نزاع من نوع آخر ، فقد تعاهد أحدهم مع أحد عربان هواراة على توريد كمية من الثين ، ولكن عند استلامها وجد بها عيباً ، وطالب المشتري برد المبلغ الذي دفعه ، ولكن سوى هذا الموقف ، يبيع الكمية على حالتها ، مع تحمل البائع فرق السعر^(٣٤) ، ويحدث أن توفي البائع دون أن يستلم نقوده ، وطالب الورثة المشتري ، واعترف بالمبلغ ، وطالب بإعطائه فرصة لتسديد ، وقد نلاحظ أن المبلغ الذي دفع بعد ذلك يقل عن المطلوب ، كما حدث في تجارة الجبن والتعسل^(٣٥) قد يكون هذا راجعاً إلى الاتفاق بينهم ، وبالإضافة إلى

مستولاً عن حدود القرية . وري الأراضي المزروعة فعلاً ، وصلى هذه الأرض من الغاء وحافظ عن صيانة قنوات الري (انظر Stanford Shaw The Financial and Administrative organization and development of Ottoman Egypt. pp. 54-55

عبد العزيز الشناوي ، السيرة لعنهية دولة إسلامية معترى عنها ، ج ١ ، ص ١٥٩ . عبد الرحمن عبد الرحمن ، الزيف المصري في القرن الثامن عشر ، ص ٤٥) كما أنه يضم شراعات التي نشأ في هذا الموضوع وخاصة الأراضي التي تزوع بالسخرة (انظر إبراهيم زكي ، الحالة المالية وانطور الحكومي والاجتماعي في عهد الحملة الفرنسية وعهد محمد علي ، ص ٣٤) .

(٣٢) سجل رقم ٨ ، مادة ٣٧٦ ، ص ١٣٨ ، بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى عام ١٨٧٣ هـ / عام ١٥٦٥ م .

سجل رقم ١٤ ، مادة ٢٠ ، ص ٦ ، بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى عام ١٨٨٧ هـ / ١٥٦٩ م .

(٣٣) سجل رقم ١ ، مادة ٧٧١ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ٢١ ذى الحجة الحرام ١٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م .

(٣٤) سجل رقم ٣ ، مادة ١٣٤٠ ، ص ٣٢٠ ، بتاريخ ٢٤ ذى الحجة عام ١٨٨٧ هـ / ١٥٧٩ م .

(٣٥) سجل رقم ١ ، مادة ١٥٥٠ ، ص ٣٦٥ ، بتاريخ ٣ جمادى الأولى عام ١٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م .

ذلك ، فقد كان الدفع الفوري ونقداً في الحال ، وفي مثل هذه الحالة يبرىء كلاً منها الآخر^(٣٦) كما في تجارة البقر ، عندما باع أحد أفراد جماعة الجراكسة بالمدينة من بلوك ٩١١ بقرة إلى أحد تجار الجمال ودفع ثمنها بالكامل ، وقد برأ كل منهما الآخر^(٣٧).

أما بالنسبة لشراء وبيع العقارات بالاسكندرية فقد شملته في هذا المجال ، وتم الشراء عن طريق المكاتبة لأحدهم ، وقد يكون هذا الشراء منزلاً كاملاً ، وفي هذه الحالة يذكر مواصفات المنزل بالتفصيل ، كما نص عقد البيع ، على استلام البائع الثمن نقداً ، وأن المشتري قد استلم المنزل^(٣٨) واشترى أحدهم بصفته وصياً على أخواته البنات منزلاً محدداً مواصفاته أيضاً^(٣٩) وأحياناً يشتري أحدهم حصصاً في منزل لأحد الأهالي ، ولا بد في هذه الحالة أن يثبت البائع ، أن هذه الحصص قد نقلت إليه عن طريق الإرث لوفاة أمه ، وعليه أيضاً أن يحدد

كانت قيمة الصفقة تقدر بسنة وثلاثون نصف فضة سيمانية ، ولكن تلقى على دفع أربعة وثلاثين نصف فضة .

(٣٦) سجل رقم ١١ ، مادة ٦٣٣ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ١٢ شوال عام ٨٩٧٨ / ١٥٧٠ م .

(٥) بلوك ، البلوك أو البلك من المصدر التركي يوثق أي أن يقسم . وكلمة بلوك تقسم أو الجزء . وكان الأوجاق يتقسم لمن وحفات صغرى باسم النلوكات وكان رئيس كل وحدة يعرف باسم البلوك باشي ، (انظر ، أحمد السيد سليمان ، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبوتي من الدخيل ، ص ٤٤) وكان كل أوجاق بنفسه إلى عدد من الوحدات تعرف باسم النلوكات ، ويحمل كل بلوك رقماً منسوباً إلى الأوجاق الذي ينتمي إليه مفروضاً باسم الأوجاق (انظر ، عفاف مسعد العبد ، دور الحماية القنابية في تاريخ مصر ، ص ٨٤) .

(٣٧) سجل رقم ١١ ، مادة ٦٣٣ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ١٢ شوال عام ٨٩٧٨ / ١٥٧٠ م .

(٣٨) سجل رقم ٣٨ ، مادة ٨٥٨ ، ص ٢٢٣ ، بتاريخ ٢٢ جمادى الثاني عام ٨١٠٢٩ / ١٦١٩ م .

ويذكر هنا أن الثمن بالنزر محسوب ، والنزر القيروب ، نقد تركي ضرب في عهد السلطان مصطفى الثاني (١١٠٦ - ١١١٥ هـ / ١٦٩٤ - ١٧٠٣ م) أورد صورته إسمايل غائب في نقوش مسكوكات عثمانية (ص ٤١٥) وهو يزن بين أربعة حبة أي ٢٫٦ جم ، وقد أطلق عليه في العولة العثمانية (طفرال النون) وإذا كانت النون تعني في التركية الذهب فإن طفرال نسبة إلى نقش الطفرة أو الطفرة باسم السلطان علي أحمد وجهي هذا النقود . (انظر عبد الرحمن فهسي ، المراجع السابق ، ص ٥٧٥) .

(٣٩) سجل رقم ٤١ ، مادة ٧٨ ، ص ٤٥ ، بتاريخ ٢٤ ذي الحجة عام ٨١٠٦٤ / أكتوبر ١٦٦٣ م .

مقدار هذه الحصة ، و محدودها^(٤٠) كما اشترى أحدهم حصة في منزل آخر^(٤١) واشترت لإحدى النساء من زوجها حصة في منزل وقد قام بعض الأشراف* من سلالة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والذين يعملون بقدمه

(٤٠) سجل رقم ٥١ ، مادة ١٨٧ ، ص ٧٨ ، بتاريخ ٢ ربيع الأول عام ١٠٧٤هـ / أكتوبر ١٦٦٣ م .

(٤١) نفسه ولم يحدد نفس المدفوع .

سجل رقم ٦٥ ، مادة ٩٦ ، ص ٩٦ ، بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١١٣٠هـ / ١٧١٧ م .

(*) الأشراف ، كلمة أشراف تعني أولئك الأفراء الذين هم من نسل سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ، سواء أكانوا عن طريق أجدادهم من الأم أو الأب ، ولم يكن هؤلاء بالضرورة رجالات الدين ، وإنما كان منهم التجار والصانع والفلاح ، وقد تمتع الأشراف باحترام خاص بين جموع الناس وشكلوا جماعة منفصلة ومتصوة وكان يطلق على رئيس هذه الجماعة اسم نقيب الأشراف أو النقيب ، وتناوبه الدولة من أمراء هؤلاء الأشراف ، وكانت وظيفته محترمة ، وكان لقب الأشراف في استنبول سلطة على نقباء الأشراف في الولايات وهو الذين يمتحنهم ، وكانت له سلطة قضائية عليهم ، وكان لقب الأشراف في مصر يرسل من استنبول في بداية العهد العثماني ، واستمر ذلك حتى القرن الثامن عشر ، ثم أصبح يتولاها في مصر شيخ السجادة البكرية من أن البكرى في مصر . وكان لقب الأشراف يحضر الاجتماعات الإدارية الهامة التي كانت تعقد في الإدارة في مصر في شكل جمعيات لحل الأزمات العامة ، وذلك باعتباره شخصية هامة لها ورجا في المجتمع ، ولها تأثير كبير على أتباعها ، وكان لقب يتولى منصبه لمسئولية الحياة . (انظر إبراهيم يوسف مطمح ، تاريخ مصر العثمانية ، من خلال تحقيق مخطوط تحفة الأجياب في تولى مصر من التتوك والتواب ، ١٧٨) .

(*) قلعة الركن ، تذكر عقاب العبد (المرجع السابق ، ص ٧٩) بأنه يلو أن هذه القلعة تمتع بحل حارة الإسكندرية القديمة ، حيث أقام المسلمون محل هذه المنارة قلعة صغيرة بها برج كان يستخدم لمعدية السفن القادمة إلى الإسكندرية ويعرف هذا المكان الآن بطابية قاتينجي وبلغ في الجهة الشرقية من شه جزيرة رأس التين .

(*) برج مصطفى باشا ، يقع على شاطئ البحر المتوسط شرق رشيد ويعرف رجله باسم طائفة حصار مصطفى باشا (انظر عقاب العبد ، المرجع السابق ، ص ٨٠) .

(*) أوده باشي ، من الركبة أوده أي الخرفة ويطلقها الإنكشارية على العسكر وباشي أي الرئيس والياء علامة الإضافة . وهي تعني رئيس الخرفة . وقد رأينا كيف كان الأوجاق ينقسم إلى عدد من الميلوكات . وكان الملوك ينقسم إلى عدة وحدات صغيرة ، كان يطلق على كل منها اسم أوده ويعرف رئيسها بالأوده باشي (انظر أحمد السيد سليمان المرجع السابق ، ص ٦٨) .

(*) مستحفظان ، وهي كلمة مستحفظ في اللغة الفارسية والمستحفظ من يقوم بالمحافظة على حدود الدولة ، أي من يقوم بالدفاع عن الفلاح والحدود من الإنكشارية وكانت تخصص لهم العلوذات (Stanford Shaw, op. cit, p 189) .

الركن* برج مصطفي باشا* من بعض المتولين وطيفة أوده باشي* بيب
مستحققان* لحساب بيت المال* قطعه أرض خلاء^(٤٢) كما لوحظ أيضاً فيما سبق
بالمشاركة في شراء قطعة من الأرض ومنزل^(٤٣).

أما بخصوص البيع في هذا المجال ، فقد باع أحد الأشراف في المدينة إلى أحد
الإسكافيين كل نصيبه في المنزل^(٤٤) ، كما باع أحد نصيبه في الإرث الشرعي
لأخيه^(٤٥) ، وباعت إحدى النساء حصتها في منزل لزوجها بعد موافقة شريكها
في المنزل لحضرة شراء حصتها بحق الشفعة^(٤٦) ووضح من الوثيقة أنه لم يذكر
من بيع رعايا يكون هذا البيع صورياً ، وأحياناً يتم البيع بالوكالة عن زوجته
كحصة في منزل^(٤٧).

(*) بيت المال ، هو التزام ما يعود للخزينة من رسوم وحقوق ومواريث من لا وراث له من عامة
الناس ، أو من رجال الدولة وجندها وموظفيها . (انظر ، إلى عبد اللطيف ، الإدارة في مصر
في العصر العثماني ، ص ٤٤٣) .

(٤٢) سجل رقم ٧١ ، مادة ١٠٤ ، ص ٩٢ بتاريخ أواخر المحرم عام ١١٤٣هـ / ١٧٢٠م .
وقد لوحظ أن العملة المستخدمة هنا هي نصف الفضة والقرش* والمزيد من التفاصيل
انظر سجلات أرقام ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، مواد ٥٦٥ ، ٢٠ ، ١٦٠ ، ٦٩ ، ٢٨٢ ،
١٠٣ ، صفحات ٤١٢ ، ١٣ ، ١١٩ ، ٤٦٠ ، ٤٧ ، ٢٦٨ ، ٦٦ ، بتاريخ ٥ رجب
١١٨٦هـ / ١٧٧٣م ، ١٠ جمادى الثاني ، ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م ، غرة رمضان المنظم ١١٨٨هـ /
نوفمبر ١٧٧٤م ، ٢٠ ذي القعدة عام ١١٨٥هـ / ١٧٧٢م .

(*) القروش ، في الأصل تعريب Groschen الألمانية وهي تعني البياستر Piaster أي النقد
الأسباني ، الفضة الذي بدأ ضربه وتداوله في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، ثم استقر
الشامل التجاري مع بنديان الشرق العربي ، فأطلق على البياستر الفضة اسم قرش وقرش أو قرش
كما يسميه العامة في مصر وقد ضرب هذا النقد في تركيا لأول مرة في عهد سليمان الثاني
(١٦٨٦ - ١٦٩٠) وفي مصر ضربت القروش في عهد علي بك الكبير لأول مرة عام
١١٨٢هـ / ١٧٦٩م (انظر عبد الرحمن فهمي ، المرجع السابق ، ص ٥٧٤) .

(٤٣) سجل رقم ٥١ ، مادة ٦٩٨ ، ص ٣٢٥ ، بتاريخ ٢٩ رجب عام ١٠٧٥هـ / ١٦٦٥م .

(٤٤) سجل رقم ٥٤ ، مادة ٩ ، ص ٧ بتاريخ ٢٩ رجب عام ١٠٧٥هـ / ١٦٦٥م .

(٤٥) سجل رقم ٦٦ ، مادة ١٩٤ ، ص ١٢٢ ، بتاريخ ٢٨ رجب عام ١١٣٢هـ / ١٧١٩م .

(٤٦) نفسه .

(٤٧) سجل رقم ٥٧ ، مادة ٣٧٢ ، ص ١٦٤ ، بتاريخ .

وتقدر الحصة بثلاثة قراريط .

وأخيراً علينا أن نذكر أن سجلات المحكمة الشرعية بالإسكندرية ، تشمل على نوع جديد من النشاط المالي ، والمخالفات التي كانت تحدث فيه ، وهو ميدان الاقتراض ، ثم ما قد يترتب عليه من خلافات في تسديد مثل هذه الديون ، ولقد شارك المحجازيون في الإسكندرية في نشاط هذا الميدان ، وكانوا يقترضون من بعضهم ، كما كانوا يقترضون ويقرضون بعض أبناء مدينة الإسكندرية والمغاربة^(٤٨) وبعض نساء الخاسكيات^(٤٩).

وكان الكثير من عمليات الاقتراض تنتهي بخلافات وبسداد المقرض ما قام باقتراضه ، ولكن سجلات المحكمة الشرعية لا تحتفظ إلا بالأمور الذي حدث فيها خلاف وفي أشكال متعددة .

وكان صاحب المال يضائب أحياناً المقرض بضرورة رهن بعض البضائع حتى يتم تسديد القرض^(٥٠) واقتراض البعض ، وسدد جزء منه ، وقسط الباقي^(٥١) أو سدد القرض على أقساط شهرية^(٥٢) أو حدد الدائن ميعاد التسديد على حسب رغبته^(٥٣) ، وإذا نظرنا إلى ذلك نجد أنه من الممكن أن يضائب الدائن المدين في أي وقت يريه ، ومن المحتمل ألا يكون مستعداً للتسديد ، وتحدث نتيجة ذلك بعض المناكف ، كما هو متبع في مثل هذه الحالة . وقد يكون القرض في ثمن بضاعة مثل علف الجمال ، ويتضح من هذه الوثيقة أن المدين قد دفع ما عليه في الميعاد المحدد^(٥٤) أولاً لإصلاح مركبه ، ولكن تمر سنوات دون أن يدفع ، وعند المطالبة بالتسديد ، أنكر المقرض ، قيمة القرض

(٤٨) سجل رقم ١١ ، مادة ٦٢٦ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ١٢ شوال عام ١٩٧٨ / ١٥٧١ م .

(٤٩) سجل رقم ١٤ ، مادة ٨٩٥ ، ص ٢٥٦ ، بتاريخ ١٧ ذي القعدة عام ١٩٨٧ / ١٥٧٩ م .

(٥٠) سجل رقم ٢٦ ، مادة بدون رقم ، ص ٥٨ بتاريخ ١٢ شعبان عام ١٩٩٧ / ١٥٨٨ م .

(٥١) سجل رقم ٢٦ ، مادة ٣٠٦ ، ص ١٠٢ ، بتاريخ ١٥ رمضان عام ١٩٩٧ / ١٥٨٨ م .

(٥٢) سجل رقم ٣ ، مادة ١١٥ ، ص ٣٩ ، بتاريخ ١٤ شوال عام ١٩٦٤ / ١٥٥٦ م .

(٥٣) سجل رقم ١١ ، مادة ٥٧٦ ، ص ١٥٦ ، بتاريخ ١٧ ذي القعدة عام ١٩٧٨ / ١٥٧١ م .

(٥٤) سجل رقم ١١ ، مادة ٦٢٦ ، ص ١٦٧ ، بتاريخ ١٢ شوال عام ١٩٧٨ / ١٥٧٢ م .

نفسه ، واستشهد ببعض الذين شهدوا بسماع الحديث عن قيمة القرض ولم يشاهدوا إتمام القرض^(٥٥).

وكتبراً ما كان أفراد الحرف الواحدة يقترضون من بعضهم البعض ، أو من بعض أفراد الحرف الأخرى ، مثال ذلك اقتراض بعض الصرافين من بعض الطحانيين^(٥٦).

أما بالنسبة للأمانات والرهنات ، فقد أودع أحد الأشخاص الذين يتولون وظيفة المحتسب^(٥٧) لدى أحدهم مثل بعض الأدوات لحفظها في عملة بعض الوقت ، وعند مطالته بردها ، أخبره بأنها قد فقدت منه ، وحدث نزاع بين الطرفين وتدخل البعض ، وانتهى الأمر بدفع ثمنها على قسطين ، وقد ضمن البعض هذا الاتفاق^(٥٨).

أما احترافهم لبعض الحرف ، فلا بد من الإشارة السريعة إلى تكوين نظام الحرف في تلك الفترة ، الذي كان قائماً على التكوين الديني والعرفي للطوائف فمع استثناءات قليلة ، كان أعضاء الطائفة يتمون إلى نفس المجتمع المحلي الديني أو العرفي ، وإذا مارس أعضاء نفس الديانة نفس الحرفة فإنهم يشكلون طائفة من التجار كذلك يشكلون طوائف على حسب بلادهم ، ونوع تجارتهم ، وعبادتهم الدينية^(٥٩) وقد وجدت حرف أخرى شارك المسلمون بتبرهم من الذميين مثل حرفة صناعة الأحذية ، وحرف العطاراة^(٦٠).

(٥٥) سجل رقم ٨٤ ، مادة ٨٠ ، ص ٣٢ ، بتاريخ أوائل شعبان عام ١١٧١ / ١٧٥٧ م .

(٥٦) سجل رقم ٣٩ ، مادة ٤١٥ ، ص ١٢٨ ، بتاريخ ١٧ جمادى الأولى عام ١١٠١ / ١٦٠٢ م .

(٥٧) المحتسب ، ويعرف بأمين الخمسة الشريفة ، وقد اشترط في شغل هذا المنصب في العصر الإسلامي النفقة في الدين . وكان هذا المنصب قاصراً طوال العصر العثماني على أفراد الجاويشية . وكان المحتسب يقوم بالإشراف على الأسواق وضبط الموازين والمكاييل وتسعير المواد التجارية وضبط الأمن (انظر ، عفاف العبد ، المرجع السابق ، ص ٧٥) .

(٥٨) سجل رقم ١٦ ، مادة ١٠٧٤ ، ص ٣٩٠ ، بتاريخ ١٧ جمادى الثانية ٩٩٥ / ١٥٨٦ م .

(٥٩) Baer Gabriel Guild in Egypt in Modern times, p. 21.

(٦٠) ليلي عبد اللطيف ، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان الحكم العثماني ٨٣ .

وقد اشترك الحجازيون في مدينة الاسكندرية في قطاع الحرف والصناعات ، وأحيانا أن يذكر أنها كانت صناعات صغيرة ، وتعتمد على ورش صغيرة ، وكانوا يستعملون الحجر الخرد ، ثم يقومون بصاعته حسب المطلوب^(٦١) ، وشارك بعضهم في حرفة الصياغة ، وأحيانا قام بعضهم بهذه الحرفة لحساب عمير ، فاستأجره كهيئة من القرضه من إحدى السيدات ليصنعها لها ، ولكن أصبح بعد ذلك أنه لم يتم تنفيذ المطلوب ، بالإضافة إلى نقص المدان ، وأنكر ثم عاد . اعترف بأن إحدى صدقاتها قد استلمتها^(٦٢) . ولكن لا يعرف على أسرار تصرف مثل هذا التصرف . واحترف بعضهم حرفة التجارة على المركب^(٦٣) وقد لوحظ أن بعضهم كان يعمل على مركب الغير ، وفي مثل هذه عقد اتفاق بين صاحب المركب والبجارة ، ويحدد أجورهم ، حيث كانوا يعادون في أجورهم مع البجارة الآخرين من الجنسيات الأخرى^(٦٤) . ولكن في حالات أخرى حدثت بعض المشاكل على تحديد الأجر المتفق عليه^(٦٥) . وعمل بعضهم بالصياغة^(٦٦) والتجارة^(٦٧) ، والطباليين^(٦٨) .

، هكذا نجد أن الحجازيين قد ساهموا في جميع ميادين النشاط الاقتصادي مع عدهم من سكان مدينة الاسكندرية ، سواء في التجارة أو الأموال أو الحرف والصناعات ، وعلى قدم المساواة مع غيرهم من رعايا الدولة العثمانية .

- (٦١) سجل رقم ١١ ، مادة ١١٧ ، ص ٣٥ بتاريخ ١٦ رجب عام ١٢٧٨هـ / ١٥٧٠م .
(٦٢) سجل رقم ١ ، مادة ١٦٢ ، ص ٣٥ بتاريخ ١٧ رمضان عام ١٢٥٧هـ / ١٥٥٠م .
(٦٣) سجل رقم ٣٧ ، مادة ١٠٢ ، ص ٢٦ ، بتاريخ ١٧ ربيع الأول عام ١٢١١هـ / ١٦١١م .
(٦٤) سجل رقم ٢٣ ، مادة ٥١٨ ، ص ١٤٥ ، بتاريخ سنه١ شعبان عام ١٢٩٥هـ / ١٥٨٦م .
(٦٥) سجل رقم ٤٩ ، مادة ٤٦٩ ، ص ١٧٦ ، بتاريخ ١٤ محرم ١٢٦٥هـ / ١٥٦٤م .
(٦٦) سجل رقم ١٨ ، ص ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ وهي مجلات بها الكثير عن هذه الحرفة .
(٦٧) سجل رقم ٢٣ ، مادة ٥١٨ ، ص ١٤٥ ، بتاريخ سنه١ شعبان عام ١٢٩٥هـ / ١٥٨٦م .
(٦٨)

ثانياً : حياتهم الاجتماعية :

أما بالنسبة لحياتهم الاجتماعية في مدينة الإسكندرية فقد تعددت فشملت الزواج والطلاق والميراث والأوقاف ، والاعتداءات على بعضهم البعض أو مع الآخرين ، والميراث ، والأوقاف ، والأشرف ، وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى .

وبالنسبة للزواج ، فقد شمل ذلك زواجهم من بنات الأهالي^(٦٩) وينص عقد القران على المقدم والمؤخر ، وأيضاً الكسوة السنوية ، وأن المؤخر كان يقسط على أقساط شهرية^(٧٠) كما كان أحياناً المقدم أقل من مؤخر الصداق^(٧١) . وهناك ما عرف بالزواج المشروط ، مثال ذلك تشتط إحدى الزوجات على زوجها ، بأنه إذا تزوج غيرها ، تكون طالقاً منه دون أن يطلق اللفظ نفسه^(٧٢) . كما شمل الزواج من إحدى بنات المغاربة^(٧٣) وأيضاً من بعض المعتوقيات الحبشيات^(٧٤) والزواج من أرامل ، عل أن تذكر أنها قد أوفت العدة الشرعية^(٧٥) ، بالإضافة إلى الزواج من أرملة ومعها أولادها ويتعهد في مثل هذه الحالة الإنفاق عليها وعلى أولادها^(٧٦) .

وانفق عند الطلاق على اقتسام أثاث المنزل وغير ذلك ، وفي مثل هذه الحالة تتطلب من مطلقها رد بعض الأشياء الخاصة بها^(٧٧) ، وقد تم الطلاق في بعض الحالات بناء على طلب الزوجة الحامل^(٧٨) أو بناء على طلب وكيلها مثل زوج

- (٦٩) سجل رقم ٧٢ ، مادة ٢٣٠ ، ص ١٧٨ ، بلون تاريخ .
(٧٠) سجل رقم ٤ ، مادة ٥١٨ ، ص ٣٨٦ ، بتاريخ ١٩ شوال عام ١٩٨٠م / عام ١٥٧٣م .
(٧١) سجل رقم ١٦ ، مادة ١١٥٨ ، ص ٤٤٣ ، بتاريخ ٣ محرم عام ١٤٠١هـ / ١٦٠٥م .
(٧٢) سجل رقم ١٨ ، مادة ٤٤ ، ص ١٥ ، بتاريخ ١٠ جمادى الأولى عام ١٩٩٠م / ١٥٨٣م .
(٧٣) سجل رقم ٥١ ، مادة ٥ ، ص ١٤٤٣ ، ص ٥ ، ٦١٦ ، بتاريخ ١٨ رمضان ١٤٠٧هـ / ١٦٦٦م .
(٧٤) سجل رقم ٧١ ، مادة ٥٦٦ ، ص ٢٤٣ ، بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى عام ١٤٠٧هـ / ١٦٨٥م .
(٧٥) سجل رقم ٢٩ ، مادة ٢٨٤ ، ص ١٠٦ ، بتاريخ ٤ رجب عام ١٤٠١هـ / ١٥٩٢م .
(٧٦) سجل رقم ٣٥ ، مادة ٦٨٤ ، ص ٢٣١ ، بتاريخ ٢٤ ذي القعدة عام ١٩٩٦م / ١٥٨٧م .
(٧٧) سجل رقم ١ ، مادة ٣٢٣ ، ص ٧٢ ، بتاريخ ٩ شوال عام ١٩٥٧م / ١٥٥٠م .
(٧٨) سجل رقم ٣ ، مادة ١٠٦ ، ص ٣٦ ، بتاريخ ١٢ شوال عام ١٩٦٤م / ١٥٥٦م .

أما ، ففى هذه الحالة ، يطلب الزوج منها التنازل عن مؤخر الصداق^(٧٩) .
ومن هنا نرى أن المطلق اشترط على مطلقته بأن الطلاق لن يتم ما لم تبرئه من
مؤخر الصداق ، ولا نعرف سبباً لذلك .

وتضمنت الحياة الاجتماعية لمطأً آخرًا مثل الاعتداء على بعضهم البعض أو
الاعتداء عليهم من جانب الأهالى ، وغير ذلك ، واتخذت أنواعاً متعددة مثل
الثلث بألفاظ نائية ، فقد اعتدى بعض الادكارية على بعضهم باللفظ بقوله
« طعميك يا حرامى » ، وكان من نتيجة ذلك طالب بالتعويض ، وعند
المواجهة أنكر ، واستشهد ببعض ، واتضح بعد ذلك بأن الطرف الآخر قد
استولى على علف جماله ، مما أدى إلى أن الاثنين قد تبادلوا الألفاظ النائية ،
وترتب على ذلك أن القاضى قد أصدر حكماً ضد^(٨٠) ، كما اعتدى أحد
الأهالى على أحدهم بألفاظ نائية ، وعند مواجهته أنكر حدوث ذلك ، ولكن
أكد الشهود ذلك^(٨١) ، وعلى الجانب الآخر اعتدى أحدهم على بعض الزياتين
بلفظ ناب ، وطالب بالتعويض المناسب^(٨٢) .

أما الميراث فإنه اختلف حسب نوعه ، فقد يكون الميراث عبارة عن أموال
ثم بضاعة ، باعها التاجر قبل وفاته ، ففى مثل هذه الحالة طالب الورثة
المشترى بالمبلغ ، الذى وعد بالتسديد ، بعد خصم نسبة منه^(٨٣) ، وقد تكون
التركة تشمل بعض الأبنية ، وبضاعة ومراكب وعقارات ، مشاركة بينه
- المتوفى - وبين أخيه ، وأراد أبنائه الأنفرد بالميراث وحدهم ، ولكن يثبت
أخوه حقه فى المشاركة ، وانتهى الوضع على تقسيم الميراث مناصفة^(٨٤) أو أن
يكون الميراث عبارة عن إحدى المعترقات^(٨٥) أما بالنسبة للوصاية على

(٧٩) سجل رقم ٩ ، مادة ١٨٦ ، ص ٥٨ ، تاريخ ٨ رجب عام ١٣٧٧ / ١٥٧٧ .

(٨٠) سجل رقم ١٤ ، مادة ٢٠ ، ص ٦ ، تاريخ ٢٥ جمادى الأولى عام ١٣٧٩ / ١٥٧٩ .

(٨١) سجل رقم ١١ ، مادة ٥٧٦ ، ص ١٥٦ ، تاريخ ١٧ شوال عام ١٣٨٧ / ١٥٧١ .

(٨٢) سجل رقم ٢٣ ، مادة ٥١٨ ، ص ١٤٥ ، تاريخ مستل عام ١٣٩٤ / ١٥٨٥ .

(٨٣) سجل رقم ١ ، مادة ١٥٤٠ ، ص ٣٦٥ ، تاريخ ٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٨ / ١٥٥١ .

(٨٤) سجل رقم ٦٤ ، مادة ٥٠ ، ص ٣١ ، تاريخ لورنر لى القصة عام ١٣٦١ / ١٧١٠ .

(٨٥) سجل رقم ١١ ، مادة ١١٧ ، ص ٣٥ ، تاريخ ١٦ رجب عام ١٣٨٧ / ١٥٧٠ .

الشركات ، فقد تكون الوصية إحدى السيدات ، لإخوتها الأشقاء ، وإخوتها من الأب ، فبذلك تقوم بتقسيم التركة ، وانفقوا على استلام نسيبهم من الميراث نقدياً ، وكتبوا حجة بذلك^(٨٦) ، وأحياناً تتنازل إحدى السيدات الوصية على أولادها القصر ، لوالدها ، على أن يدفع مبلغاً معيناً يومياً لكل منهم^(٨٧) ، أما بالنسبة لنزاع على الميراث ، فقد حدث نزاع بين أحد الورثة عقب وفاة إحداهن ، واحصر إرثها في أولاد عمها ، ولكن طالب أحد أبناء أخيها في الميراث ، وثبت بعد ذلك أن ابن أخيها من والدتها ، وتطور النزاع ، وندخل وجهاء القوم في المدينة لحل هذا النزاع مثل دزدار* الحصار الكبير الاشرق* والجوريجي* وأغا الخوالة* لإنهاء هذا النزاع^(٨٨) . وقد لوحظ أن أحدهم شهد على بعض الوصيات^(٨٩) .

ويأتى بعد ذلك الأوقاف ، أحدهم من أوقاف الطريقة البرهانية* بعض الأراضي الحجازية^(٩٠) ، وأوقف بعضهم مكاناً بجوار مقام الشيخ ياقوت العرش

(٨٦) سجل رقم ٦٤ ، مادة ٥٩ ، ص ٣٥ بتاريخ أواخر ذي القعدة عام ١١٢١ هـ / ١٧١٠ م .

(٨٧) سجل رقم ١٤ ، مادة ٤٢ ، ص ١٣ بتاريخ جمادى الأولى عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م .

(*) الحصار الأشرق ، أشأه السلطان قابلي (١٤٦٨ - ١٤٩٦) . انظر محمد بن أبي

السرور ليكري ، كشف الكوة برفع الظلمة ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، ص ٣٢٧ .

(*) دزدار ، كلمة فارسية مكونة من مفعلين ، ذر بمعنى مستحفظ أو حاكم ، ودار بمعنى

قنعة ، الكلمة تعني مستحفظ للعبة أو قائد لقنعة (انظر ، إبراهيم بونس ، المرجع السابق ، ص

٤٧) .

(*) الجوريجي ، هو الخايز علي رنية عسكرية تعادل اليورباشي (والقيبي) وكان يطلق في

الاستعمال العثماني على ضباط الإنكشارية ، والجوريجية هم الرسل التي كانوا يرسلون إلى

الأممكي الجديدة لتسليم الرسائل وجمع الضرائب (انظر محمد شفيق غريبال ، مصر عند مغترق

الطرق ، ص ٢١) .

(*) أغا أمر ، بك سيد ، ضابط المنازير من الخدام والأهلياع ، (انظر ليلى عبد الخطيب ،

الإدارة في مصر ، ص ٤٣٩) .

(٨٨) سجل رقم ٧٢ ، مادة ٢٣٠ ، ص ٦٧ ، بتاريخ منهل شهر صفر الحمر ١١٠٥ هـ /

(٨٩) سجل رقم ٤٦ ، مادة ١٧٨ ، ص ٦٧ بتاريخ منهل شهر صفر الحمر ١١٠٥ هـ / ١٦٤٤ م .

(*) الطريقة البرهانية ، وهي إحدى الطرق الصوفية التي كانت موجودة في العصر العثماني

(انظر توفيق الطويل ، التصرف في مصر إبان العصر العثماني ، ص ٧٥) .

تشمل على ست نسكن ، وبت آخر وقطعة أرض حالية ، بالمكان المذكور ،
 وحدد حدوده . وقد ذكر بالحجة أن هذه الأشياء آيلة لهم بالميراث الشرعي
 من قبل والديهما . وأقر بأههما وفقاً لذلك شرعاً بحيث لا يباح ولا يوجب لأحد
 ولا يرهن ، ولا يستبدن جزءاً منه أو بعضه . وبطل هذا الوقف إلى أن يثبت
 لله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، واشترط المستعان من الوقفية أن
 يتم الصرف على مقام سيدي باقوت العرش ، وعلى فقراء المسلمين من قبل
 أنفسهما وفي ذريتهما من بعدهما ومن هم في درجات القرابة ، وعين الناظر على
 الوقف وحدد واجباته التي تشمل الصرف على الوقف والعناية بالمباني وصيانتها
 وغير ذلك من الشروط الأخرى^(٩١).

وفي النهاية يأتي منصب نقيب الأشراف كما سبق أن أشرنا ، فقد تولاه
 الشرايفة بالمدينة ، وكنت وصيته التي يجب اتباعها بخصوص ذلك ، وهو اتباع
 الحسنى واتقاء الله^(٩٢) كما تولى بعض الأشراف الوظائف الأخرى مثل وظيفة
 ناظر شرعي على مقام سيدي عبد الرزاق وزاوية وخلعة السجادة الشريفة ،
 وبقيا بالزاوية والضيح الشريف ، وعليه عمارة الضريح والقرايات حسب
 الضريفة والشريعة وإتمام الشعائر بها^(٩٣) وتولى بعضهم وظيفة جوريجي بالحصار
 الكبير الأشراف .

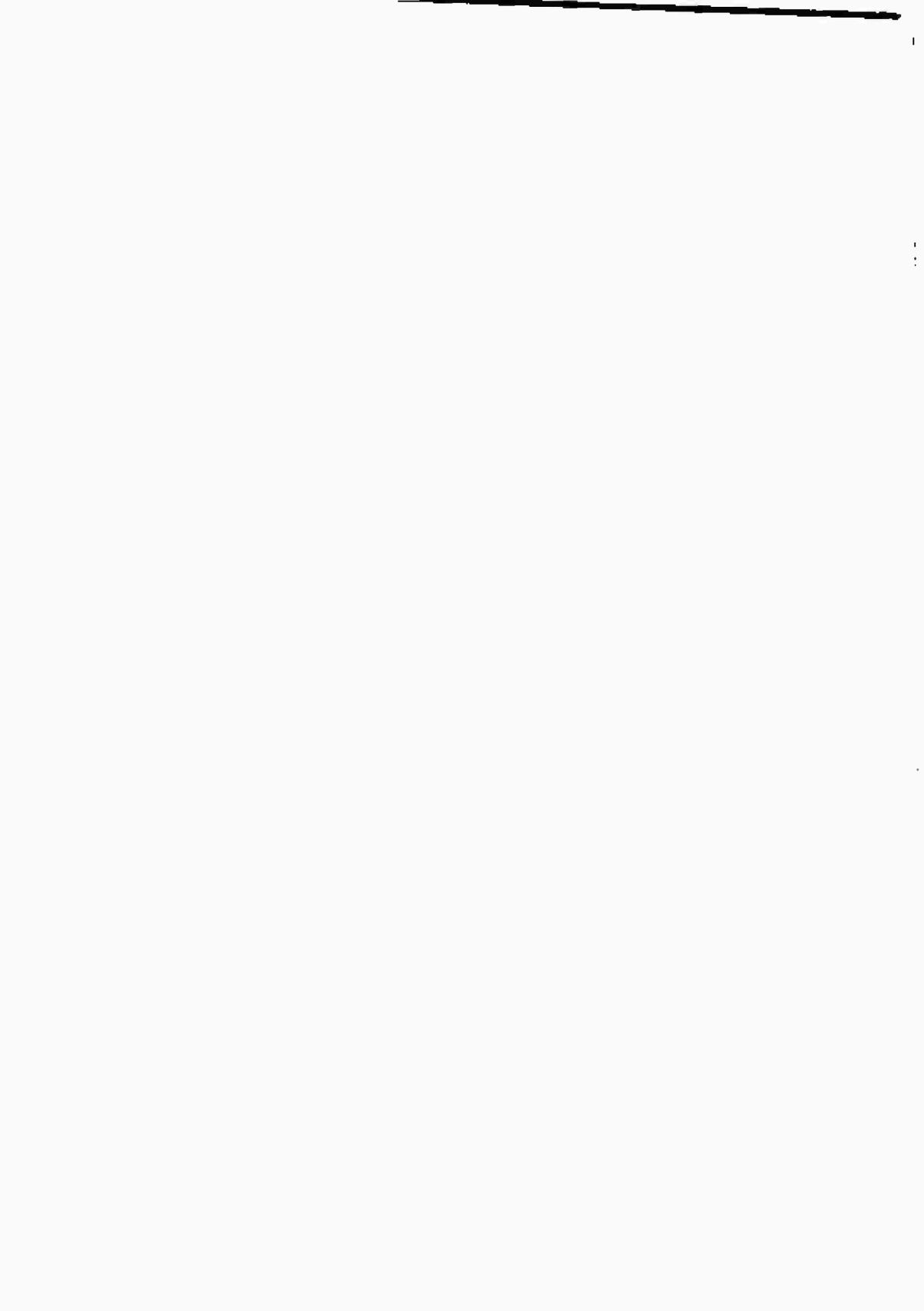
هكذا ساهم الخجاريون في الحياة الاجتماعية بكافة أوجهها ، وفي الخدم
 أدعو الله سبحانه ونعاني ، أن نكون قد وقعت بعض الشيء في إلقاء بعض
 الضوء على حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، وأن أسد ثغرة في تاريخنا الحديث
 والله وحده ولي التوفيق .

(٩١) سجل رقم ١٠٠٠ ، سنة ٩٥٨ ، ص ٢٥٧ ، تاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٢٥٥ هـ ، ١٤٥٥ م .

(٩٢) سجل رقم ١٠٠٠ ، سنة ٩٥٨ ، ص ٢٣٩ ، تاريخ ١٠ ربيع الأول ١٢٥٦ هـ ، ١٤٥٦ م .

(٩٣) سجل رقم ٩١ ، سنة ٥٥٥ ، ص ٥٩ ، تاريخ ١٨ ربيع الأول ١٢٥٣ هـ ، ١٤٥٦ م .

ملاحقہ



ملحق رقم (١)

مصدر الوثيقة : سجلات المحكمة الشرعية بالاسكندرية .
سجل رقم ١ مادة : ٧٧١ ، ص ١٦٧ بتاريخ ٢١ ذى الحجة الحرام عام
١٩٥٧ / ديسمبر عام ١٥٥٠ م .
موضوع الوثيقة : بيع فوط .

لدى سيدنا الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد الکتامی أیده الله

اشترى المعتم رمضان بن الحاج علی بن الحاج محمد المعروف بابن عویدات
بماله لنفسه من المعلم محمد بن المرحوم الحاج علی سلیمان المعروف بالحجازی
وبابن كراع جمع عشرين فوطه أقر محمد بن علی بن سلیمان المعروف
بالحجازی من كراع إقراراً شرعياً أن فی ذمة المعتم رمضان بن الحاج علی بن
الحاج محمد المعروف بابن عویدات من الفوط الذهبی ثمانية عشر يقوم له بذلك
فی سلخ أربعة أشهر تمضى من تاریخه أعلاه وقدرته علی ذلك ویقبض رأس مال
السهم عن ذلك من الذهب السلطانی الجدید خمسة عشر دينار القبض الشرعی
وما فی ذلك بما قاصده مردین عنیه من الذهب الموصوف سبعة دنانیر وبماله
حالياً به علی ذمته شهادة شمس الدین بن عبد الله بن عبد الواحد مرضیان
الشریف به ودنانیره وحواله الفصل من علی بن رضوان بدینار واحد وباقی
ذلك وحل إنیه بتصادفهما علی ذلك التصادق الشرعی جرى ذلك فی تاریخه .
الثلاثاء المبارک الحادی والعشرين من ذی الحجة الحرام سنة سبع وخمسين
وتعمایة .

* * *

ملحق رقم (٢)

سجل رقم ٢٩ ، مادة ٢٥٣ ، ص ٩٧ بتاريخ ٢٤ جمادى الثاني عام ١٠٠٠هـ / مارس عام ١٥٩١م .
موضوع الوثيقة : شراء حجازى قمح من هوارى .

وفيه لديه

ادعى عطية بن اسماعيل الهوارى على اسماعيل بن عمر الحجازى العيساوى أنه يستحق في ذمته أربعة وعشرين ديناراً اكالنة ثمن اثني عشر غرزة قمح بالكيل السكندري ابتاعها منه وسلمها عود ورفيقه أبو دافية من قريته العيساوى من نحو أربعة أشهر بعد تاريخه وعمله في ذلك كان ومنها ما يسلّمانه في الذمة والمال والضمان الشرعى وطالبه بذلك وساله سوائه فسيل المدعى عليه المذكور عن ذلك فأجاب بالاعتراف بذلك على الجمل المشروح وخرجاً على ذلك منه وصحبهما عمر الحجازى والمدعى عليه بذلك وخصص منه وبذم اسماعيل المذكور في اثني عشر ديناراً من المبلغ المدعى عليه المذكور أعلاه الضمان الشرعى بالإذد انشرعى المقبول عارفون بمضى الضمان وما يترتب عليه شرعاً ذلك عليه المذكور لذلك الشهود الشرعى في تاريخه .
تحريراً في ٢٤ جمادى الثاني عام ألف من الهجرة .

الشهود

ملحق رقم (٣)

سجل رقم ١٨ ، مادة ٤١٥ ، ص ١٤١ بتاريخ ١٨ شعبان عام ١٠٩٠هـ / أغسطس عام ١٥٨٢م .
موضوع الوثيقة : احتراف بعض الحجازيين حرفة الصراف .

وفيه لديه أحسن الله إليه

تصادق الحاج عمران بن سالم الفحازي الصراف بالشر المذکور والحاج
علاء الدين بن بدر الدين اللوقيني المذولب في الطواحين بالشر تصادقاً شرعياً
وهما بحاشي صحة واختيار على أن آخر ما يستحقه الحاج عمر المذکور بدمه
الحاج علاء الدين المذکور من سایر الحقوق والمعاملات والعلق والتبعات
والدعاوى والمطالبات والإيمان الواجبات مبلغ قدره من الذهب الأکرونی خمسة
وعشرون ديناراً وعلى أن الحاج عمران المذکور أن الحاج علاء الدين المذکور
على أن يقوم له بالمبلغ المذکور مفسط على ثلاثة عشر شهراً قسط كل مستوفى
في آخره من تاريخه ديناران إلا القسط الأخير فإنه دينار واحد إطار شرعياً
لعلمه بحاله أنه لا يقدر على وفاء ذلك كذلك وعلى أن الحاج عمران المذکور
فريق وكل فريق منهما لا يستحق على الفريق الآخر مطلقاً تعامللاً ولا استحقاقاً
ولا دعوى ولا قتل ما يوجه ولا مندولاً ولا فضة ولا ذهباً ولا ديناراً ولا سطر
ولا غيره ولا استمرار ولا فلوساً ولا نحاساً ولا ربحاً ولا خسراً ولا طحناً ولا
دقيقاً ولا منخياً ولا مدنوراً ولا سهواً ولا نسياناً ولا علقة ولا تبعه ولا حقاً
من سایر الحقوق على الاطلاق والعموم والأسفر والشمول المبلغ المذکور
وقدره من عند تكرار خمسة وعشرون ديناراً ذهباً اکرونیاً فإن ذلك باق
لنحاج عمران المذکور من الحاج علاء الدين المذکور على الحكم المشروح
تصادقاً على ذلك وثبت الأشهاد بذلك لدى سيدنا الحاکم المشار إليه بشهادة
شهوده وصدوره لديه ثبوتاً شرعياً وحكم أعز الله احكاماً بموجب ذلك
صحيحاً شرعياً تاماً معتبراً مرضياً مسيولاً في ذلك وأشهد على نفسه الکریمه
بذلك وبه شهد في تاريخه .

تحريراً في ١٨ شعبان عام ٩٩٠هـ

ملحق رقم (٤)

سجل رقم ١١ مادة ٦٣٣ ، ص ١٦٧ بتاريخ الجمعة المبارك ١٢ شوال عام ١٥٧٨هـ / فبراير عام ١٥٧٠ .
موضوع الوثيقة : شراء بقرة لبعض الجمالين .

وفيه لديه

شهد على الناصري محمد بن أحمد من جماعة الجراكسة من بلك اثنا عشر الأشهاد الشرعى أنه قبض واستوفى من سالم بن محمد الحجازى الجمالى مبلغ قدره من الذهب الأكرولى أربعة دنانير القبض والامتسهاد الشرعيين وأن ذلك هو القدر الذى كان يستحقه في ذمته فمن بقرة معلومة لهما المتاعه له منه قبل تاريخه بتصادفهما على ذلك التصادق الشرعى وصدر بينهما إثبات شرعى من كل شيء ولى كل شيء من اليمين بالله تعالى من وجب .
تحريراً في يوم الجمعة المبارك ١٢ شوال عام ١٥٧٨هـ .

* * *

ملحق رقم (٥)

سجل رقم ١٢ ، مادة ١٤٤ ، ص ٥٦ بتاريخ ٢٤ ذى الحجة عام ١٥٨٥هـ / فبراير عام ١٥٧٧م .
موضوع الوثيقة : مشاركة بعض الحجازيين مع بعض السودانيين في تجارة النيل .

وفيه لديه أحسن الله إليه

ادعى منصور بن على الجداوى وحرارز بن على السودانى على سالم بن الحاج سليمان الصباغ الكمامى أنه اشترى منها سوية نيل بلدى معلوم لهم في شهر شعبان سنة تاريخه بخمسة وثلاثون ديناراً ذهباً جديداً دفع له من ذلك ثمانية

وعشرين دينار ونصف دينار على فترات متفرقة وتأخر لهما بدمته ستة دنانير ونصف دينار وبطانباه بذلك فسيل عن ذلك فأحاب بأنه اشترى منها النبل المذكور وتأخر لهما بدمته من الثمن المذكور ثلاثة دنانير ونصف دينار وربع دينار فلم يصدقه على ذلك وطال النزاع بينهما فوقف بينهما واسطة خير لله تعالى فتصادقوا تصادقاً شرعياً على آخر ما يستحقانه في ذمة المدعى عليه من ثمن النبل المذكور خمسة دنانير ذهب جديد وعشرة أنصاف ودفع لهما ذلك بالجنس وبريت ذمته هما في ذلك البراة الشرعية وشهد عليهم بذلك في تاريخه .

* * *

ملحق رقم (٦)

سجل رقم ٣ ، مادة ١١٥ ، ص ٣٩ بتاريخ ١٤ شوال عام ١٩٦٤ هـ / يوليو عام ١٩٥٦ م .

موضوع الوثيقة : قيام بعض الحجازيين بعملية الإقراض .

وفيه لدى الحاكم المانكي أعز الله أحكامه

تصادق الشريف عامر بن الشريف حسن بن الشريف محمد المكي والمعلم محمد بن يوسف بن أبي بكر المصري التصادق الشرعي وهم بحالة الصحة والطواعية والاختيار عن أن آخر ما يستحقه السيد الشريف في ذمة محمد المذكور من قرض ومعاملة شايعة على تاريخه من الغنضة السلطانية ثمانية وسبعون نصف أجمه في ذلك في كل شهر من تاريخه عشرون نصفاً وأقر كل منهما الإقرار الشرعي أنه لا يستحق على الآخر ما عدا المبلغ المذكور فيه حقاً مطلقاً ولا استحقاقاً ولا طياً ولا فضة ولا طلب ولا معاملة أو لا باق منهما ولا شيء في ولا جل ولا يمين بالله تعالى إلى تاريخه فتصادقوا على ذلك التصادق الشرعي جرى وجرى في يوم الإثنين رابع عشر شوال سنة أربعة وستين وتسعمائة .
شهود الخال

* * *

ملحق رقم (٧)

سجل رقم ٥ ، مادة ٥١٨ ، ص ٣٨٦ بتاريخ ١٩ شوال عام ١٩٨٠ / فبراير
عام ١٥٧٣ م .
موضوع الوثيقة : عقد زواج .

الحمد لله رب العالمين يوم الخميس المبارك تاسع عشر شوال سنة تسع وثمانين
فيه لدى الشيخ محي الدين المالكي
الزواج أحمد بن عمر بن عبد القادر المكي الزوجة بثينة المرأة ابنة علي بن
علي الدين اللقاني الخلية من موانع النكاح الصداق من الذهب الجديده خمسة
دنانير من الفضة الجديده معاملة تاريخه ثلاثمائة نصف الحال لها في ذلك مبلغ
من الذهب المقبوض بيد أخيها لأبيها محمد دينارين باعترافه والبال على حكم
ومبلغ الفضة كل من عشرين نصف الزوج بأذن أخيها محمد المذكور به
وغنم أحمد العيساوي وقبل الزواج للكسوة كل سنة ثلاثة نصف من الأنصاف
المذكورة ووصى لها بذلك في تاريخه .

* * *

ملحق رقم (٨)

سجل رقم ٨٦ ، مادة ١٦٦ ، ص ١٣٠ بتاريخ غرة رمضان المعظم عام
١١٦٧ هـ / يونيو ١٧٥٣ م .
موضوع الوثيقة : صورة تقرير نقابة الأشراف .

صورة تقرير النقابة باسم الجنب العالي السيد علي أغا
ان انتخار أعزه السادة الأشراف العظام وواحدتها سلالة آل بني عبد مناف
الفخام وما جدها سيد سادات آل بيت النبوة والرسالة سيد امرأة المنتخبة من
أظهر سلالة حضر مولانا السيد حسين أفندي نقيب السادة الأشراف بمصر
المحرومة الموقع توقيعه أعلاه أدام الله تعالى مجده وزاد في علاه قدر فخر

لأشراف الكرام السيد علي جورجي زيد قدره في نيابة النيابة الشريفة بفر
سكندرية بتقيد ضبط وبيع السادة الأشراف وينظر فيما يتعلق به علي وجه
الانصاف وأمره يكف الأذى عنهم ومع المعارض لهم وأذنه بعمل ما يراه
حسناً حياً وإقامة حب وتعزير بموجب الشرع الشريف ومنهج الحق المنير
المنيف فإنه من سنك طريق الحق بحا ومن يتق الله يجعل به مخرجاً وأبقاه في ذلك
على عادته ومستمر فاعذته خلا ما يتعلق بأمر بثبوت النسب فإنه ممنوع من
تعاضيه ومن سماع بينة والنظر في دعاويه ولا يأذن بفس علامة لأحد ولاية عنها
من علي رأس الشريف بغير مستند ضبطاً لهذا النسب الشريف الجليل وصونا
من أن يدخل فيه التدخيل تقريرا وتنفيذا وأمر واستعانة شرعيات تحرير في غرة
شهر رمضان المعظم قدره سنة سبعة وستين ومائة وألف من الهجرة .
شهود الحال

* * *

ملحق رقم (٩)

سجل رقم ١٤ ، مادة ٢٠ ، ص ٦ بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى عام ١٩٨٧ /
يونيو عام ١٥٧٩ م .
موضوع الوثيقة : اعتداء بعض الادكاوية على بعض الحجازيين بالألفاظ
الناية .

وفيه نديه أحسن الله إليه

ادعى الحاج سالم بن الحاج أحمد محيط الوكيل الشرعي عن محمد الحجازي
الادكاوي على محمد بن علي عمر الادكاوي أنه قال بمولته ضريصك باحراسي
ربطانيه عما يرتب عليه بسبب ذلك فيل عن ذلك فأجاب بالانكار لذلك
فأحضر المدعى المذكور الحاج عبد الله بن عمر الشكجي ومحمد بن حسن
الجمال وشهدا مسؤولين معرفة المتداعين والموكل المذكور المعرفة الشرعية وأن
الموكل المذكور أخذ تبنا من معلم جمال المدعى عليه فقال له المدعى عليه

ياحرامى فعن الله طهرتك فقال له عمه الحجازى ما حرامى إلا أنت وطهرتك
فضل اندعى عليه والميركل على ذلك وأدبا على ذلك فى تاريخه .

* * *

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

وثالث لم تشر بعد :

أرشيف الشهر العتارى بمدينة الإسكندرية ، سجلات المحكمة الشرعية .
وقد أشرت إليها فى هوامش البحث .

ثانياً : المراجع العربية :

- ١ - إبراهيم يوس ملطح
تاريخ مصر العثمانية من خلال تحقيق مخطوطة
« تحفة الأجاب بمن ملك مصر من الملوك
والنواب » .
- ٢ - إبراهيم زكى ،
الحفاة المالية و التطور الحكومى والاجتماعى فى
عهد الخمسة المرمساوية ، وعهد محمد على .
القاهرة بدون تاريخ .
- ٣ - دكتور أحمد السيد سليمان
تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرنى من التدجيل ،
القاهرة ب ١٩٧٨ .
- ٤ - دكتور أنور عبد العليم
المعارف البحرية وتطور الملاحة المصرية فى
الفترة ما بين القرنين التاسع والخاص عشر
بعد الميلاد ، ضمن كتاب تاريخ البحرية
المصرية عام ١٩٧٤ .
- ٥ - دكتور توفيق الطويل
التصرف فى مصر إبان العصر العثمانى ،
القاهرة ١٩٤٦ .
- ٦ - دكتور جمال الدين الشيال
تاريخ مدينة الإسكندرية فى العصر
الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٧ .

- ٧ - أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ،
الإسكندرية ١٩٦٥ .
- ٨ - دكتورة سيدة إسماعيل كاشف
تعمير مجتمع الإسكندرية ، ضمن كتاب
مجتمع الإسكندرية عبر العصور ،
الإسكندرية ١٩٧٣ .
- ٩ - دكتور عبد الله خورشيد البري
القبائل العربية في القرون الثلاثة للهجرة ،
القاهرة ١٩٦٧
- ١٠ - دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن
الريف المصري في القرن الثامن عشر ،
القاهرة ١٩٧٤
- ١١ - دكتور عبد الرحمن فهمي
التفوق المتداوله أيام الجبرئيل ضمن أبحاث عبد
الرحمن الجبرئيل ،
قاهرة ١٩٧٦ .
- ١٢ - دكتور عبد العزيز الشاوي
العولة العثمانية دولة إسلامي مفتري عليا ،
ج ١ القاهرة ١٩٧٣
- ١٣ - عفاف مسعد العويد
دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر (٩٧١ -
١٠١٧هـ / ١٥٦٤ - ١٦٠٩م) رسالة
ماجستير غير منشورة عام ١٩٨٢ بكلية
أداب جامعة الإسكندرية .
- ١٤ - دكتور عمر عبد العزيز عمر
دراسات في تاريخ العرب الحديث ، الشرق
الغربي من الفتح العثماني حتى نهاية القرن
الثامن عشر بيروت ١٩٧١ .
- ١٥ - دكتور علي محمد فهمي
البحرنة الإسلامية في شرق البحر المتوسط ،
من القرن السابع للقرن العاشر الميلادي ،
ضمن كتاب تاريخ البحرنة المصرية ،
الإسكندرية عام ١٩٧٣ .
- ١٦ - دكتور صلاح أحمد هريدي
دور الصعيد في مصر العثمانية (٩٢٣ -
١٢١٣م / ١٥١٧ - ١٧٩٨م)
الإسكندرية ١٩٨٤ .
- ١٧ - الحرف والصناعات في عهد محمد علي ،
الإسكندرية ١٩٨٥ .
- ١٨ - الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة رشيد

في العصر العثماني ، المجلة المصرية للدراسات
التاريخية ، الأعداد ٣١ ، ٣٢ ، عام
١٩٨٤ .

طرق التجارة الدولية وعطائها بين الشرق
والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة
١٩٧٣ .

كشف الكربة يرفع الظلمة ، تحقيق عبد
الرحيم عبد الرحمن المجلة المصرية للدراسات
التاريخية .

التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية
بالتنين الأفرنجية والقبطية بولاق ١٣١١هـ
مصر في مفرد الطرق (١٧٩٨ -
١٨٠١م) رسالة حسين آفندي
الروماني ، مجلة كلية الآداب جامعة
القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الأول مايو
١٩٣٦ .

الإدارة في مصر في العصر العثماني ، القاهرة
١٩٧٤ .

دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر وإنشام
إبان العصر العثماني ، القاهرة ١٩٧٠ .

١٩ - دكتور نعيم زكي وصفي

٢٠ - محمد بن أبي السرور البكري

٢١ - محمد مختار

٢٢ - محمد شفيق غربال

٢٣ - دكتور نيل عبد اللطيف أحمد

٢٤ -

تالياً : المراجع الأجنبية :

Bear, Gabriel, Guilds in Egypt in Modern times; Jursalem, 1964. ٢٥

Slaw, S.J., OTTO an Egypt in the Age of the French Revolution,
Cambridge, Massachuseters, 1964. ٢٦

The Financial and Adminstrative Organization and Development of
Ottoman Egypt, Princeton, New Jersy, 1962 ٢٧

الملك الناصر يوسف والمغول

للدكتور / سعد بن محمد حذيفة الغامدي

الأستاذ المشارك في قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

الرياض

في ٧/٧/١٤٠٦ هـ الموافق ١٧ مارس ، آذار ١٩٨٦ م



تعرضت بلاد المسلمين ، شرقاً وغرباً ، للعدوان ، ومازالت حتى يومنا هذا تتعرض له ، منذ توقف المد الإسلامي في فتوحاته ، ومنذ استمرع المسلمون حياة الدعة والراحة ، وأخذوا يفتنون في بناء القصور الشائخة والاستطابة في سكنائها ، والتعود على العزلة ، كضريبة للملاذ ، وكان ممن قام بذلك الهجوم ، في العصور الإسلامية الوسيطة ، ضد العالم الإسلامي ، القوى الغربية ، يمثلها في ذلك الصليبيون ؛ والقوى الشرقية ، ممثلة في المغول . ولعل الذي يهنا هنا الأخير منها ، بحكم بحثنا هذا ، فقد قامت حجاجل جنكيز خان المغولية بهجوم مدمر ، وكأنه إعصار من نار ، فأق على كل حضراء ويابسة ، وذلك في العقد الثاني من القرن السابع الهجرى / ١٣ للميلاد ، فوصل في زحفه ، غرباً ، حتى وصلت قواته ماء نهر دجلة ، وقد ضم مثلها إلى جبال الطاي في أواسط قارة آسيا تحت سلطان المغول ، شرقاً .

ثم جاءت في أول النصف الثاني ، من نفس القرن ، موجة مغولية جارفة أخرى ، لا تقل عن سابقتها ، أيام جنكيز خان ، قوة وعنفاً ، فوصلت في تقدمها إلى حدود الأراضى الشرقية لمصرنا الحبيبة . ولكن الله شاء أن يحمى هاتيك البقاع من ثقل وطأة وتدمير المغول لها بمحادث قدره الله في متغوليا ، وهو وفاة الخان المغولى « منكو » ، فتوقف المد المغولى ، وانحصر إلى الشرق من نهر الفرات ، فرحل هولاءكو ، قائد حملتهم تلك ، وشد رحاله من ضواحي مدينة حلب الشهباء في الشام ، وعاد أدراجه إلى الشرق ، يراقب أحداث الصراع الدامى ، الذى نشب بين أهل بيته على العرش ، من على كعب . وبذلك سلم الله للمسلمين مصرأ (ووضعها مكان العراق ، بعد زوال خلافتها العباسية) وأعاد لهم الشام جميعاً على أيدي المصريين ، بقيادة المماليك فيها ، بعد موقعة عين جالوت الشهيرة ، فقد كانت عين جالوت بمثابة الصخرة التى عثر عليها المغول ، وتحطمت على جنباتها القوة الاسطورية للمغول ، التى ضربت حولهم ، على أنهم قوم لا يقهرون .

جاء المغول إلى المنطقة وكان الحكام والأمراء فيها ، وعلى رأسهم خليفة المسلمين في بغداد ، في غابة التفكك والانهيار ، نتيجة للحروب الأهلية فيما

بينهم ، فكان بعضهم يقتل بعضاً ، ويغزو منهم القسم الآخر ، فينتهك العرض ، ويسلب المال ، ويقتل الأهل والولد ، في حروب مقيمة بينهم ، تغليان قدر على نار شديدة الاستعثار . لذلك كان مجيء المغول إلى المنطقة سهلاً مهدداً ، ونجاحهم ، لأخذ البلاد واستعباد العباد ، مضموناً ميسوراً ، في ظل ظروف المسلمين وحكامهم فيها ، فقد انحلت قواهم ، وانهدت إمكاناتهم العسكرية ، ونضبت مصادرهم المادية ، ناهيك عما وصلت إليه أحوال شعوبهم ، في كافة مجالاتها ، من تدن إلى أسفل سافلين .

كانت مواقف الحكام المسلمين ، في هذه المنطقة ، تجاه المغول ، بوجه عام ، موالية لهم ، ومستسلمة خاضعة لسلطانهم ، مع بعض الاستثناءات القليلة جداً . كان بنو أيوب ، وأمراؤهم ، في الشام ، جملة من ضمن أولئك الحكام . وكان لهم مواقف استسلامية ، أو تهاونية ، وعدم مبالاة ، للمخطر الذي كان يطبق عليهم ، ويضيق قبضته حول أعناقهم ، يوماً بعد يوم ، حتى جاءت الساعة التي قضى فيها عليهم جميعاً ، واحداً بعد الآخر ، فقوض عروشهم ، التي أشبه بريشة في مهب الريح .

كان الملك الناصر يوسف من أولئك الأمراء ، لا بل كان كبيرهم ، وأقراهم ، وأكثرهم سعة في المال والجاه والملك ، ولقد التزم ، في تعامله مع المغول ، خطأ صائناً ، متهاوناً ، خطأ يدل على اللامبالاة ، حتى جاءه المغول ، وقبضوا عليه ، بعد أن دل عليه أحد أتباعه ، فوقع في معيبتهم ، وهو هائم على وجهه في البراري ، خائفاً يترقب .

لذلك ، فإن هذا البحث المتواضع يتطرق إلى علاقة الناصر يوسف ، أمير شخصية في أسرة البطل ، صلاح الدين الأيوبي ، مع المغول ، منذ بدأ خطرهم يظل برأسه على الشام ، وحتى نهاية الناصر ، ومقتله على يدي المغول ، وما صاحب ذلك من ملاحظات .

الملك الناصر يوسف والمغول

المغول :

في أول النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد ، ولد طفل مغربي من أسرة فنية كانت لها المشيخة على بعض القبائل المغولية ؛ كان ذلك الطفل هو تيموجين بن يوسكاي بهادر ، والذي عرف في الأوساط التاريخية العالمية بـ جنكيز خان^(١) . وعلى الرغم من الظروف العصبية التي مر بها ذلك المولود في مرحلتى المراهقة والنسب ، إلا أنه في نهاية الأمر كتب له أن يصبح من أشهر القادة في تاريخ البشرية ، بغض النظر عن أعماله العدوانية ، وما ارتكبه مع حلفائه من أعمال وحشية ، فهذه طبيعة البشر ، ومثله مثل غيره ، ممن عاصره أو جاء بعده ، والتي مارلتنا نعيشها ، أو نشاهد صوراً لأعمال أكثر بشاعة ووحشية من تلك التي فعلها المغول^(٢) .

بعد أن تعدى جنكيز خان مرحلتى الطفولة والنسب ، شاءت إرادة الله فيه أن يبدأ في تكوين ملك له ، ولأسرته من بعده ، فشرع في توحيد بعض القبائل المغولية القريبة منه . لذلك نجده وقد دخل في حروب طاحنة ، وتحالفات سياسية وعسكرية مع أمراء ومشايخ مختلف العشائر المغولية البدوية ، حتى استطاع في نهاية المطاف أن يصبح سيد منغوليا بدون منازع ، وأن يضع أساساً لأكبر امبراطورية عرفها تاريخ البشرية^(٣) .

شرع بعد ذلك يتطلع بصره إلى بخارج حدود وطنه ، الأصلي ، منغوليا ، إلى الشرق وإلى الغرب والجنوب . وما أن انتهى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، حتى أضحت مملكته تمتد من السفوح الشرقية لجبال الطاي غرباً إلى المحيط الهادي شرقاً ، ومن جنوب سيبيريا شمالاً حتى الجنوب من صحراء كوكي من الجنوب^(٤) .

بعد توحيد جميع القبائل المغولية ، تقريباً ، تحت قيادته الشخصية ، شرع جنكيز خان في التخطيط لغزو الدول المجاورة ، فبدأ بدولة « التنگوت » في التبت ، فاستطاع إخضاعها لنفوذه ، بعد حروب امتدت خلال السنوات الأولى من القرن السابع الهجري / ١٣ الميلادي^(٥) . ثم نجده بعد ذلك يشرع في

أواخر هذا العقد في تنفيذ مشروعه الجريء ، وانعسكري المشهور ، ضد أراضي امبراطورية الصين الشمالية ، وبعد حروب طاحنة ، دامت لأكثر من خمس سنوات ، استطاع أن يقضى على امبراطورية الصين الشمالية ، بعد أن اقتحم المغول عاصمتها « بيكين » في شهر صفر من عام ٥٦١٢ هـ / يونيه (حزيران) ١٣١٥م^(٧). بعدها عاد بجوده ، وشرح في تجهيز قواته لشن هجومه ضد العالم الغربي من أراضي المغول ، فكانت أراضي المسلمين هي التي وقعت تحت ثقل وطأة تلك الحروب المدمرة ، حيث كانت دولة الخوارزم شاهيين هي المسيطرة على المشرق من العالم الإسلامي آنذاك . وخلال السنوات الأخيرة من العقد الثاني من القرن السابع للهجرة / ١٣ للميلاد ، استطاع المغول أن يصلوا إلى حدود إقليم العراق الشرقية ، حيث كانت الدولة العباسية ، وغيرها من الدويلات الإسلامية العديدة في المنطقة . وبذلك قوض جنكيز خان عرش الدولة الخوارزم شاهية وعاد إلى وطنه ، وتوفي في عام ٥٦٢٤ - ١٢٢٧م^(٨).

بناء على ما تقدم شرحه ، نجد أن الامبراطورية ، المغولية عشية ، وفاة مؤسسها كانت تمتد من النهر الأصفر في الصين والمحيط الهادي شرقاً ، إلى العراق العجمي غرباً ، ومن نهر السند وجبال الهملايا جنوباً إلى سيبيريا شمالاً . وما أن شارف النصف الأول من القرن المذكور على النهاية حتى وصل المغول في فتوحاتهم إلى قلب أوروبا ، وآسيا الصغرى في الغرب ، وتوغلوا في أراضي الصين جنوباً ، بعد حروب مريرة وطاحنة خلال فترة حكم الإمبراطور « اكساي » ، الذي خلف والده في الحكم^(٩). ثم أعقب وفاة « اكساي » فترة راكمدة ، لم يقم المغول فيها بفتوحات ذات بال خلال فترة حكم ابنه وخليفته على العرش « كويوك خان »^(١٠). وما أن انتهت مشكلة الصراع الداخلي في البيت المغولي الحاكم ، حول أحقية ولاية العرش ، حتى شرع المغول ، كعادتهم ، بعد توليه خان جديد على العرش ، في تنفيذ مشروع جديد لفتوحاتهم ، ولحد حدود امبراطوريتهم لتشمل أراضي جديدة شرقاً وغرباً^(١١). لذلك ، فقد قامت حملتان كبيرتان ، أحدهما ضد أراضي الصين الجنوبية ،

بقيادة « قبلاى بن تولى بن جنكيز خان » والأخرى إلى الغرب ، بقيادة أخيه « هولكو » الذى استطاع أن يصل إلى أراضي الشام بحلول عام ١٢٥٧ هـ / ١٢٥٩ م ، بعد أن قوض قوة المغشاشين الامغولية في إيران ، وقضى على خلافة العباسيين في بغداد^{١١} .

لذلك جاء « هولكو » على رأس حملة عسكرية يفتح بها المنطقة ، ويضمها إلى ممتلكات امبراطوريتهم . ولسوء حظ المسلمين كانت أوضاع حكام الدويلات الإسلامية وإماراتها في هذا الجزء من العالم الإسلامى عامة ، وبنى أيوب خاصة ، في غاية التفكك ، والانحلال ؛ والمهاترات السياسية والعسكرية فيما بينهم كانت على أشدها . كما كانت مواقفهم تجاه المغول الغزاة متباينة أشد التباين . فقد كان منهم الموالي والخاضع تحت نفوذهم منذ عشرات السنين ، مثل حكام : الموصل ، وفارس ، وكرمان ، والسلاجقة في آسيا الصغرى ؛ وبين معارض ، وقف في وجه المغول وحاربهم حتى نال الشهادة ، مثل الملك الأيوبي ، محمد الكامل ، صاحب ميافارقين^{١٢} . ومنهم من كان خائفاً يترقب ، فهو مال في الظاهر ، ومعارض في الباطن ، أو لم تعرف له موقفاً لتأرجحه بين وبين ، مثل الملك الناصر يوسف ، صاحب الشام ، وكبير بنى أيوب ، موضوع بحثنا هذا .

بنو أيوب عشية الغزو المغولي :

عندما جاء المغول إلى منطقة الهلال الخصيب في أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجرى / ١٣ للميلاد ، كان أمراءها وحكامها ، بوجه عام ، وبنو أيوب خاصة ، في منتهى الانحلال وتشتت الشمل . والذى يبينا هنا الأمراء الأيوبيون في الشام والجزيرة عامة ، والأمير الأيوبي الملك الناصر يوسف خاصة ؛ فقد أضحى في آخر الأمر كبير أمراء هذه الأسرة ، وأكثرهم جمعا ، وأوسعهم أرضاً . ونما يدل على عدم وحدة البيت الأيوبي وجود العديد من الإمارات الصغيرة المنتشرة في أنحاء متفرقة من بلاد العراق والشام ، ويحكم كل إمارة منها أمير ، لا يكاد يدين بالولاء لأى حاكم أو أمير آخر أكبر منه ، إلا إذا

غزاه من هو أكثر قوة وجمعاً منه ، فإما أن تضم إمارته إلى أراضي ذلك الغازي الجديد ، وإما أن يخضع تحت سلطانه ، بعد أن ينعم عليه سيده الجديد بإبقاء ممتلكاته وأراضيه له ، وفوق ذلك كله جعله حراً طيقاً ، لأن الأغلبية منهم كان يعمل ، ويودع السجن فيظل فيه ما بقي حياً ، إلا لغزوف جديدة تضرأ تؤدي إلى خلاصه ، كما سيرد معنا في ثانياً هذا البحث^(١٤).

لذلك نجد أن الحروب الأهلية بين أمراء بني أيوب لا تكاد تنقطع حتى تبدأ من جديد ، وعلى أشد ما يكون ، وبشكل أو بآخر ، بين هذا الأمر أو ذلك . فكل واحد منهم كان يتحين الفرص للسيطرة على غيره من الأمراء الآخرين ، وإخضاع إماراتهم للمعززة . لهذا كانت الأوضاع الداخلية غير آمنة ، ولو لفترة قصيرة ، لأي أمير من هؤلاء . فكان كل واحد يعيش عيشة الخوف من الغزو والذل . ولهذا لم تدم الإمارة لهذا أو ذلك لوقت طويل ، باستثناء الناصر يوسف ، موضوع بحثنا هذا^(١٥).

الناصر يوسف صاحب حلب :

عندما توفي الملك محمد بن غازي بن صلاح الدين الأيوبي (٦١٣ - ٦٣٤هـ : ١٢١٦ - ١٢٣٧م) جاء من بعده ، على ملك حلب وتوابعها ابنه الملك الناصر يوسف ، وهو ابن ست سنين ، تقريباً^(١٦) . فتولت جدته لأبيه ، بتوجيهات ذلك كبار أمراء ومماليك أبيه ، شؤون الدولة بإبارة عن حفيدها^(١٧) . فخل أوضاع على ما هو عليه حتى وفاة تلك المرأة في عام ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م ، بعد ذلك نجد الناصر يوسف يتسلم مهام شؤون إمارته ، يساعده في ذلك الأمراء وكبار رجاله^(١٨).

أخذت قوة الناصر تزداد ، وأطماعه تتسع تبعاً ، لذلك فقد استطاع أن يوسع ممتلكاته على حساب جيرانه الأيوبيين الآخرين ، فأخضع دمشق في عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ، وأخذ معها توابعها ، مثل بعلبك ، وعجلون ، وشيبي ، ثم أخذ الصبية وبانياس ؛ وكان قبلها قد ضم حمص من أمورها الأشرف موسى ، وأخضع صاحب حماه لسلطانه ، ثم صفت له جميع أراضي

الشام بشكل أو بآخر ، وكان له في الشرق من الثورات حران ، والرها ، والرق ، ورأس العين وتوابعها ، فأضحى بذلك كبير بنى أيوب ، وأقوامهم عشية انغزو المغول^(١٨).

لعل الناصر يوسف كان يسعى ، في سياسته هذه ، إلى توحيد أراضي الشام ، ومحاولة بسط نفوذه على مصر ، ومن ثم يبدأ بعدها منازلة الصليبيين ، وإزالة وجودهم من أرض الإسلام . وفوق ذلك كله ، مواجهة المد المغولي الجارف ، الجارف ، الذي كان يطل برأسه كالتنين ، ليلتلع الأراضي المتبقية للمسلمين في العراق والشام ومصر . إن سياسة مثل هذه عمل جيد ، مثل في ذلك مثل جده الأكبر صلاح الدين . ولكن أعمال الناصر ونصرفاته والسياسة الخارجية واتجاهاته الدينية التي كان يسر عليها لا تدل على شيء من ذلك . فقد مد يد الصداقة للمغول ، وهذا ما سراه في ثنايا هذا البحث ، وصداقته وهدنته مع الصليبيين في المنطقة ، بدليل أنه لم يقم بأي عمل عسكري ضدهم . فكل هم كان موجهاً ضد الأمراء من أسرته ، وبشكل شرس ، كما سرد معنا بعض الأمثلة لذلك . وفوق ذلك كله عدم انتاج سياسة واضحة لتحقيق هدف سام ، بخدمة الإسلام والمسلمين .

على الرغم من أن الناصر أصبح هو الحاكم الأول في بلاد الشام ، إلا أن سياسته لإعادة نفوذ الأسرة الأيوبية على سابق عهدها لم تفلح ، وذلك لأسباب كثيرة لعل من أهمها قوة حكومة المماليك الجديدة فيها من جهة ، ولعدم وحدة البيت الأيوبي خلف زعيمها من ناحية ثانية ، فرغم تكتل معظم الأمراء الأيوبيين ، وتوحيد صفوفهم ، ربما لأول مرة منذ وفاة الملك محمد الكامل بن المعادل ، وسيرهم ضد حكومة المماليك في مصر ، فقد منى بهزيمة على أيدي المماليك في ذى القعدة ٦٤٨هـ / فبراير ، شباط عام ١٢٥١م . حيث انقلب نصرهم إلى هزيمة نتيجة ، على ما يبدو لي ، لعدم الانضباطية العسكرية ، والحيرة التنظيمية لإدارة المعركة ، فقتل بعضهم ، وأسر فريق منهم ، ولاذ بالهرب ، ناج بمجلده ، طائفة أخرى^(١٩).

بعد هذه المعركة استقل المماليك بمصر ، بينما انصرف الناصر يوسف إلى ذلك الأمر المهود في أسرته ، وهو العودة إلى المهاترات السياسية ، والحروب المنهكة ، فيما بينهم ، فاستمرت تلك الأوضاع المرزية بينهم ، ليس فقط بعد سقوط بغداد و نهاية خلافة العباسيين بها ، بل وحتى الوقت الذي شرع هولاكو يعدّ لتفويض على الشام ، والسير منها إلى مصر .

وحسب في هذا النقام أو أورد مثلاً أو مثالين على ما كان يقع بين الأيوبيين عشية مجيء المغول ، وتصفية الجميع على أيديهم . ففي سنة ١٢٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وعندما كان المغول وأعوانهم يقصرون مكان بغداد خاصة وأراضي العراق عامة ، ويهلكون فيها الحرث والنسل ، نجد الأمراء الأيوبيين ، بقيادة كبيرهم هذا ، يدخلون في معركة ثانية مع المماليك قرب غزة . فهزم الأيوبيون أيضاً . وفي السنة التالية ، وفي الوقت الذي كان المغول يدقون أبواب الشام بمعمل الدمار وللإطاحة بهم ، دخل الناصر في حرب ضد أراضي أمير أبوي آخر ، هو المغيث فتح الدين عمر ، صاحب الكرك والشوبك ، فاستمر يحارب خصمه حتى ألجأه داخل قلعته ، فحاصره فيها حصاراً أشد ما يكون ، ولم يفتع عن ذلك إلا بعد أن تضرع إليه الناس وحتى النساء من أسرته هو^(١) .

هذه بدة مختصرة عن أوضاع بني أيوب المتردية ، بل المهزنة ، والتي كانت سبباً لزوال ملكهم على أيدي قوة تغزوهم ، فما بالك وقد كانت قوة المغول تسير في طريقها إليهم ، بعد أن أزاحت من الوجود امبراطوريات ، ودول كبرى . ومقابل ذلك ما كانت عليه امبراطورية المغول من القوة واتساع السلطان .

الاتصالات السياسية بين الناصر يوسف والمغول :

يرجع تاريخ العلاقات السياسية بين المغول وخانهم في « قراقروم » من ناحية وبين أمراء الأسرة الأيوبية ، ممثلة في الناصر ، من ناحية ثانية ، إلى التواء الأكثر من عشر سنوات . وهنا تورد الروايات التاريخية ذات الصلة تبادلاً ، والمعاصرة للأحداث في هذا الشأن ، أن رسلاً كانت قد جاءت من حكام

الأقاليم الغربية إلى « قراقرم » ، لتقدم انتهى إلى الخان المغولي « كويوك ابن اكناي » (٦٤٤ - ٥٦٤٦ / ١٢٤٦ - ١٢٤٨ م) والذي توج حديثاً خلفاً لوالده « اكناي » (٦٣٧ - ٥٦٣٩ / ١٢٢٩ - ١٢٤١ م) . وقد كان من بين تلك الوفود وفد من صاحب حلب برئاسة أخيه ، وأن كل واحد جاء ومعه من التحف والهدايا ما يناسب بلاط الخان المغولي ، وقد أقيم لأعضاء تلك الوفود ما يقارب ألف خيمة من اللبود ، لانزالهم فيها طوال فترة إقامتهم^(٢٢) .

بعد أن انتهت تلك الوفود من مهامها السياسية . وشاركت في حفل التوقيع ، وقبل مغادرة كل وفد ، نجد أن الخان يصدر أوامره بإعطاء أعضاء الوفود المشاركين في ذلك الاحتفال ، مراسيم ولوحات براءة « يرليغها وبزاهها » ، وكذلك فقد منحت للحكام الذين جاءت تلك الوفود ممثلة لهم^(٢٣) . إذا ، كان صاحب حلب ممن حظى بمرسوم خاني « يرليغ أو يارليغ » وكذلك بلوحة براءة « بيزا أو بايزا » من الخان المغولي ، فأرسلت تلك مع ممثلة . لذلك أصبح الناصر ، على الأقل من جهة النظر المغولية ، من أحد أتباع ورعايا الخان المغولي ، فهو تحت حمايته ، فلا أحد يستطيع التعدي أو التطاول عليه ، أو إلحاق الضرر به ، فهو تابع ، وأملاكه أملاك ، للمغول ، ومواطنوه تحت الحماية المغولية . هكذا كان المغول ينظرون إلى أشياء من هذا القبيل ، كما سيرد معنا .

ومما يدل على أن صاحب حلب كان تابعاً للمغول رواية أوردها الجويني ، في معرض كلامه عن الأقاليم الغربية ، التي كانت تخضع إدارياً تحت نفوذ حاكم المغول الإداري في الغرب ، من أن الخان المغولي جعل كل تلك الولايات في الغرب تحت إدارة حاكمة هناك « ارغون آقا » بما فيها ولاية صاحب حلب ، وما يدخل تحت نفوذ ملكها من أراضي وأتباع ، من الأمراء الأيوبيين الخاضعين للملك الناصر^(٢٤) . إذا ، كان المغول يعتبرون الملك الناصر يوسف من أتباعهم ، والخاضعين لسلطانهم ، وكذلك بقية الأمراء الأيوبيين في الجزيرة والشام . أما ما يتعلق بوجهة نظر بني أيوب ، من الناحية الثانية ، فلا أستطيع الجزم في القول بأنهم كانوا يدينون للمغول بالولاء ، أو أنهم كانوا يعتبرون

أنفسهم تحت حكم المغول ، أو حمايتهم ، بأى شكل كان ، مباشر أو غيره .
 ومع ذلك ، فإننا نجد أنفسنا أمام مواقف معينة وواضحة كان يتخذها أمراء بني
 أيوب ، في تعاملهم مع المغول . فمن هذه المواقف مسألة وجود وفد يمثل
 الناصر لدى البلاط المغولي ، للتهنئة بالسلطة ، والاشتراف في حفل تتويج الخان
 الجديد ، وإرسال الهدايا والتحف ، الأمر الذي نتج عنه ، منح براءات
 الأمان ، وهوية التبعية المغولية ، كما ورد في الحاشية قبل السابقة .

إن الذي يظهر لنا هنا بأن الناصر قد أوفد من لدنه رسولا إلى مغوليا ،
 وذلك قبل وفاة « كويوك » سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م ، وربما كان ذلك الرسول
 هو صاحب زين الدين الحافظي ، كما سيتضح ذلك من النص الذي أورده ابن
 العميد كما سيرد معنا بعد قليل^(٢٥) . وما نستدل به على ذلك أيضاً رواية جاء بها
 رشيد الدين ، من أن ذلك الرسول جاء ومعه الهدايا والتحف ليقدمها إلى
 القاآن المغولي ، وقد حظى الرسول بالاعزاز والتكريم ، إضافة إلى ذلك فقد
 منح مرسوماً وبرائة . « كان سلطان حلب قد أرسل وزيره زين الدين
 الحافظي إلى حضرة القاآن بتحف وهدايا ملكية ، وبذلك أصبح مشتهراً
 ومعروفاً في البلاط ، فصدر له المرسوم والبراءة »^(٢٦) . ويؤيد روايتي كل من
 الحويني و رشيد الدين ما جاء في مصنف ابن العميد في هذا الخصوص بأن
 « الأمير شمس الدين لولو كان في حياته قد أرسل إلى القاآن الكبير ملك التتار
 هدايا كثيرة وتحف جليلة وأحضر من عند القاآن إلى الملك الناصر ضمعا
 ونشانا يحملها في حياصته وهذا دليل الطاعة عندهم .. »^(٢٧) . ويضيف
 مؤرخنا هذا أن الحافظي رجع من مهمته تلك ، ووصل إلى الشام في عام
 ٦٤٩هـ/١٢٥٣م ، أي بعد مقتل شمس الدين لولو . وهنا يمكننا أن نستنتج أن
 الحافظي كان قد أرسل إلى « القاآن » قبل سنة ٦٤٩هـ/١٢٥٣م ، بأكثر من
 ستة أشهر ، أو ربما سنة . فقد أرسله قبل المسير من الشام على رأس جيش
 الناصر ضد المماليك في مصر ، والتي قادها لولو نفسه . فكانت المعركة في
 ذي القعدة من عام ٦٤٨هـ/فبراير (شباط) ١٢٥١م . هذه ناحية ، والناحية
 الثانية أن الحافظي قد أرسل إما قبل وفاة « كويوك » ، أو بعد وفاته ، أو أن

أخبار وفاته لم تصل إلى الشام بعد . فأرسل لتجديد العهد والولاء للمغول ؛ أو أن المحافظي قد أرسل إلى المرأة الوصية على العرش المغولي وهي أرملة الخان المتوفى « أغول غايميش » التي أنيطت بها مهام إدارة الامبراطورية المغولية ، حتى تستكمل إجراءات الدعوة العامة لحضور الاجتماع الكبير الذي يحضره كافة الأمراء من سلالة جنكيز خان ، وكبار القادة والإداريين من كافة أنحاء الامبراطورية . وذلك للبت في اختيار شخص يخلف الخان المتوفى ، ويتم تنصيب آخر على العرش^(٢٧٦) .

إذا ، كانت الهدايا التي أرسلت مع المحافظي ، مرسلة في الأصل إما إلى « كويوك » ، وإما إلى أرملة ، فصادف وصوله حفل انتخاب ثم تنصيب الامبراطور المغولي « منكو » ، فقدم تلك الهدايا له ، وكأنها مرسلة في الأصل إليه . وما يدل على التبعية التي كان الناصر يدين لها للمغول ، نض أورده في هذا الخصوص أيضاً ابن العميد ، حيث قال فيه بأن الناصر كان يسير كل سنة بالهدايا والتحف إلى نائب « القاآن » في الجنوب الغربي من امبراطورية المغول « بلاد المعجم » بـ« بيغونويان »^(٢٧٨) .

بعد أن وصل « هولاكو » كمش ، فيما وراء النهر ، وهو في طريقه لتفديد حملة المغول الغربية ، أرسل وفوداً من عنده إلى الحكام التابعين للمغول في الأقطار الغربية للمساهمة ، في حملته تلك ، ضد قلاع الاسماعيليين في إيران ، فلا بد إذاً أن يكون الناصر ممن تلقى شيعاً من ذلك الأمر^(٢٧٩) .

على الرغم من أن الناصر ، على ما يبدو لنا ، قد تلطم رسالة من « هولاكو » كأي واحد من الحكام الآخرين في المنطقة ، إلا أنه لم يجب عليها في الحال ، كغيره ممن استجاب له ، أو أنه قد أجاب ، ولم نعثر على ذلك . إلا أن الاحتمال الأول هو الأقوى ، لأمرين هامين ، أولهما : أن الناصر أصبح ، في السنوات الأولى من النصف الثاني للقرن السابع الهجري/ ١٣ للميلاد ، مشعراً ومهنماً جداً في توسيع أراضيه ، والحفاظ على ما تحت يده ، وفي نزاع مستمر مع جيرانه من أسرته ومع المماليك في مصر ، كما مر معنا ذلك ؛ وثانيهما : رواية جاء بها ابن العميد في هذا الخصوص ، حيث يقول بأن الناصر

قد تغافل عن « هولاکو » « ... ولم يسر إليه شيئاً بالجملة لأمر إرادة الله تعال فشق ذلك على هولاًزون (هولاکو) وكان يقول في كل وقت الملك الناصر ، كان يسر لياجيوا التحف والهدايا وهو غلامنا ونحن منذ وصلنا ما سر لنا رسولاً ولا هدية وبقي هذا في نفسه »^(٢٠). فإذا أخذنا بالرأى الأخير ، فلعل هناك عدة أسباب منعت الناصر من الرد على رسالة هولاکو منها :

١ - لأن عدداً كبيراً من الأكراد والتركمان ، الشهرزورية ، ويقدر عددهم بحوالى ثلاثة آلاف فارس ، جاؤوا ، ومعهم نساؤهم وأموالهم ، هارين من مقصلة المغول ، ولجأوا سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م إلى بلاد الشام ، فالتحقوا بخدمة الناصر واستخدمهم في جيشه ليكسر بهم جمعه ضد منافسيه ، صاحب الكرك والماليك ؛ لهذا فقد أصبحوا قوة لا يستهان بها ، فخافهم الناصر ، فلم يستطع أن يرسل رسولاً أو هدايا إلى هولاکو ، كعادته التي كان يتبعها مع بايجونويان .

٢ - انشغال الناصر ، وكما قلنا ذلك قبل قليل ، بالحروب ، والاستعداد لأخرى ، عهلى تخورين ، الأول ضد دولة الماليك في مصر ، فتارة يستعد لأخذها ، لاستعادة سيطرة الأيوبيين عليها ، وكرة يتأهب للدفاع عن أراضيه ضدهم ؛ والمحور الثاني ضد الملك المغيث ، صاحب الكرك والشوبك ، الذي أصبح يمثل خطراً كبيراً ، ويهدده من وقت لآخر ، وخاصة بعد أن انضمت قوة كبيرة معه ، من الماليك ، ثم لحق بهم أيضاً من كان قد التحق بالناصر ، الأكراد والتركمان^(٢١).

٣ - كون الناصر قد حصل على الحصانة المغولية « اليارليغ واليزا » ، والتي منحه إياها « القا آن منكو » نفسه ، فهذه كفيلة بحمايته من أى ظلم قد يتعرض له على أيدي المغول أو « هولاکو » ، الذي يلتزم بقوانين المغول في هذا الشأن أشد التزام .

يذكر ابن العميد أنه بعد أن جاءت الأخبار إلى الناصر ، بسقوط بغداد في أيدي المغول وأعوانهم ، خاف خوفاً عظيماً ، وخشى مغبة تغافل وإهماله رسالة هولاکو ، فأرسل في الحال وقدأ من عنده ، برئاسة ابنه الملك العزيز محمد ،

يرافقه زين الدين الحافظي وآخرون ، ومعهم هدايا جمّة ونحف وسّادم جيلة ، وهم يعملون رسالة اعتذار له عن عدم تمكنه من الحجى . فقال « هولاءكو » : « ولم لا جاء الملك الناصر إلينا ؟ » فاعتذروا بأنه قبالة العدو وبلادهم في وسط بلاد الفرنج فما يمكنه أن يتركها ويحضر وقد سير ولده بنوب عنه في الخدمة فأظهر قبول العذر وباطنه بخلاف ذلك^{١٣٦} . أما ابن العبري ورشيد الدين فيذكران بأن هذا الوفد أرسله الناصر إلى هولاءكو بعد أن جاءته رسالة من هذا القائد المغولي . وقد أورد كلا المؤرخين مضمون الرسالة ، ولكنها طويلة عند ابن العبري ، وقصيرة ، ومختصرة عن رشيد الدين . وقد آثرت أن أوردتها كما جاءت لدى الأول ، فهو معاصر ، ومن شاهد الأحداث بعينه ، وشارك مع المغول ، وخدم تحت رفاة كاتب الرسالة نفسه ، نصير الدين الطوسي . يقول ابن العبري : « ... أرسل هولاءكو إليهم (رسولاً) إلى الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها : « يعلم الملك الناصر أننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستائة وفتحناها بسيف الله تعالى وأحضرنا مالكمها وسألناه مستكين فلم يجب لسؤالنا فذلك استوجب منا العذاب كما قال في قرآنكم أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وصان المال . قال الدهر به إلى ما آل . واستبدل النفوس النفيسة . يتقوض معدنية خسيصة . وكان ذلك ظاهراً قوله تعالى : ﴿ فوجلوا ما عملوا حاضراً . لأننا قد بلغنا بقوة الله الإرادة ﴾ . ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة . ولا شك أن نحن جند الله في ضمه خلقنا وسنطنا على من حل عليه غضبه . فيكن لكم في ما مضى معتبر . وبها ذكرناه وقتناه مزدجر . فالحصون بين أيدينا لا تمنع . والعساكر للقائنا لا نضر ولا تنفع . ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . فاتعظوا بغيركم . وسلموا إلينا أموركم . قبل أن ينكشف الغطاء ويجل عليكم الخطأ . فنحن لا نرحم من شكنا . ولا نرق لمن بكنا . قد أحرينا البلاد . وأتينا العباد . وأتينا الأولاد . وتركنا في الأرض الفساد . فعليكم بالهرب . وعلينا بالطلب . فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق . وسهامنا خوارق . وسيوفنا صواعق . وعقولنا كالجبال . وعددنا كالرمال . فمن طلب منا الأمان سلم . ومن طلب الحرب ندم . فإن أنتم أطمع أمرنا وقهلم شرطنا

لكم ملكا وعليكم ما علينا . وإن أنتم خالفتم أمرنا وفي غيركم نغاديتهم فلا
 تلومون وومون أنفسكم . فإنه عليكم يا ظالمين فهبثوا الليل بالليل حذبا . ولترزأوا
 أنرابا . فقد أعذر من أنف . وأنصف من حذر . لأنكم أكلتم الحرام وختم
 بالإيمان . وأظهروا البدع واستحسنتم الفسق بالنصيان . فابشروا بالذل
 وافهوان . فالقوم تحدون ما كنتم تعلمون . سيعلم الذين ظلموا أى منقلب
 يقيمون . فقد ثبت عندكم أننا كفره . وثبت عندنا أنكم فجره . وسلطنا
 عليكم من بيده الأمور مقدره . والأحكام مدبره . فعزيزكم عندنا ذليل .
 وغيكم ندينا فقير . ونحن مانكون الأرض شرقاً وغرباً . وأصحاب الأموال
 سلباً ونهباً . وأخذنا كل سفينة غصبا . فمیزوا بعقولكم طرق الصواب قبل أن
 نضرم الكفرة نارها . وترمى بشرارها . فلا تبقى منكم باقية . وتبقى الأرض
 منكم خالية . فقد أيقظناكم . حين راسلناكم . فسارعوا إلينا برد الجواب بته .
 قبل أن يأتيكم العذاب بغتة . وأنتم لا تعلمون»^(٤٣٣).

ولهذا السبب نجد الملك الناصر يرسل ولده وبقية الوفد ليتوبوا عنه عند
 « هولاءكو » ، وذلك بعد أن رحل عن بغداد ، فأصبح الأمير الأيوبي الصغير
 ومرافقه ، على ما يبدو لنا ، من جملة وفود الحكام المسلمين الذين قدموا على
 « هولاءكو » ، ليعلنوا ولاءهم وطاعتهم له ، وربما ليهبثونه بفتح بغداد
 وانحصاره على خيفتها^(٤٣٤) . وقد ظل هذا الوفد لدى « هولاءكو » ، حسب
 رواية ابن العبري ، من أوائل الشتاء إلى الربيع ، ربما كان ذلك عام ٦٥٦ هـ -
 ١٢٥٨/هـ ١٢٥٩ م ، ولم يعد أفراداه إلى الناصر ، انذى لم يمنعه من
 انذهاب شخصياً سوى خوفه من كبار أمرائه ، إلا في ربيع ذلك العام^(٤٣٥) .
 ولذلك أرسل الناصر ابنه ، حسب رواية الخليل ، العزيز محمداً إلى هولاءكو في
 سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م بتحف وهدايا ليصانعه بذلك^(٤٣٦) .

كان رشيد الدين عم تطرق لموقف الناصر من المغول بشكل عام حيث
 يقول : « ... وعندما وصل هولاءكو إلى الأراضى الإيرانية كان سلطان حلب
 يظهر له في بعض الأحيان الولاء والطاعة في الخفاء ، لذلك السبب أضحى
 متهماً لدى سلاطين الشام ، الذين ساروا ضده ، فخافهم ولاذ بالفرار إلى

حضرة هولاءكو خان ، لذلك فقد عقد (يعنى هولاءكو) العزم على فتح
حلباً^(٣٧).

على الرغم من انطباق هذه الرواية على موقف الناصر العام من المغول ، إلا
أن رشيد الدين قد وقع ، على ما يظهر لي في نس وخلط ، وتحتاج روايته إلى
إيضاح . لأن الناصر لم يذهب بنفسه ، وعن طواعية واختيار ، إلى هولاءكو ،
كما يبدو من هذه الرواية . فمن المعروف أنه أخذ أسيراً ، إلى « هولاءكو » كما
سنرى فيما بعد من هذا البحث . أما مسألة أن ذهب الناصر إلى « هولاءكو »
قد قوى من عزمه على قصد حلب وفتحها ، فإن ذلك الأمر لم يكن يحتاج إلى
شيء من ذلك ، لأن أوامر « القاآن » واضحة ، حيث تقضى على
« هولاءكو » بالأب يتوقف في سيرته إلا عند حدود مصر الغربية . ومعروف
أي هي حدود مصر هذه . « فهولاءكو » والمغول لم يكن الأمر يحتاج منهم إلى
تحريض محرض ، أو تلبية دعوة داخ . وقد ناقض مؤرخنا نفسه في رواية ،
أوردها في مصنفه هذا ، حول الناصر . وستكلم عن ذلك في حينه ، من هذا
البحث^(٣٨) . أما أن الناصر أصبح متهماً عند بنى أيوب بأنه موالياً للمغول ،
فهذه إشارة من رشيد الدين إلى شيء معروف ؛ فالناصر ، وكما سبق ذكره ،
موال للمغول حتى قبل أن يصل « هولاءكو » إلى المنطقة . والسؤال هنا : ما
الذى منع الناصر من الذهاب بنفسه إلى الأمير المغولي عندما طلب منه ذلك ؟
يبدو لنا أن الذى معه أمور كثيرة منها : خوفه من أسرته ، وأنه كبير بنى
أيوب ، وما سلحته من اللوم ، وأن مكاته ، سياسياً وعسكرياً ستعرض إلى
الخطر ، وربما إلى الدمار ، من الداخل ومن الخارج . ففى الداخل ، نجد أن
مكاته لم تكن في وضع جيد ، إذ أن علاقته بكبار الأمراء من غلمانة وغسان
أبيه ، بدأت تضعف ، وخاصة بعد أن أخذ كبار محالليك أبيه يظهرون عدم
الولاء التام ، بسبب ما يعانونه من قلة ذات اليد ، ومن المطعم والملبس . لذلك
بحده يضطر إلى سماع شكواهم ويزيد في عدتهم حتى طابت نفوسهم . ومع
ذلك لم يكن مطمئناً إلى ولائهم ، فأخذ عنهم اليهود الوثائق ، حتى زال شيء
من نفسه من الخلق . كذلك نجد أن قوة التركان والأكراد الشهيرة ،

الذين رحب بهم ، وأنعم عليهم بالفتح والأعطيات ، بنونونه ، ويدهبون إلى صاحب الكرك والشوبك ، خصم الناصر . ومن ناحية ثالثة كان وضع الناصر من الخارج لا يسمح له بالخروج عن مملكته ، حتى لا تخرج عنه ، إلى إحدى القوى الشيطة به من الخارج فالتصليبيون ، جيبرانه ، رغم أنه لم يثبت أن أيًا من الطرفين قد تعدى على الآخر ، ومع ذلك كان يخشاهم الناصر . وهناك قوة المماليك ، التي أخذت تنطع ببصرها إلى الشرق ، لتتوسع على حساب أملاك الأيوبيين ، أسيادهم فيما مضى ، وهناك المنافس الأول على رئاسة وزعامة بنى أيوب ، الملك المنغث ، الذي كان يهدده من وقت إلى آخر ، وخاصة بعد أن تقوى بدهاب المماليك إليه ، وكذلك انخراط الأكراد والتركمان تحت لوائه ، بعد أن ترك الجميع الخدمة في جيش الناصر ، لذلك نجده يضطر إلى التجهيز والخروج للقائهم ، دفاعاً عن ممتلكاته وذلك في أوائل عام ١٢٥٧/١٢٥٩ م ، عندما خرج المنغث ليغزو دمشق ، وليأخذها من الناصر ، فكتب له النصر ، فضعف المنغث بعد الهزيمة وانفضت من حوئه تلك القوى التي لبته واستعز بها^{١٣٩} . أما المماليك في مصر ، فإنه عندما انضم إليه الأمراء الهاربون من المعز أيك التركاني ، وعلى رأسهم الظاهر بيبرس ، فأرسل إلى المعز يطلب منهم إعادة أراضي كانت قد أخذت منه على طريق الساحل ، فخاف المعز وأعادها إليه . وهنا خشى الناصر أنه لو ذهب إلى « هولانكو » لربما استغل الأعداء المماليك فرصة خروجه ، وهاجموا ممتلكاته ، وربما فقدوا جميعاً^{١٤٠} . إضافة إلى مذكراته ، فإن موقف الناصر من محمد الكامل ، صاحب ميافارقين ، كان لا يسمح له بالذهاب شخصياً ، إذ أنه ، وفي هذا الوقت بالذات ، سيرض نفسه لنوم وترجيع الناس . فقد كان محمد الكامل يجالد المغول المحاصرين له منذ أكثر من سنة ، وكان قبل ذلك قد جاء شخصياً إلى الناصر ، وطلب منه الاتحاد ضد المغول ، إلا أنه رفض ذلك ، بل وسفبه ، ولم يكثرث به . فعاد محمد هذا إلى ميافارقين ، ولم يستسلم للمغول ، وقاتلهم عامين كاملين تقريباً ، حتى استشهد ، رحمه الله^{١٤١} .

مما سبق يتضح لنا أن الناصر يوسف كان موالياً للمغول ، ويدين لهم بالطاعة . لذلك رأى أن يترتب في مقر ملكه ، حتى يقترب « هولاكو » منها ، فيخرج إليه ، فيكون بذلك قد حظى برضى الأمير المغولي ، بما سبق فعله ، عندما أرسل ابنه وأمراهه ، ومعهم الهدايا وخضاب الاعتذار ، كما سبق ذكره ، وضمن بقاءه على كرسي مملكته ، حتى ولو كان تحت ظل المغول وحكمهم المباشر ، لأن ذلك ، في نظره أفضل من الخروج إلى « هولاكو » وهو ما يزال في العراق ، وأذربيجان ، فيأقئ أعداؤه لمهاجمة ممتلكاته ، فيستولون عليها ، ويحربون أراضي آباءه وأجداده من تحت يديه . لهذه الأسباب جميعها رأى الناصر ، كما يبدو لنا ، أن يرفد ابنه ، حتى لا يظهر أنه قد تجاهل رسالة « هولاكو » ، فيغضبه من ناحية ، ولم يذهب إليه هو بنفسه ، خوفاً أسرته ، ومذمة المسلمين ، وخشية تعرض أراضيه للغزو الخارجي من ناحية ثانية .

ومع هذا وذاك فإنه لم يخف على الأمير المغولي موقف الناصر الغامض . فانغول لا يؤمنون إلا بوحدة من اثنتين أما الخضوع المطلق للمغول ، والاستجابة لداعيهم وتنفيذ أوامره ، وإما المساواة ، وهذا عندهم يعنى العداوة الصريح ، فهم قوم لا يؤمنون بأنصاف الحلول . لهذا ، نجد « هولاكو » يعيد ابن الناصر ، ومن معه ، ويعملهم رسالة لإبلاغها إليه . وهذا ما يظهر من أسلوب رسالته إلى الأمير الأيوبي . وهنا يذكر رشيد الدين بأن « هولاكو » سمح لرسول الناصر بالعودة إلى الشام ، وذلك في ١٩ ربيع الأول ، وحملهم رسالة إليه^(١٢) . وقد أشارت المصادر ، ذات الصلة المباشرة ، إلى عودة وفد الناصر وهم يحملون رسالة غير التي ذكرها مؤرخنا هذا ، والذي أورد رواية غير دقيقة في هذا الشأن ، كما يبدو لنا . فهذه الرسالة التي جاء بها رشيد الدين ، قد حملت إلى الناصر قبل أن يكون هناك مراسلة بين الطرفين ، بعد وصول هولاكو إلى العراق . وكذلك فإن من نتائج هذه الرسالة كانت استجابة الناصر ، حيث أرسل ولده والوفد المرافق له إلى الأمير المغولي . ويظهر لنا أن هذه ربما كانت إشارة من رشيد الدين إلى عودة الوفد ، ومعهم

رسالة أخرى غير تلك التي جاءت في العام المنصرم ، إلى الناصر ، كنتيجة لها ، لأن المصادر الأخرى ذات العلاقة تذكر شيئاً من هذا ، كما سنرى هنا .

ففي هذا الشأن ، تحدثنا بعض الروايات تمك ، أن رسل الملك الناصر عادوا إليه في شعبان من عام ٦٥٧هـ/آب ، أغسطس ، سنة ١٢٥٩م ، وأنهم ذكروا للناصر أن « هولاکو » قد قبل الهدية ، وطابت بها نفسه ، وزال ما كان عنده^(١٣) . أما ابن العبري ، فإنه يذكر في هذا الخصوص أن الملك العزيز قال لأبيه ، بعد عودته : « قد قال ملك الأرض (يعني هولاکو) : نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالآن إن كان قلبه صحيحاً معنا يحمي ، إلينا وإلا فنحن نمشي إليه »^(١٤) . أما صاحب مصنف « الخوادث الجامعة .. » فيقول بأن « هولاکو » قال لابن الناصر : « .. ، نحن طلبنا أباك وحيث لم يحضر نسير إليه »^(١٥) .

كما سبق ذكره ، يتضح لنا بجلاء أكثر أن الملك الناصر يوسف كان في الغالب موالياً للمغول ، ويدين لهم بالطاعة . فرأى ، على ما يظهر لنا ، أن يترث في مفر ملكه ، حتى تنضح الرؤيا ، ويقترب « هولاکو » من أراضي الشام ، فيخرج إليه ، فيكون بذلك قد حاز رضاه ، بما سبق وفعله ، عندما أرسل ولده وأمراه ، وهم يحملون الهدايا كما سبق ذكر ذلك ، وضمن ممتلكاته من أي هجوم قد يقوم به أحد أعدائه ، الصليبيون ، والمماليك ، أو المغيبي ، وبذلك يحوز على البقاء في كرسى مملكته ، تحت سلطة المغول . ولكن حدث في النهاية أمر من الناصر ، على غير ما ظهر منه ، طوال السنوات العشر الماضية . فقد تغير موقفه من موال للمغول ، كما رأينا ، إلى مجابهة ومقاتلة ضدهم . فما هو السبب وراء ذلك التغير المفاجيء ، والتغير المتوقع ، وقد رفض قبل ذلك أن يتعاون مع محمد الكامل ، صاحب ميافارقين ، ضد العدو الغازي ؟

هولاكو يستعد لغزو الشام ومصر ، وبدأهما بمهاجمة ممتلكات الناصر :

بعد أن قوض المغول خلافة بنى العباس ، وقُتل آخر خلفائهم ، انتهى « هولاكو » بذلك من انجاز المرحلة الثانية من المهام التي أوكلت إليه من المغول المجتمعين في « قراقروم » في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م . لذلك كان لابد لجنود المغول وخيولهم من فترة طويلة للراحة ، كما هي عادتهم ، بعد كل غزوة كبيرة ، يقومون بها ؛ فالرجال متعبون ، ويحتاجون لوقت ليس بالقصير للراحة ؛ ودوابهم ، والحيل منها خاصة ، تحتاج لوقت حتى تستعيد فيه قوتها ونشاطها ، فتسمن وتستعد للحملة القادمة .

بناء على ذلك ، نجد أن « هولاكو » يقضى ، مع جنده ، وقتاً ليس بالقليل ، قبل أن يستأنف العمل ، لإتمام المرحلة الثالثة والأخيرة من مهام حملة المغول الغربية . فعلى الرغم من أنه كان قد رحل من بغداد في منتصف شهر صفر عام ٦٥٦هـ/ العشر الأخير من شهر شباط ، فبراير سنة ١٢٥٨م ، إلا أن القوات المغولية لم تعبر نهر الفرات ، لتبدأ غزوها لبلاد الشام إلا في الأيام الأخيرة من شهر رمضان عام ٦٥٧هـ/أيلول ، سبتمبر سنة ١٢٥٩م . ومعنى ذلك أن المغول قضوا قرابة سنة ونصف وهم يسرحون ويمرحون في أراضي أقاليم العراق العجمي ، وأذربيجان ، وأرمينيا ، والجزيرة ، دون أي عمل رسمي يقومون به ، حيث لم نجد في مصادرنا التاريخية التي تسنى لنا الرجوع إليها ، أية رواية ، عن أي نشاط عسكري قامت به القوات المغولية على نطاق كبير ، طوال هذه الفترة . ورغم ذلك فإن « هولاكو » لم يقض السنة ونصف ، وهو جالس دون عمل يخدم المرحلة التالية لحملة . فقد استغل فترة راحة جنده وكراعه في إرسال الوفود ، واستقبال السفراء ، كل ذلك بغرض إنجاز حملته الأخيرة ، وتذليل كل ما من شأنه أن يقف حائلاً أمام المغول ، أو ما قد يعرقل أو يؤخر النصر الحاسم والسريع ، الذي كان الهدف الذي يسعى إليه كل مغولي . ولعل رسل الملك الناصر ، الإنف ذكرهم ، كانوا ممن ذهب إليه في هذه الفترة ، وكانوا من جهة من استقبلهم « هولاكو » في أذربيجان^(٦٧) .

بعد أن استكمل « هولاكو » كافة استعداداته ، بدأ أول مرحلة من هجومه ضد أراضي الشام . فهاجمت جحافل المغول ديار بكر وريجة ، فأخضعت ما تبقى من إقليم الجزيرة بالعراق ، حيث أخذوا دهنس ، ونصيبين ، وحران ، من أملاك الناصر يوسف ، ثم ماروا إلى البيرة ، وأخذوا قلعتها ، وأخرجوا منها أحد أمراء بني أيوب ، الذي كان مسجوناً فيها منذ تسع سنين ، فاستعان به المغول في فتح أراضي الشام^(٤٧) . وهنا يذكر ابن العميد بأنه عندما سمع الناصر يوسف بأن المغول قد أخذوا الأجزاء الشرقية من مملكته ، شاور كبار دولته ، ومحايدك أيه في الأمر . وفي النهاية استقر الرأي على التصدي للمغول ، ومناجزتهم بالسيف ، فجمع جموعه ، وهرج بهم ، وخيم خارج مدينة دمشق ، إلى الشمال منها في قرية بَرَزَة . وفجأة اكتشف الناصر مؤامرة ، حيكت بليل على يد الكبار من قاداته ، وعن تمحس لملاقاة المغول ، لقتله ؛ لذلك هرب المتآمرون ، بعد معرفة نيا اكتشاف مخططاتهم . بعدها تشتت قوات الناصر ، وانحل نظامها ، قبل أن يشتبك مع العدو ، بل وقبل أن يسمع بعبورهم نهر الفرات إلى بلاد الشام ، وطمع فيها القاضي والداني ؛ فأصبح خائفاً يترقب ، مشرداً ، حتى وقع في مصيدة حاكها له أحد أذانه الخلفيين ، فأخذ إلى القائد المغولي ، كما سيرد معنا^(٤٨) .

وهنا تساءل : لماذا استقر رأى الناصر على قتال المغول ، وكان يحسب ودهم ، كما ذكرنا أعلاه ، وكان قد أضع فرصة ثمينة في هذا الشأن ، عندما عرض عليه محمد الكامل ، صاحب سيفارقين ، بلتم الشمل ، والأمان ، والعدو المشترك ، الذي جاء ليقضى على الصغير والكبير ، ويدمر كل من يراه ويابسة ؟

لو رجعنا إلى العلاقات السياسية بينه وبين المغول ، طوّن العثمانيين الماضية ، لقلنا بأن الناصر لم يكن في حقيقة الأمر يسوى مواجهة المغول بسلامة ومناظرتهم في ميدان القتال ، لعلمه التام بحججه ؛ إضافة إلى أسباب أخرى جداً ، لعل من بينها :

١ - عدم وحدة البيت الأيوبي ، فقد شارك هو شخصياً في تفكك هذا البيت بدليل :

(أ) رفض التعاون مع صاحب ميافارقين ضد المغول .
(ب) كان قد هاجم أراضي أمراءهم الباقين في الشام ، حتى استصفى ممتلكاتهم فيها ، وسجنهم ، وشتت شملهم^(٤٩) .

٢ - ضعفه من الناحية العسكرية ، فعلى الرغم من أنه كان يمتلك قوة كبيرة مكونة من المماليك ، والأكراد ، والتركانيين ، إلا أن وجودهم بهذه التركيبة كان عامل ضعف في حد ذاته ، وذلك للأسباب التالية :

(أ) أن الأكراد والتركانيين جاؤوا أصلاً إلى الشام هاربين من مقصلة « هولاکو » ، بعد أن دمرهم قائده « كديو قانويان » ودمر قلاعهم ، وعلى رأسها « درتنك »^(٥٠) . فكون الناصر آواهم ، وفرق ذلك استخدمهم في جيشه ، يجعل المغول أكثر حقداً عليه ، وأشد تصميماً ، لئذ ما في وسعهم لتدميرهم ، وتدمير من يخدمون ، فهم طئنة « هولاکو » ، بل وطلبه أخيه « القاتان مكو » . فكانت مسألة تدمير النور والأكراد والتركانيين من أول الواجبات التي أذاط المغول وخانهم بها « هولاکو »^(٥١) . لذلك ، فقد هربوا ، ونجوا بجلودهم من المغول ، فكانوا سيقومون بالهرب من أمامهم أيضاً لو قابل الناصر المغول وهم من جهة جنده .

(ب) التنافس ، بل والشقاق ، الشديدين بين قوة الأكراد والنور من جهة مع الأتراك المماليك من جهة ثانية . فكل فئة تركزت للأخرى ، وتحسدها على أية مكانة قد تصل إليها لخدمة هذا السيد أو ذاك . فكل طائفة تركزت للفرقة الأخرى ، وتعمل على نفيها واستعصامها . لذلك نجد الأتراك المماليك يعملون في التخطيط لقتلهم ، بل وقتل الناصر نفسه ، وتولييه من يرون من بينهم^(٥٢) .

(ج) عدم استعداد الأكراد للقتال في صفوف جيش الناصر ، ضد المغول ، نلسب التوارد في الفقرة قبل السابقة ، إضافة إلى أنهم سبق وخانوه ، وذهبوا إلى خصمه ، الملك المغيث ، صاحب

الكرك والشوبك ، وقاتلوا معه ضد سيدهم الحالى ، رغم إنعاماته واعطيته لهم . أما ما قاله أحد قادتهم ، وهو شخص يدعى بدر الدين الحضرى ، من أنه لم يعارض ويفارق الناصر إلى المغيث إلا لحين الأول عن ملاقة المغول ، فإن هذا القول مردود عليه ، لأنه لو كان يود مجابهة المغول ، لما هرب في الأصل من أمامهم ، إضافة إلى أن المماليك تأمروا على قتلهم لأنهم قد عقدوا العزم بالأا يقفوا مع المماليك ليقاتلوا المغول ، وهذا ما أورده الأتراك كسب لتأميرهم عليهم وعلى الناصر .

(د) لم تكن طائفة المماليك راضية عن سيدها الجديد ، الناصر ، على الأقل لسببين :

السبب الأول : أن الناصر لم يلب رغبتهم ، ويسر معهم ضد حكومة المماليك الآخرين في مصر ، فقد هربوا من هناك خوفاً من صاحبها ، الملك المعز ايك التركمانى ، الذى أراد تصفيتهم ، لتأميرهم عليه . لذلك لجأوا هاربين منه إلى الناصر ، فأطعموه في ملك مصر ، ليس حباً في الناصر ، وولاء له ، بل للانتقام من ملكها المعز . وكان الناصر يعلم ذلك . إضافة إلى أنه كان يعلم بأن المماليك البحرية لا يمكن أن يشتموا معه ، كما زعموا ، ضد المغول ، وأكبر دليل على ذلك أنهم سبق وهجروه ، وذهبوا إلى صاحب الكرك والشوبك ، وقاتلوا معه ضد الناصر . أما عودتهم إليه مرة ثانية ، فإن ذلك لم يكن عن طواعية منهم واختيار ، فقد كانت مسألة : تسليمهم إلى الناصر أحد شروط عقد صلح الناصر مع المغيث ، بعد هزيمة الأخير في الاشتباك ، انوارد ذكره أعلاه ، في أوائل سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م ، على عقبه أربعا . « فأخذهم الناصر ، تحت الحوطة إلى دمشق ، وسير البحرية إلى الحصون واعتقلهم بها .. »^(٥٣).

السبب الثانى : اشتراك غيرهم معهم (من الأكراد والتركمان) في جيش الناصر ، وربما أنهم قد أحصوا بأن سيدهم أخذ يفضلهم

على المماليك . لذلك نجدهم يمحكون مؤامرة للفتك بالناصر وأخيه ، والأكراد والتركمان جميعاً .

٣ - لم يكن مماليكه ولا مماليك أبيه يكتون له الولاء والطاعة ، وخاصة الكبار منهم . وأكبر دليل على ذلك امتناعهم عن أداء اليمين له بالطاعة ، ولم يوافقوا على أداء اليمين إلا بعد أن أعطاهم أموالاً ، وأنعم عليهم انعامات وافرة^(٥٤) .

٤ - أن الناصر لم يوافق على إعداد الجند والخروج بهم خارج دمشق إلا للطاعة العمياء التي كان يولها لأمراته ، من مماليكه ، ومماليك أبيه . « وكان لا يخالفهم في شيء البتة لاعتقاده عليهم .. »^(٥٥) . كما كان الناصر يعلم ذلك منهم ، فلو خالفهم في عدم ملاقاته المغول لتذرعوا بذلك حجة عليه ، وأطاحوا به ، وولوا غيره . ولذلك عندما جاء الجند وأعاد مشاورة مماليكه ومماليك أبيه ، أشاروا في النهاية بعدم ملاقاته المغول ، وبعدها « ... تفلتت العساكر وتصرمت وقلت الحرمة ، وطمع كل أحد ولم يبق عند الملك الناصر والأمراء إلا قوم قلائل ... »^(٥٦) . لهذه الأسباب جميعها لم يكن الناصر يود ، بادىء ذي بدء ، مناصبة المغول العداء .

بعد أن أخذ دينسر ، ونصيبين ، والرها ، واستباح سروج ، وبعد أن ترك نصيبتين من جنده لأخذ ميافارقين وماردين ، عبر « هولاكو » نهر الفرات بقواته على ثلاثة جسور ، قامت كل فرقة من أجنحتها الثلاثة بالعبور من على جسر معين لها ، إذ مد جسر بالقرب من ملطية ، عبرت عليه قوات الميمنة ، ونصب آخر عند قرقيسيا ، حيث عبرت قوات الميسرة ، وبنى ثالث عند البيرة ، عبرت عليه قوات القلب ، والتي كان « هولاكو » على رأسها ، وذلك في رمضان ٦٥٧هـ / سبتمبر ، أيلول ١٢٥٩م . وهناك ارتكب مجزرة هائلة عند منبج . ثم تقدم باتجاه مدينة حلب . وبعد مناوشة خافتة مع نائب الناصر عليها ، الملك المعظم توران شاه ، انهزم ، وهرب صوب حلب وتحصن في قلعتها .

وصلت قوات المغول حلب ، فحاصروها من جهات أربع^(٥٧) . وبعد حصار دام حوالي عشرة أيام استسلمت المدينة في محرم ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، وبعدها اقتحم المغول وأعوانهم قلعتها ، بعد حصارها قرابة أربعين يوماً . ثم استسلمت مدينتا حمص وحماه طواعية ، فسلمنا من النهب ونجبا أهلها من القتل . أما مدينة دمشق ، فقد تشاور ذوو الرأي وكبار رجالاتها ، فتوصلوا جميعاً إلى أنه يجب إعلان الطاعة للمغول ، والدخول تحت سلطانهم لئلا يلحقهم ما حل بأهل حلب ، التي تذكر الروايات التاريخية بأن من قتل فيها فاق من قتل في بغداد ، على أيدي المغول وأعوانهم . لذلك فقد استقبل أهل المدينة المغول ، وقدموا مفاتيحها ؛ فدخلوا المدينة ، وسلمت وسلم أهلها^(٥٨) .

نهاية الناصر يوسف على أيدي المغول :

كان الناصر قد غادر مدينة حلب ، وذهب إلى أختها دمشق ، بعد أن جاءته أخبار تفيد بأن المغول قد أخذوا ممتلكاته في شرق الفرات . وبعد أن تفرقت عنه أكراده ومماليكه من البحرية وغيرهم ، وعندما بلغته أنباء سقوط حلب ، مدينته ومدينة آبائه وأجداده ، واقتحام المغول لقلعتها ، التي كان يظن بأنها لا تؤخذ أبداً مهما طال حصارها ، عقد العزم على الفرار من دمشق ؛ فهجر الشام وذهب في طريقه باتجاه مملكة المماليك في مصر ، وذلك في منتصف شهر صفر عام ٦٥٨هـ / يناير ، كانون الثاني ١٢٦٠م . حول هذه المسألة يحدثنا ابن العيذ ، الذي كان مصاحباً للناصر ومجموعة من كتابه وخواصه ، بأن سيدهم ترك مدينة دمشق « ... ، خالية من المساكن وأهلها على الأسوار يخالفهم ويشتموهم^(٥٩) ويدعون عليهم ويقولون تركتمونا طعم للتار (المغول) لا كتب الله عليكم سلامة^(٦٠) . ثم يردف هذا المؤرخ ، الذي كان ينقل لنا ما شاهده بعينه ، قائلاً بأن الناصر وأهله وحرابه ومن صاحبه في تلك الرحلة « وجدوا من المشاق والشدائد في الطرقات ما يعجز الوصف عنه ، وسببه أن خروجهم كان في شدة البرد وقوته ووقعت الأمطار الكثيرة وكثرت الأوحال وتكسرت الجمال من الزلزل والأوحال وعتكت النسوان بين

الفلاحين ونحطف أهل البلاد من قماشهم وما كان معهم وعليهم شيئاً كثيراً
وجرت عندهم صعوبات كثيرة عظيمة»^(١١١).

وصل الناصر إلى نابلس ، ومنها ذهب إلى غزة ، ثم خرج من الأخيرة إلى
العريش ، وهو لم يستقر على رأى معين بعد ، فقد كان يفكر في بداية رحلته
من دمشق بأنه سيذهب إلى مصر ، ولكنه خاف ملكها ، المظفر قطز ، فأرسل
إليها زوجته ، وبعض أفراد أسرته^(١١٢) . أما هو فإنه غادر العريش إلى الرمل ،
ومعه بعض أقاربه وأمرائه . وقد كان أرسل إلى قطز يطلبه العون والاتحاد ضد
العدو الغازى ، إلا أن عدم ذهابه إلى مصر ، وخروجه إلى الرمل جعل قطز
يظن بأن تلك حركة من الناصر يريد الاحتيال والدخول إلى مصر خدعة
وخلسة . فشرع قطز في مكاتبة أمراء الناصر وخواصه المرافقين ، ووعدهم
الوعود الحسنة ، فهجروه وذهبوا إلى قطز ؛ ولم يبق معه سوى قلة لا يتجاوز
عددهم الخمسة^(١١٣).

توجه الناصر ، ومن معه ، إلى قطيا ، ومنها ساروا إلى الشوبك ، ومن ثم
اتجهوا إلى الكرك ، من مملكة المغيث ، الذى سأله القدوم إليه في قلعتها ، إلا أن
الناصر خافه ، فرفض قبول دعوة الملك المغيث ، فغادر الكرك إلى البلقاء .
ولقد مكث في أطراف هاتيك الربوع ، حتى فاجأته قوة من المغول ، وهو على
بركة زيرا ، إحدى قرى البلقاء فأحاطوا به وبمن معه ، واعتقلوه ، فأخذوهم
إلى قائد المغول العسكرى في الشام ، كدبوقا نويان ، الذى أرسله إلى
« هولانكو » ومعه أخوه الملك الظاهر . ولقد كان الأخير استلم إلى
المغول ، ونزل من قلعتهم صرخند ، فأبقاه القائد المغولى معه حتى جرى بأخيه
الناصر ، فأرسلها ومن معها إلى سيدة قرب بحيرة وآن . وكان الذى دل
على الناصر أحد غلمانهم وأتباعه ، وهو شخص يدعى حسين الكردى ، حيث
ذهب خلسة إلى « كدبوقا » وطلبه اقطاءً ليدله على خبير سيده ، فأعطى
بنيته ، فقاد جماعة من المغول إلى مكان الناصر ، وكان الكردى قد حسن له
المضى إلى المغول ، فاعتر بقولته ، فقدم إلى « كدبوقا » فأرسل من قبض
عليه ، وكان حسين الكردى طبردار الناصر^(١١٤).

كان « هولاکو » قد رجع من حلب ، وعبر الفرات ، ثم ذهب إلى إقلمیة
أرمینیا ، حیث جىء بالناصر إليه ، وهو مقيم على السواحل الشرقية من بحیرة
وآن^(١٩٠). وحول هذه المسألة تذكر الروایات ذات الصلة أن « هولاکو »
استقبل الناصر أحسن استقبال ، وفرح به ، وأحسن إليه ، وكان يجلسه
بالقرب منه على كرسي ، ورتب له راتباً كبيراً ، ووعدته بكل خير وجميل ،
وأنه يعيد إليه ممتلكاته جميعها^(١٩١).

كان هذا التصرف من « هولاکو » ، تجاه الناصر ورفاقه ، أمراً مألوفاً ،
وحيلة معروفة منه ؛ فقد فعل الشيء عينه مع كل من الخليفة العباسي
المتعصم ، ومع ركن الدين خورشاه^(١٩٢). فلقد كان ما يزال أمام « هولاکو »
بقية من أراضي الشام وفلسطين لم تفتح ، وفوق ذلك مملكة وأراضي مصر ،
فلا بد من الاحسان إلى هذا الأمير الأيوبي ، بل هو أكبر أفراد أسرته ، ليسهل
به إخضاع ما تبقى من هاتيك الأصقاع ، التي مر بفتحها ، حتى يصل إلى
حدود مصر الغربية . ونحن نعلم أن « هولاکو » قد ندم على التسرع في قتل
الملك محمد الكامل ، صاحب ميافارقين أشد الندم ، فقد كان يريد الإبقاء عليه
لنفس الغرض . لذلك كان مقدم الناصر إليه مكسباً ، وورقة رابحة ، ليكسب
به أخذ مصر بسهولة ويسر ، ويساوم به حكومة المماليك فيها^(١٩٣). إلا أن هذا
الأمير المغولي وقع في عين الخطأ السابق مرة أخرى . فعلى الرغم من تجربته مع
محمد الكامل وقتله أباه ، وندمه على ذلك ، نجده أيضاً يأمر بشكل متسرع ،
وهر في حدة غضبه ، بقتل الناصر ، وكافة أصحابه ، وأتباعه ، ومن معه ،
وذلك في أواخر شهر شوال من عام ٦٥٨هـ / منتصف أكتوبر ، تشرين الأول
سنة ١٢٦٠م ، عندما جاءت أنباء هزيمة كتيبه العسكرية التي تركها في
الشام ، برئاسة « كديوقانويان » ، وعاد هو إلى الشرق على أثر علمه بوفاة
أخيه « القاتان »^(١٩٤).

وفي نظري أن « هولاکو » قد ارتكب عملاً لا يدل على حنكة سياسية ،
ولا نظرة عسكرية بعيدة المدى ؛ وهذا بعكس ما عرف به واشتهر عنه وعن
آبائه وأجداده ، وأهل بيته في هذا الميدان . فلم تقده تجربة مقتل صاحب

ميا فارقين ، الذى كان بإمكانه استخدام محمد الكامل فى تسهيل فتح حلب ،
والتي كلفت المغول الشيء الكثير قبل فتحها ، ثم إن الإبقاء على محمد الكامل
جياً لدى المغول ، وبجىء بعض رجالات بنى أيوب الآخرين ، وانضمامهم إلى
صفوف المغول ، كما فعل الملك السعيد بن العزيز ، صاحب بانياس والأشرف
موسى ، صاحب حمص ، واستسلام الملك الظاهر أئشى الناصر يوسف ،
وغيرهم ، كل هؤلاء كان بإمكان « هولاكو » أن يجعلهم على رأس جيش
يسير بهم ضد المماليك فى مصر ، بعد أن يطعمهم فى ملك مصر ، وإعادة
أسرتهم الأيوبية كسابق عهدها ، تحكم الشام ومصر ، حتى وإن كان ذلك
تحت ظل المغول ، وهذه السياسة سرف توفر على المغول الشيء الكثير ،
سياً وعسكرياً . ولا أعتقد أن الأمراء الأيوبيين أولئك كانوا معارضون ،
بل على العكس ، سيجدون ذلك غاية ما يتناه كل واحد منهم ، لأسباب
كثيرة لعل منها :

١ - حبهم فى استعادة ما فقدوه من ممتلكات فى أراضى الشام ، فتعاد لكل
واحد منهم إمارته الصغيرة على الأمل .

٢ - تشوقهم الشديد لأن تعيد الأسرة الأيوبية ، كسابق مجدها ، نفوذها على
مصر ، حتى وإن كان ذلك تحت ظل حكومة وثنية ، فلربما يأتى ذلك
اليوم فيصبحون أقوياء فيستقلون عنهم ، ويصبح لهم الأمر والشأن ، أو
بعضهم .

٣ - حب الانتقام من حكومة المماليك فى مصر لأنها :

(أ) قامت بقتل الأمراء من بنى أيوب ، وهم الحكام وأصحاب الملك
فى مصر ، وعلى رأسهم الملك المعظم توران شاه بن الصالح
أيوب ، والصالح إسماعيل ، وغيرهما من أسرتهم الأيوبية^(١٧) .

(ب) اقتطاعهم لأراضى وملك مصر ، من تحت النفوذ الأيوبي ،
والاستقلال بها ، تحت حكم أفراد كان أشخاصها مماليكاً وخداماً
للملوك وأمراء بنى أيوب .

(ج) حب الانتقام من المماليك ، لما كان بين الطرفين من حروب ،
ومعارك ، منذ انفصل المماليك واستقلوا بحكم القطر المصرى ،

بعد مقتل توران شاه ، وكان النصر فيها حليف المماليك .
 ٤ سوف ينصر الأيوبيون ، ومعهم المغول ، على المماليك ، لما عرف عن
 المغول من الناحية العسكرية ، وشهرتهم في هذا الميدان ، ثم أن أهالي
 مصر والشام سوف ينحاز منهم أعداد كبيرة تتعاطف مع الأيوبيين ،
 وهم حكامهم السابقين ، أما المماليك ، فهم مقتصروا الحكم من
 سيادتهم .

إن أمورا عسكرية ، وسياسية غاية في الأهمية والخطورة مثل هذه ، قد
 فالت على « هولاکو » ، ساعة غضبه ، وحزنه الشديدین بمجرد سماعه بهزيمة
 كنية من جنده ، ومقتل أعذب جندها ، وقادتها العسكريين ، وعلى رأسهم
 « كديرقانويان » نفسه . لذلك كان لتصرعه ، في اتخاذ قراره الأحمق ذلك
 نتائج وعواقب سياسية وعسكرية سيئة على مستقبل فتوحات المغول للأراضي
 الواقعة إلى الغرب من سمر القرات . فلم تكن هزيمة المغول في عين جالوت
 وحدها السبب ، بل ربما لم تكن أي سبب ، في تعثر ، ونهاية زحف المغول إلى
 الغرب من ماء القرات . فهناك أسباب كثيرة تتعلق بوفاة الخان المغولي ، ثم
 الخرب الأهلية ، التي تلت وفاته تتنافس الأمراء على العرش المغولي ، الأمر
 الذي أهدأ كل اهتمام « هولاکو » ؛ تاهيت عن مسألة مقتل أولئك الأمراء ،
 فساهم قتلهم في ضياع ورقة راجحة في يد « هولاکو » ساعة غضبه ، فحصل
 من المماليك أنما حاصوا نال انتقام لقتلهم ، ومقتل آلاف البشر من المسلمين في
 الشام ومصرين . فجعل الأهالي هناك ينسبون كون المماليك مقتصين لعروش
 بني أيوب ، وهم خدمهم وعبدهم ، ويفتخرون حولهم .

أما ما يتعلق بخادث مقتل الناصر ومن معه ، فتحدثنا المصادر التاريخية ،
 ذات الصلة المباشرة ، أن « هولاکو » ، بعد سماعه بهزيمة جنده ، ومقتل
 قائده ، في عين جالوت ، نشاءم ، وغضب ، فأمر في الحال بقتل الناصر ،
 ومن معه ؛ ورحل من على شواطئ بحيرة وآن ، في إقليم أرمينيا ، باتجاه تبريز
 في أذربيجان . أخذ الناصر ، وأخوه الظاهر ، والصلاح إسماعيل ، وجميع من
 كان معهم ، إلى جبال سمناس ، فذبحوا واحداً بعد الآخر ، ولم ينج من القتل

سوى الملك العزيز محمد ابن الناصر يوسف ، حيث شفعت فيه « توفوز خاتون » زوجة « هولاکو » ، فأرسل لك مراغة ، مع من أرسل من أولاد الخلفاء والملوك ، وكان من بينهم مبارك شاه بن الخليفة المستعصم ، وقد شفعت فيه نفس المرأة ، عندما قتل المغول والده وانجوت ، وكافة أسرته ، بعد سقوط بغداد^(٣١).

أما صورة الحال ، التي قتل بها الناصر فقد أوردها ابن العبري ، عن رجل شاهد عيان ، كان ممن يخدم الناصر ، ومن حكم عليه بالإعدام أيضاً ، ولم ينجه من الإعدام سوى تقوله بأنه منجم ، وأنه يعرف في علم السماء ، والكواكب ، تركه المغول ، وأرسلوه إلى « هولاکو » ، فأصبح من الناس الذين انخرطوا في سلك الخدمة ، تحت إدارة نصير الدين الطرسي ، في عمل الرصد في مراغة ، ومنهم ابن العبري وغيره كثيرون ، يقول ابن العبري في هذا الخصوص : « فغضب هولاکو لذلك (لمقتل كديوقا وهزيمة جنده في عين جالوت) وتقدم بقتل الملك الناصر وقتل أخيه الملك الظاهر وجميع من معهم . ولم يتخلص منهم غير محي الدين المغربي^(٣٢) . بسبب أنه كان يقول إنني رجل أعرف بعلم السماء والكواكب والتنجيم ولي كلام أقوله لملك الأرض (يعني هولاکو) . قال محي الدين المذكور لما اجتمعنا به في مدينة مراغة . انني لما قلت لهم هذا الكلام أهدونني وأحضرونني بين يدي هولاکو فنقدم أن يسلموني إلى خواجا نصير الدين . وحكى لنا ما جرى للملك الناصر قال : كنت في خدمته يوم الأربعاء عشرين شوال وهو يسألني عن مولده إذ وصل أمير من المغول ومعه خمسين فارساً . فخرج الملك الناصر من الخيمة والتقاء وعرض عليه النزول . فامتنع قائلاً : هولاکو سمى ويقول : هذا اليوم لنا فرحة وقد عملنا دعوة وحضر الأمراء كلهم فتحضر أنت وأهلك وأولادك للأمر الذي لك عندنا . فجمع الملك الناصر جماعته مقاربة عشرين لفرساً وركبوا وساروا صحبة ذلك الأمير . وبعد ساعة وصل أيضاً عشرون فارساً آخر وقالوا : يحضر الجماعة كلهم ولا يبقى في التحميم غير الفراشين والمالك الصغار والطباخين والغلمان . وبقى الجماعة والحيلة والكتاب يحضرون في الدعوة .

(قال) فأخذونا إلى مواضع أودية عميقة بين حجارة عالية ونزلنا عن الخيل فاحتاط كل واحد منهم بواحد منا وكفونا . فلما عاينت ذلك بقيت أقول بصوت عال : إنني رجل منجم وأعرف بحركات الكواكب وممى كلام أقوته في خدمة السلطان ملك الأرض . فأخذوني وأعدوني وراءهم مع جملة أتباعهم وشرعوا بقتل الجماعة ولم يخلص منهم غير ولدي الملك الناصر فاستأسروهما هناك^(١٧٣) . ثم ركبوا وعادوا إلى البيوت التي للملك الناصر ونهبوها وقتلوا باقي الجماعة التي تحلفت هناك . ثم عرضوا الأمر على هولاكو وأنا صرت في خدمة خواجا نصير الدين في الرصد بمراغة وابنا الملك الناصر في خدمته^(١٧٤) .

وهكذا انتهت حياة كبير بنى أيوب ، وأقراهم ، وأكثرهم سعة في المال والجاه والوطن ، على أيدي المغول ، مذبحاً كما تذبج النشاة ، بعد أن تهاون ، بل تقاعس عن قتالهم أيام كانوا يعيدون عن أراضيهم وهم في العراق ، فقام برد محمد الكامل مكسور الخاطر من عنده ، وهو يدعو إلى الاتحاد والتعاقد والجد في قتال العدو الغازي ، فما كان من الناصر إلا أن استخف برأيه وسفهه . كما كان الناصر ، على ما يبدو لي ، هو المسؤول عن تفكك بني أيوب ، وصراعهم المقيت ، الذي طال مداه فيما بين أمراء هذه الأسرة ، ثم حروبه مع المنابك . فهل جنى بنو أيوب من تفككهم ومهاتراتهم السياسية ، وقتل وسجن بعضهم بعضاً إلا القتل والتشريد ، والنذل والمهانة ، وانحمار على المحارم ، وفوق ذلك كنه روال الملك ، والنعمة . فوالله إنه : « لا جماعة لمن اختلف » . و « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » صدق الله العظيم .

(١) ولد تيموجين في عام ١١٥٥/٥٥٤٩م في مكان يعرف به « ديلون بولدا في » على الهري السفلى لنهر « آونون » . لمعلومات أوفر في هذا الموضوع ، انظر : رشيد الدين فضل الله العمري ، جامع التواريخ ، تحقيق بهمن كرمي ، طهران ، ١٣٣٨ هـ . ش ، ج١/ص ٢٣٣ ، بناكتي ، فخر الدين أبو سلیمان ، تاريخ بناكتي ، تحقيق د. جعفر شعار ، طهران ، ١٣٤٨ هـ ، ش ، ص ٣٦٢ . كذلك انظر الحواشي رقم ١ في ص ٥٧ ورقم ٢ ، ٣ في ص ٥٨ من كتابنا سقوط الدولة العباسية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ . أما ما يتعلق بمعنى جنكيز خان ، فقد شرحنا ذلك في كتابنا آف الذكر في ص.ص ٧٥ - ٧٦ ولمعلومات أوفر في ذلك راجع حواشي ص ٧٦ .

(٢) لمعلومات عن مراحل طفولة وشباب جنكيز خان راجع رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١ ص.ص ٣٣ ، ٢٤٠ ، ٣٣٦ مجهول المؤلف ، تاريخ المغول السرى ، الترجمة الانجليزية ، ارثروولى ، لندن ، ١٩٦٣م ، ص ٢٢٦ ، الطبعة الفارسية ، « تاريخ سرى مغولان » ، ترجمة د. شيرينى بيلى ، طهران ١٣٥٠ هـ . ش ، ص.ص ٢٤ - ٢٥ . كذلك كتابنا سقوط الدولة العباسية ، ص.ص ٥٩ - وبعدها .

(٣) في أواخر القرن السابع الهجرى/١٣ للميلاد ، كانت امبراطورية المغول تمتد من المحيط الهادى وجزر اليابان شرقاً ، ومن الهند الصينية الى الجنوب الشرقى الى جبال الألباش وبحر البلطيق وآسيا الصغرى ونهر الفرات غرباً ، ومن سيبريا شمالاً الى جبال المعلايا ونهر السند والبحر العربى جنوباً .

(٤) لقد درسنا مراحل توحيد قبائل المغول ، وجهود جنكيز خان ، في كتابنا « سقوط الدولة العباسية » ص.ص ٦١ إلى ص ١٠٦ . لذلك فإن أى معلومات تتعلق بهذا الشأن سيجدها القارئ الكريم في مصادر الكتاب المذكور ، والمنزه عنها في حواشئ تلك الصفحات .

(٥) كانت حروب جنكيز خان ضد امبراطورية « التتكون » أو « هسي هسيا » قد استمرت في خلال السنوات : ١٢٠٤/٥٦٠١ ، ١٢٠٦/٥٦٠٣ ، ١٢٠٩ - ١٢١٠م . لمعلومات أولى انظر : رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١/ص.ص ١٠٢-١٠٥ ، ٢٠٦-٦٠٨ كذلك Marin, H.D. The Mongol Wars With Hsi-Hsia. (1205 - 1227) JRAS, 1942. pp 192 - 228, Saunders, J.J.

The History of the Mongol Conquests, London, 1971, p 53; Fox, E., Genghis Khan, London, 1963, p 143; Walker, C.C. Jenghiz Khan, London 1939, p.p. 39 - 44.

(٦) ما يتعلق بغروب جنكيز خان ضد أراضي الامبراطورية الصينية الشمالية « جين » راجع : رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١/ ٣٢٠ - ٣٣١ ، كذلك المراجع الانجليزية التالية :

Douglas, R.K. The life of Jenghiz Khan, translated from the chinese contemporary chroniclers, London, 1877, pp: 60-75; Vladimirtsov, B.Ya. The life of Chingis - Khan, translated from the Russian by Prince D.S. Mirsky, London, 1930, pp: 93 - 100

انظر الترجمة العربية التي قمت بها ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص.ص : ١٣٦ - ١٤٨ ؛ Martin, M.D. The Rise of Chingis Khan and his Conquests of North China, London, 1950, pp: 170 - 171; Lamb, H., The March of the Barbarians, London, 1941, pp: 59 - 60; Philips, E.D., The Mongols, London, 1969, pp: 53 - 58; Prawdin, M., The Mongol Empire, it's Rise and legacy, London, 1941, pp: 116 - 123; Saunders, The History of the Mongol Conquests.

(٧) لمعلومات تفصيلية عن ظروف وتاريخ مقتل أو وفاة جنكيز خان والمصادر المتعلقة بذلك ، وذات الصلة المباشرة ، راجع كتابنا « سقوط الدولة العباسية » ص.ص ١٣٦ - ١٤٠ وما ورد في حواشي هاتيك الصفحات من مصادر حول هذا الموضوع .

(٨) لقد فصل المؤرخ الفارسي المسلم ، عطا ملك الجويني ، في كتابه الموسوم بـ « تاريخ جهانكشاي » أي تاريخ فاتح العالم ، تحقيق الأستاذ المرحوم محمد بن عبد الوهاب الفوزيني ، طبع برلن ، بولندا ، سنوات ١٣٢٩ ، ١٣٢٤ ، ١٣٥٥هـ/١٩١١ ، ١٩١٦ ، ١٩٣٧م ج١ ، ص.ص ١٤١ - ١٤٩ في هذا الموضوع . راجع كذلك رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١/ ص.ص ٤٥٢ - ٤٥٤ ثم كتابنا سقوط الدولة العباسية ، ص.ص ١٤٤ - ١٤٥ وحواشي هذه الصفحات ، وقد حكم « اكناي » من عام ١٦٢٦هـ / ١٢٢٩م إلى عام ١٦٣٩هـ / ١٢٤١م . لمعلومات عن فتوحات المغول في عهده ، راجع كتابنا الأنف ذكره ،

ص.ص: ١٤٦ - ١٥٦ ، وما ورد في تلك الصفحات من مصادر مباشرة ،
• بلغات مختلفة ذات علاقة .

(٩) حكمه « كوكوك خان » من عام ١٢٤٤هـ/١٢٤٦م حتى وفاته في
١٢٤٦هـ/١٢٤٦م . راجع الخويس ، جهانكشاي ، ج١/ص ٢١٥ ، كدلت
الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب المهام بعنوان :

The History of the World Conqueror, by: prof. J.A. Boyle,
Manchester University Press, Manchester, 1958, Vol. 1/ pp: 261F
كدلت رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١ص ٥٧١ ، والترجمة الإنجليزية لكذلك
بعنوان :

The Successors of Genghis Khan, by: Prof. J.A. Boyle, New York,
1971, p: 185.

إذا لم يتوفر هذان المصدران فراجع كتابنا سقوط الدولة العباسية ص.ص ١٥٧
١٥٩ .

(١٠) كل ما يتعلق بالنصرائح الدخول ، بين أحفاد « جنكيز خان » حول الأحقية في
ولاية العرش ، راجع مصادرنا الواردة في كتابنا سقوط الدولة العباسية ، من
صفحة ١٦٠ إلى صفحة ١٦٣ ، وما قيل في هاتيك المصادر في هذا الشأن ،
وبخاصة في جامع لتواريخ رشيد الدين ، و جهانكشاي ، لنجويي .

(١١) لقد فصنا في كتابنا آتف الذكر ، حول تصفية وإنهاء أمر الخشاشين الإسماعيلية في
إيران ، وكذلك سقوط الخلافة العباسية ، في الصفحات من ١٦٧ وبعدها ،
قللمزيد حاول أن تراجع مصادر مادتنا في ذلك الكتاب ، فلا أرى داعياً لسردها
للقارئ الجليل هنا .

(١٢) انضم مع « هولاكو » حكام مسنون ، كيدر الدين لؤلؤ ، وحكام كرمان ،
وفارس ، وآسيا الصغرى ، ضد مسلمي العراق . راجع ذلك في الفصل الخامس
من كتابنا سقوط الدولة العباسية . أما ما يتعلق بصاحب ميافارقين محمد الكامل ،
فقد بحثنا موضوعه ، وكيفية قتاله المغول في بحث سينشر قريباً في مجلة دنرة المنك
عبد العزيز تحت عنوان : « بطولة وفداء في ميافارقين » .

(١٣) كان يحكم في حصص كيفا وقلعة الهيتم ، الواقعتان في ديار بكر ، الملك الموحد ابن
توران شاه ، ولي ميافارقين محمد الكامل ، وفي حجة المنصور بان المنظر ، وفي
حصص الأشرف ابن المنصور ، بتركوه ثم أخذت منه وسلم عوض عنها تل ياشر
والرحبة وتندمر ، وفي هاتيك الصبيبة الملك السعيد حسن بن عبد العزيز عثمان بن

العادل ، وفي الكرك والشوبك الناصر داود بن المعظم عيسى ، ثم أخذت منه إلى الصالح أيوب ، وبعدها إلى فتح الدين عمر ، وفي صهيون وبرزية وبلاطفس مظفر الدين عثمان بن منكورس ، أما الملك الناصر يوسف ، موضوع بحثنا هذا ، فكان يحكم حلب ، ثم أخذ بعدها دمشق ، وضم فيما بعد بعلبك ، وعجلون ، وشببس وغيرها ، لمعلومات عن مواقع هذه الأماكن ، راجع المعجم الجغرافي ، لياقوت الحموي ، حسب حرف كل موقع ، كذلك راجع الكتب التالية عن الحكام المذكورين أعلاه ، أهر شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل ، « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » المعروف بـ « الدليل على الروضتين » بيروت ١٩٧٤ م . ص.ص ٢٠١ وبعدها ؛ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل ، المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، غير معروف سنة الطبع ، الجزء الثالث ، في صفحات متفرقة (١٦٥ - ٢٢١٣ ؛ ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ج٧/ص ١٥ على سبيل المثال ، وغيره هذه المصادر المتعلقة بتاريخ بني أيوب في الشام . انظر كذلك الحاشية رقم ٤٧ ، ورقم ٤٩ من هذا البحث ، لمعرفة أمثلة فقط على معاملة بني أيوب بعضهم للبعض الآخر .

(١٤) لمعلومات عن الحروب الأهلية بين أمراء بني أيوب ، راجع : ابن العميد ، المكين جرجس ، أخبار الأيوبيين ، ص.ص ١٤٨ وبعدها ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، المنسوب لكمال الدين عبد الرزاق بن الفوطي ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ، ص.ص ٢٠١ على سبيل المثال ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الرمان في تاريخ الأعيان ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٢م ، ص.ص ٧٠٨ وبعدها ؛ شمس الدين ، أحمد بن محمد الذهبي ، العبر في خبر من غير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٩م ، ج٥/ص ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٣ وبعدها ؛ ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ ، البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ج١٣/١٤٨ وبعدها ، ١٧٩ وبعدها ٢١٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٦/ص.ص ٣٠٣ وبعدها . ثم نتيج حوادث الستين بعد وفاة محمد الكامل ابن العادل ؛ المقرئ ، كتاب السلوك ، ٢/١ ، ص ٢٧٥ وبعدها .

(١٥) ولد الناصر يوسف في رمضان عام ٦٢٧هـ/أغسطس ١٢٣٠م ، في قلعة حلب ، انظر : ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ١٤٣ ؛ بو شامة ، تراجم ، ص.

٢١٢ : ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني
أيوب ، تحقيق : د. حسنين ربيع ، دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٧٢ ، ج ٤ ، ص
٢٨٣ ؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء
الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٧١ م ، ج ٤/ص ١٠ ؛ ابن
شاذان ، محمد بن شاذان الكلبى ، غوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، دار
صادر ١٩٧٤ م ، ج ٤/ص ٣٦١ ، الخليل ، أحمد بن إبراهيم ، شفاء القلوب في
مناقب بني أيوب ، دار الحرية ، العراق ١٩٧٨ م ، ص ٤٠٨ كذلك حاشية رقم
٢٠٦ من نفس الكتاب هذا .

(١٦) هي ضيقة خاتون بنت العادل ، وقد ظلت تدير مملكة حفيدها حتى توفيت ،
وكان يعاونها أمراء كثيرون يتصدر فئتهم الأمير شمس الدين لؤلؤ الأرمنى (وقيل
الأمينى) ، والأكرام ابن القفطى ، وعز الدين الخلى ، والطواشى جمال الدولة ،
واقبال الخاتونى . انظر ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧/ص ٢١ ؛ ابن
إبراهيم الخليل ، شفاء القلوب ، ص ٤٠٨ ، لمعلومات عن والده العزيز (٦٠٩ -
٦٣٤ هـ) انظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ص ٧٠٣ ؛ أبو شامة ، تراجم ،
ص ١٦٥ ؛ الذهبى ، العبر ، ج ٥ ص ١٤١ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣/ص
١٥٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢/ص ١٤٥ - ١٤٦ ؛ ابن العماد ،
شذرات ، ج ٥/ص ١٦٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٦/ص ٢٩٧ .

(١٧) كان على رأسهم أنبايكة شمس الدين لؤلؤ ، (وقيل لؤلؤ ، ولالا) ابن عبد الله
الأرمنى فكان الناصر لا يخالف له أمراً ، وظل كذلك حتى قتل على يد المسالينك
في الواقعة الحربية التي قادها وهو على رأس جيش سيده ضد المسالينك ليأخذ منهم
مصر . كما سيورد معنا في ثنايا البحث هذا . لمعلومات إضافية عنه انظر سبط ابن
الجوزى ، مرآة الزمان ، ص ٧٨٣ - ٧٨٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم
الزاهرة ، ج ٧/ص ٢١ ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح ، شذرات الذهب في أخبار من
ذهب ، ج ٥/٢٩٩ ، انظر الحاشية رقم ٢٦ من هذا البحث .

(١٨) « وقد زاد ملكه على ملك أبيه وجدته ، فإنه ملك حلب ، وحران والرها والرقه
وراس العين وما مع ذلك وملك حمص ودمشق وبعلبك والأغوار والساحل إلى
لحزة .. » . انظر سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ٧٧٩ - ٧٨٠ ؛ أبو شامة ،
تراجم ص ١٨٦ ؛ راجع أيضاً وفيات الأعيان لابن خلكان ، ج ٤/ص ١٠ ؛ ابن
شاذان ، غوات . ج ٤/ص ٣٦١ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣/ص ١٧١ -
٢١٢ ؛ الخليل ، شفاء القلوب ، ص ٤١١ - ٤١٣ - ٤٢١ .

(١٩) كان اللقاء في مكان اسمه الكراخ قريباً من الخشي في الرمل ، انظر المكين جرجس ، أبحار الأيوبيين ، ص ١٦٢ . ويقول أهر شامة أنها كانت على مكان يعرف بـ « سمحوت » بين الخشي والعنابية ، تراجع ، ١٨٥ - ١٨٦ . انظر صيط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص.ص ٧٨٠ - ٧٨١ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٥/ص.ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ المقرئ ، السلوك ، ٢/١ ص.ص ٣٧٢ - ٣٨٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٧/ص.ص ٧ - ١٠ .

(٢٠) كانت حفيدة الملك العادل القطبية بنت قطب الدين بن العادل ، وهي من عمات الملكين الأيوبيين المنتخالفين والمتحاربين ، انظر أبو الفداء ، مختصر ، ج٣/ص.ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٣١٩/ص.ص ٣١٩ .

(٢١) لم يذكر المؤرخ الجويني ، اسم أنسى صاحب حلب المرسول إلى منغوليا . ولعل الأمر قد اشتبه على مؤرخنا ، إذ لم نعلم في مصادرنا على أن الملك الظاهر غازي ، وهو أخو صاحب حلب المعنى هنا ، قد ذهب إلى اتفاق المغولي ، وإنما كان الشخص الذي أرسل هو زين الدين الخانظلي ، كما سيورد معنا في هذا البحث . وقد جاءت عبارة الجويني كما يلي : « ... ، واز حلب برادر صاحب حلب .. » . « وابن جماعت هريك باجندان حمل كه لاقن جنان حضرق باشد بيامدندوار اطراف دهكر جندان ابلحيان ورسل بودكه قرب دو هزار خركاه جهت ايشان معد كرده بودند .. » . جهانكشاي ، ج١/ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . وقد أورد ابن العربي ، كريكوري أبو الفرج ، تاريخ مختصر الدول ، ترجمة المؤلف نفسه من اللغة السريانية إلى اللغة العربية (باختصار شديد عما ورد في الأصل) حقيقته صالحاني ، بيروت ، ١٩٥٨ م ، رواية بنفس المعنى ، ص ٢٥٦ . انظر أيضاً رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١/ص ٥٦٨ . وقد أورد لنا في هذا الخصوص ورحالة أوروبي ، كان ممن شاهد رسل المسلمين ، وقال بأن أكثر من عشرة من السلاطين المسلمين أرسلوا وفوداً يمثلونهم لدى البلاط المغولي . انظر :

John de Plano Carpini, History of the Mongol, Ed. by: C. Dawson
«The Monogl Mission» London and New York, 1955, p: 62.

(٢٢) يارليغ ، أو بربليغ ، وبايزا أو بيزه ، كلمتان مغوليتان ، معنى الأولى رسالة ، أو قانون ، أو منشور ، أو إقرار ، أو بلاغ ، أو جواب خطي من الخان . أما الثانية فهي عبارة عن لوح من الذهب ، أو الفضة ، أو الخشب ، طوله حوالي نصف ذراع ، وعرضه شبر تقريباً ، منقوش عليه اسم الله ، ثم اسم الخان المغولي الحاكم ، الذي ينعم بهما الخان على الشخص الذي يجوز على ثقته ، ويعتبر حامله من أتباع

الخان المغولي . ويطلب من كل أمير أو حاكم أو نائب مغولي أن يقدم لك من يحمل هذين الشعارين ، أو أحدهما كل مساعدة وحماية . ويحتر حاملهما ، في بعض الأحيان وفي حالات فردية ، معفى من الضرائب .

(٢٢) ينسب الأمر والنائب المغولي أرغون آغا ، إلى قبيلة « أيرت ، أويرات » ، فقد جاء إلى حكم أراضي الامبراطورية المغولية في الجنوب الغربي منها خلفاً لرجل أوبخوري يدعى « كركوز » . وقد ظل يحكم هذه الولايات الغربية خمس عشرة سنة تقريباً (٦٤١ لئ ٨٦٥٤ / ١٢٤٣ - ١٢٥٦ م) حيث قدم « هولاكور » من الشرق . وقد توفى في ذى الحجة من عام ٨٦٧٣ / حزيران ، بولاية سنة ١٢٧٥ م . انظر مقدمة المرحوم القزويني ، لكتاب « الجوهري ، جهانكشاي » ١٠/ص ٥ وبمدها . أورد الجوهري نصه في هذا الشأن كما يلي : « ... ، وحكم ممالك خراسان وما زندران وهندوستان وعراق وفارس وكرمان لورو واران واذريجان وكرجستان وموصل وحب وركف أو نهاد وهرهك در خدمت بودند .. » ، جهانكشاي ، ج ٣ / ص ٧٤ .

(٢٤) هو الصاحب زين الدين محمد المعروف بالخانفي من قرية عقربا إحدى قرى دمشق . وقد سفر عدة سفرات للناصر لدى المغول ، كما يرد معنا ، وكان يرى عدم مقاومة المغول ، الذين استولوا ولاية حلب إليه فيما بعد . وبعد انتصار المماليك على المغول في عين جالوت ، هرب مع من هرب من ولايته حلب .

(٢٥) أورد رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ٢ ، ص ٧١٨ نصه في هذا الشأن كما يلي : « سلطان حلب وزير خويش مساحب زين الدين خانفي رابا تحف وهدايا شاهوار به بندكي حضرت قآن فرستاده بود واو درآن دركه معرفتي وشهري حاصل كرده وبلغ وبارزه دربار او نافذ كشته » . لمعلومات إضافية عن الرسل وما يتعلق بالهدايا التي تقدم للخان المغولي ، وطقوس تقديمها ، انظر :

John Carpini, The Mongol History, pp: 54-66; Benedict Brother, The Narrative, Ed. by: C. Dawson, «The Mongol Mission», pp: 79-80.

وقد كان هذان الرحلتان ممن ذهب إلى « قراقروم » ، وقابلا خانات المغول ، وظلا بين ظهورهم فترة من الزمن ، وعرفا كل شيء عن المغول . لمعلومات عن هذين الرحلتين ، انظر : كتابنا « أوضاع الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي » ١٤٠١ ص.ص ٣٧ - ٣٨ . انظر كذلك الحاشية رقم ٣٦ من هذا البحث .

(٢٦) الخياصة هي الحرام ، أو المنطقة الوسطى من قامة الرجل . انظر المكين جرحس (ابن العميد) أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٣ . وقد كان شمس الدين هذا هو انشرف والمدير لمملكة وشؤون اناصر يوسف ، حيث أشار وحرص سيده بأن يغزو مصر ، ويستعيد لها تحت حكم الأسرة الأيوبية ، بعد أن قتل المعاليك توران شاه بن الملك الصالح أيوب ، واستولوا على حكمها . وقد قتل في تلك المعركة مع من قتل . انظر الحاشية رقم ١٧ من هذا البحث وكذلك الحاشية رقم ٣٦ .

(٢٧) لمعلومات عن « اغول - غاميش » وفرة وصاحبها ، انظر : الجولني ، جهانكشاي ، ج١/ص ٢١٧ وبعدها ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج١/ص ٥٨٠ كذلك انظر :

«Rubruck, Friar William, The Journey of William of Rubrauck to The Eastern Part of the World», Ed. by: W.W. Rockhill, London, 1900. «The Mongol Mission», by: C.Dawson, pp: 203.

(٢٨) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٣ . كان بابجنويان قد خلف نشرماغون نويان ككتاب وحاكم عسكري للمغول على الأراضي الواقعة إلى الجنوب الغرب من امبراطوريتهم ، وذلك في عام ١٢٤٢/٥٦٤٠م ، وانحضع آسيا الصغرى بعد معركة كوله داغ سنة ١٢٤٣/٥٦٤١م أيام سلطان السلاجقة فيباغيات الدين كيخسرو الثاني (٦٣٤ - ٥٦٤٣ / ١٢٣٦ - ١٢٤٥م) ، وذلك خلال فترة وصاية « نراكيا خاتون » زوجة الامبراطور الشرق « اكناي » . انظر التفاصيل في اس لي بي ، الأمير نصير الدين حسين بن محمد ، مختصر ملحق نامه ابن بي لي ، « أخبار سلاجقة روم » ، طهران ، ١٢٥٠ ، ١٢٥٠ . ش ، ص.ص ٢٤٣ - ٢٥٠ . ابن العري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٢ ؛ كتاب سقوط الدولة العباسية ، ص.ص ٢٦٠ - ٢٦٦ . راجع أيضاً :

Friar William Rubruck. The Journey, p:17; Grigor of Akane. History of the nation of the Archers (The Mongol) Ed. and trans., by: R. Black, and R.M. Frye, Harvard University Press, 1954, p:41.

(٢٩) أرسل « هولانكو » مجموعة من الرسائل إلى الحكام المسلمين ، في هذا الشأن ، في كل من إيران وآسيا الصغرى ، وإلى الخليفة العباسي ، وبدر الدين تۆلۆ ، على اعتبار أنهم يخاضعون تحت مظلة المغولية ، فواجب التبعية المغولية تحم عليهم الاستجابة لداعيهم إذا دعاهم ، ليسهموا بشكل أو بآخر في حملات المغول العسكرية ، وضد أي كان ، حتى وإن كان ضد الأخوان والوطن والدين ،

حسب منطق المقول والتبعية والولاء لهم . راجع في هذا الخصوص كتابنا سقوط
الدولة العباسية ، ومصادر مادته ، في ص ٢٦٠ حيث ناقشنا ذلك بنوع من
التفصيل .

(٣٠) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٣ .

(٣١) نفس المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣٢) ذكر ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، بأن وقادة الناصر
ضمت معها أيضاً أناساً مثل « الأمير سيف الدين الجاكي ، وعلم الدين قيصر
الظاهرى الحاجب وجماعة من الجند » .

(٣٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ . قارن هذه الرسالة
بتلك التي جاء بها رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ٢/ص ٧١٥ ، فهي أقصر من
هذه بكثير . وقد نقلناها لكونها أقرب إلى الصحة ، لأن المؤلف كان ممن عدم
المقول أيام « هولاكو » وابنه « آيغا » ، فكان معاصراً . كما كان مصححاً لتصوير
الدين الطوسي الذي كتب الرسالة .

أما ما يتعلق بجملة وردت في الرسالة « وثبت عندنا أنكم فجرة » فقد جاءت مع
غيرها من الجمل في الرسالة ، من شخص عدو لا يمكن للمؤرخ ، الذي يتحرى
الصدق ويبحث عن الحقيقة ، أن يقبلها على علاتها . ولكن ورد في مصادر
موالية ، وذات صلة ، لبنى أيوب تذكر شيئاً ربما يتخذ البعض كموثرات لما
ذهب إليه صاحب الرسالة . فقد ورد في مصنف أبي شامة عن سبط الجوزي ،
أثناء كلامه عن وفاة السبط ، قوله : « وكان منكراً على أرباب الدولة ما هم عليه
من المنكرات » تراجم ، ص ١٦٥ . ويقول الذهبي ، في العبر ، ج ٥/ص ٢٥٧ ،
عن الناصر يوسف « وكان الناس معه في بطنية من العيش ولكن مع إدارة الخمر
والفواحش » ، انظر أيضاً ابن العماد ، شذرات ج ٥/ص ٣٠٠ . وقد أورد
صاحب النجوم الزاهرة ، ج ٧/ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، نقلاً عن ابن العديم ،
وهو أكبر الأمراء أيام الناصر يوسف ومن خاصيته ، من أن هذا الأمير الأيوبي
شارب للخمر وبهاجر بها .

(٣٤) ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٨ . فيما يتعلق بالوفود إلى الأمير المغولي
راجع ما قلناه في هذا الصدد في كتابنا سقوط الدولة العباسية ، ص ٢٥٢ -
٣٦٩ .

(٣٥) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٨ .

(٣٦) الخليلي ، شفاء الغلوب ، ص ٤١٦ . انظر كذلك ابن الفوطي ، المنسوب إليه « الحوادث الجامعة » ص ٣٣٩ . ويبدو لنا أن العام الذي أوردته صاحب الحوادث (٨٦٥٧ هـ) كان يقصد به العام السابق ، أي عام ٨٦٥٦ هـ أو أن هذه الرسل كانت غير تلك التي في عام ٨٦٥٦ هـ ، والتي لم يشر إليها هذا المؤرخ . لأن المصادر التي بين أيدينا تكاد تتفق على أن رسالة « هولاكو » للناصر كانت في عام ٨٦٥٦/١٢٥٨م ، وأن الرسل رجعوا في العام التالي . حول مراسلة الناصر و « هولاكو » بذكر الذهبي ، العبر ، ج ٥/ص ٢٢١ من أن الناصر بعث بولده مع الحافظي في رمضان في سنة ٨٦٥٥/١٢٥٧م أي قبل غزو بغداد ، ومعها هدايا . ويذكر المقرئزي ، السلوك ١ ، ٢/ص ٣٧٩ أن الناصر تسلّم في عام ٨٦٤٨ طمغا من القآن وصار يحملها في جباصته ، وأنه أرسل إلى القآن هدايا كثيرة . وأن « هولاكو » كان يستكر على الناصر عدم إرساله أي شيء . ثم يردف في ص ٤١١ أن الناصر أرسل ابنه إلى « هولاكو » ، ومعها هدايا وأنه سأله على لسان أبيه النجدة ضد الماليك لأخذ مصر ، لهذا السبب فارقه الماليك وذهبوا إلى المغرب ، وأن ابنه عاد إلى أبيه سنة ٨٦٥٧ هـ ، ومعها رسالة ورد معناها عند المقرئزي (ص ٤١٥ - ٤١٦) كغيره ، وفيها التهديد والوعيد ، وأن الناصر هرب لما سمع بقدم « هولاكو » باتجاه الشام . وهذا تناقض رهيب ، ولا يمكن قبوله من المقرئزي ، الذي جاء بالكثير من التعارضات والتناقضات . فالماليك ، لم يذهبوا إلى المغرب فدا السبب . وستكلم عن ذلك بعد قليل . كما أن الناصر لم يطلب نجدة من « هولاكو » ، وإلا لما هرب من وجهه عندما عبر الأول سهرا الفرات . وقد ناقض نفسه المقرئزي في ص ٣٩١ - ٤٠٦ . أما ابن العماد ، شذرات ، ج ٥/ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، فيذكر أن « هولاكو » أرسل ، مباشرة بعد سقوط بغداد ، خطاب إلى الناصر ، ثم بيان ، وثالث ، ومصونها جميعاً كذلك الذي أوردته بقية المصادر . أما ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣/ص ٢١٥ فقد ذكر بأن « هولاكو » أرسل إلى الناصر يستدعيه فأرسل الأخير ولده ومعها هدايا ، إلا أن « هولاكو » غضب ولم يقبل منه ، وقال « أنا أسير إلى بلاده بنفسي » . ومن المعروف أن هؤلاء المؤرخين (المقرئزي ، ابن العماد ، ابن كثير ، والذهبي وغيرهم) قد جاؤوا بعد هذه الأحداث بما لا يقل عن مائة سنة . فكانوا ينقلون ، ويضيفون عما يخلون ، من غيرهم .

(٣٧) وقد ورد النص الفارسي « ... » وجون هولاكو بايران زمين رسيد ، أحيانا در خيمه اظها مظلومعت وهو دراي كرد (يعني الناصر) وبش سلاطين شام بان

سبب منهم شدوقصد او كرونر ، بكرمخت وباه بنديكي هولكو خان آورد
وداعيه بادشاه بعزم حلب زيادة كشت ... » . جامع التواريخ ، ج ٢/ص ٧١٨ ،
انظر الترجمة العربية من الطبعة الفرنسية ، للاستاذ نشأت وآخرين ، بيروت ،
١٩٦١ م ، ج ٢/ص ٣٠٥ .

(٢٨) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ٢/ص ٧٢٠ العربية ، ج ٢/ص ٣٠٨ -
٣٠٩ .

(٢٩) ابن العميد ، أخبار ، ص ١٦٤ - ١٦٨ .

(٤٠) نفس المصدر السابق ص ١٦٤ . وقد سمي في الصلح بينهما رسول الخليفة ،
وأعطى الناصر إلى المعز القدس الشريف وبلاده ، وغزة وبلادها وجميع البلاد
الساحية إلى حدود نابلس . وقد أعيدت إلى الناصر بعد ذلك ، عندما ذهب
المالينك الماربرون من المعز إليه . كان العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن التوفاء
محمد بن الحسن الشافعي القرضي (٥٩٤ - ٦٥٥ هـ) المنسوب إلى نادرايا ، قرية
من أعمال واسط في العراق ، من أبرز علماء عصره . وقد سمي في الصلح ،
كرسول من خليفة بغداد (المتعصم ، والمستنصر قبله) في الخلاقات التي كانت
لا تقتر بين الأمراء الأيوبيين أنفسهم ، ثم بعد ذلك بينهم وبين المالينك . لمعلومات
أوفى عنه انظر : أبو شامة ، تراجم ، ص ١٩٨ ، العبر نفدي ، ج ٥/ص ٢٢٣ ،
الشذرات لابن العماد ، ج ٥/ص ٢٦٩ . وغيرها من الكتب ذات العلاقة .

(٤١) لقد نظرنا إلى هذه المسألة بالتفصيل في مقال لنا سيصدر قريباً في مجلة الإدارة ،
أنظر الحاشية ١٢ في هذا البحث .

(٤٢) ربما يعني رشيد الدين ، جامع التواريخ ج ٢/ص ٧١٥ ، الترجمة العربية ، ج ٢/ص
٢٩٦ ، عام ١٢٥٧/٥٦٥٧ م ، وهذا ما يظهر من أسلوب رسالته إلى الناصر
حيث يقول : « .. وما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستائة ... »
وربما كان في العام القادم من هذا ، أي عام ٦٥٧ هـ .

(٤٣) ابن العميد ، أخبار ، ص ١٦٩ .

(٤٤) ابن العمري ، تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٨ . انظر كذلك « الحوادث الجامعة »
المنسوب إلى ابن الفوطي ص ٣٣٩ .

(٤٥) « الحوادث » المنسوب لابن الفوطي ص ٣٣٩ .

(٤٦) فيما يتعلق بوفود الحكام المسلمين التي وفدت على « هولكو » ، وما بذلوه من
التذلل والخنوع لهذا القائد المغولي ، حتى أن بعضهم رسم صورته على حذاء
وقدمها هدية « هولكو » ليشرفه بالوطء بقدميه عليها ، انظر المصادر في هذا

الشأن الواردة في حواشي الصفحات ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ من كتابنا سقوط الدولة العباسية .

(٤٧) هو الأمير « الملك السعيد حس بن العزيز عثمان بن العادل بن أيوب » ، وكان صاحب بايلاس وقلعتها المعروفة بـ الصبية ، فهاجمه الناصر يوسف ، وأخذها منه ، واعتقله وأرسل به إلى البيرة فسجن بها تسع سنين . فأخرجته المغول من سجنه ، عندما جاءوا إلى المنطقة ، وأحسن إليه « هولانكو » ، وكتب له مرسوماً ببلاده السابقة ، وأخذ معه للاستدلال به ، والاستمانة به ، كأحد الأمراء الأيوبيين . وقد حضر مع « كديرفا » أحد قلعة دمشق ، وسلمت إليه مملكته السابقة ، ليحكمها نهاية عن المغول . وقد ظل كذلك حتى جاء الملك المنظر قطز ، فقاتل السعيد مع المغول ، وقتله قطز فيما بعد . لمعلومات في هذا الشأن ، راجع : ابن العميد ، أخبار ، ص ١٧١ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٧/ص ٣٠٧ ؛ الخليل ، شفاء القلوب ص ٢٩٢ ؛ المقرئ ، السلوك ، ١ ، ٢/ص.ص ٤١١ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ؛ الذهبي ، العمير ، ج٥/ص.ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٣/٢٢٥ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ، ج٧/ص ٨٠ .

(٤٨) انظر ابن العميد ، أخبار الأيوبيين ، ص.ص ١٧٠ - ١٧١ ، راجع حاشية ٥٣ من هذا البحث ، حول علاقة الناصر ، بالمماليك ، فقد كانت علاقة عدائية من أصلها . وهذا ما يناقض رواية المقرئ السابق ذكرها في حاشية رقم ٣٦ .

(٤٩) كان تغوي من بني أيوب يتعدى على الضعيف ، بن وبنته ، فقد قتل ذلك الصالح نجم الدين أيوب أخاه العادل ، بعد أن استولى على مملكته . وهذا الناصر ، يستحود على ممتلكات السعيد ، كما ذكرنا في حاشية رقم ٤٧ . وبعد ذلك تزوج بالناصر داود في السجن ، وقد ذهب يستجيره من الملك المنبج ، صاحب الكرك والشوبك ، وهي في الأصل ممتلكات الناصر داود ، وشن في سجنه بقعة حمص ثلاث سنوات . حول هذه المواضيع ، انظر ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص ٧٩٣ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٣/ص.ص ١٧٩ وبعدها حسب حوادث السنين ؛ ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٦/ص.ص ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٦٢ ، ج٧/ص ٣٤ ؛ ابن كثير ، ما يتعلق بالعلاقة بين المغول وحمام الدين بن عكا ، والأكراد والتركمان ، راجع تفاصيل ذلك في كتابنا « سقوط الدولة العباسية » ص.ص ٢٩٠ - ٢٩٤ .

(٥٠) ما يتعلق بعلاقة حمام الدين مع المغول ، راجع تفاصيل ذلك في كتابنا سقوط الدولة العباسية ، ص.ص : ٢٩٠ - ٢٩٤ .

(٥١) لقد كانت مسأله تدمير المور والأكراد شيئا مبروعاً منه ، حسب وصايا الامبراطور المغولي لأخيه . راجع ذلك في : رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج٢/ص.ص ٦٨٧ - ٦٨٨ ، الترجمة العربية ، ج٢/ص.ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . انظر أيضاً الجوزجاني ، منهاج الدين سراج ، طبقات ناصر ، ترجمة وتحقيق رافرق ، لندن ، ١٩٧٠م ، ج٢/ص. ١١٩٣ . انظر كذلك المرجع السابق ذكره في حاشية ٥٠ نفس الصفحات .

(٥٢) ابن العميد ، أخبار ، ص.ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٥٣) نفس المصدر السابق ، ص.ص ١٦٨ - ١٦٩ ، اليوسفي ، قطب الدين ، ذيل مرآة الزمان ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٥٤م ، ص ٣٤٢ . ولقد قام أولئك المماليك بأعمال عدوانية ضد الأهالي ، وأخذوا يغيرون على كل ما يقع تحت أيديهم ، فأخذوا السبل ، أثناء تجوالهم بين مصر والشام . وقد عرضوا خدماتهم حتى على الصليبيين ، كما وعدوهم تسليمهم بيت المقدس (انظر في هذا الشأن ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣/ص.ص ١٨١ ، ١٨٤) . وقد كانوا أعداءً للناصر نفسه ، فقد حاربوه مع المغيث عمر ، وكان يبرس ، وهو كبيرهم ، قد خف وهاجم الناصر ، في جركة من غركانه وقومه المماليك ، وقطع أظناب خيمته . راجع ما قاله في هذا الخصوص ابن تغرى بردى ، في النجوم الزاهرة ، ج٧/ص.ص ٤٧ ، ٥٣ - ٥٤ ، ٩٧ - ١٠١ ، كذلك راجع : أبو الفداء ، المختصر ، ج٣/ص.ص ١٩٠ - ١٩٨ ، المقرئ ، السلوك ، ٢/١ ص.ص ٤١٤ - ٤١٥ ، ٤٩١ وبعدها ثم ص ٤٠٦ .

(٥٤) ابن العميد ، أخبار ، ص.ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٥٥) نفس المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٥٦) نفس المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٥٧) بوابات حلب الأربع هي : باب دمشق ، باب انطاكية ، باب اليهود ، باب الروم . عن هذه البوابات انظر الغزى ، كامل بن حسين بن محمد الحلي ، « نهر الذهب في تاريخ مدينة حلب » المطبعة المارونية ، حلب سنة ٩ ، ج٢/ص.ص ٧ - ٩ . وعن أخذ المغول هذه المدينة ، ج١/ص.ص ١٩٥ - ١٩٧ .

(٥٨) حول أخذ المغول حلب ودمشق ، راجع : أبو شامة ، تراجم ، ص ٢٠٣ ، ابن العميد ، أخبار ، ص.ص ١٧١ - ١٧٣ ، ابن العبري ، تاريخ ، ص.ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، الحوادث الجامعة ، المنسوب لابن الفوطى ، ص.ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج٢/٧١٩ ، الترجمة العربية ج ٢/٣٠٦ - ٣٠٧ .

الدهس ، العبر ، ج ٥/ص ٢٤١ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣/ ١٩٩ - ١٢٠٣
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣/ص ٢١٨ ، المقرئ ، السلوك ، ٢/١ ، ص
٤٢٢ ؛ ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧/ص ٧٥ - ٧٦ ؛ ابن العماد ،
شذرات ، ج ٥/ص ٢٩٠ .

(٥٩) لعلها : بالفتونم ، أى يجادلون ويرددون القول معهم ويشتمونهم .

(٦٠) ابن العميد ، أخبار ، ص ١٧٢ .

(٦١) نفس المصدر السابق ، والصفحة .

(٦٢) هى إبنة السلطان السلجوق فى بلاد آسيا الصغرى علاء الدين ، وهى إبنة بنت
العاذل ، أى أن الناصر تزوج بابنة خالة أبيه وذلك سنة ٦٥٢هـ . انظر : سبط ابن
الجوزى ، مرآة الزمان ، ص ١٧٩ ؛ ابن العماد ، شذرات ج ٥/ص ٢٩٩ .
٣٠٠ .

(٦٣) كان مع الناصر ولده العزيز محمد ، والصلاح إسماعيل صاحب حمص ، والأخير
ناصر الدين العزيزى وأخوه شهاب الدين ، وابن عمهما شهاب الدين ابن حمام
الدين . انظر ابن العميد ، أخبار ، ص ١٧٤ .

(٦٤) الطبردار ، هو حامل السلاح ، والفأس أمام سيده ، أثناء سيره . وهذا الكردي
كان حامل السلاح أمام الناصر لحمايته . ابن العميد ، ص ١٧٣ - ١٧٥ ؛
ابن شاکر ، نوات الوفیات ، ج ٤/ص ٣٦٤ . راجع كذلك كل ما يتعلق بهروب
الناصر ونحوه حتى وقع فى مصيدة المنول فى : أبو شامة ، تراجم ، ص ١٧٣ .

(٦٥) بعد أن أخذ المنول مدينة حلب جاءهم أخبار وفاة الاميراطور المنولى ، فرجع
« هولاکو » على الثغور ومعه قواته جميعاً ، ما عدا كتية صغيرة مع قائدها
« كديوقا نويان » فرجع وعبر نهر الفرات إلى الشرق . فذهب إلى مسكن له
قريب من السواحل الشرقية لبحيرة وأن ، بالقرب من منبع الرافد الشرق لنهر
الفرات . انظر رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ٧/ص ٧٨٥ . « حجة العربية ،
ج ٢/ص ٣٠٦ .

(٦٦) انظر ابن العميد ، أخبار ، ص ١٧٦ ؛ ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص
٢٨٠ ؛ رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ٢/ص ٧٢٠ ، حيث يذكر الأخير بأن
« هولاکو » قال للناصر « .. جون مصر بکرم حاکمى شام بتودهم » . كما
يذكر المقرئ ، السلوك ٢/١ ، ص ٤٣٤ بأن « هولاکو » قد قلده منذ الشام

ومصر معاً ، وأنه سره إلى الشام ، وفي الطريق حاته أبحار كمرة المغول في عين جالوت ، فاسترده وقتله ، ومن معه .

(٦٧) راجع ما سبق وقتناه في هذا الموضوع في كتابنا السابق ذكره ، سقوط الدولة العباسية ، ص.ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ١٠٠ .

(٦٨) راجع الحاشية رقم ٤١ من هذا البحث . ولقد كان لوجود الناصر أسيراً لدى المغول السبب الأول والأخير في مسألة استسلام بعض قلاع الشام . وقد استعصت على المغول ، فلما جرى بالناصر أمرهم بتسليمها فسلمت فزولاً بعد رغبته ، وأمره . انظر : أبو الفداء ، المختصر ، ج ٣/ص ٢٠٤ .

(٦٩) فيما يتعلق بهزيمة المغول على أيدي المماليك ، في عين جالوت يوم الجمعة ٢٥ أو ٢٧ من رمضان ٦٥٨هـ / ١١ أو ١٣ أيلول ، سبتمبر ١٢٦٠م راجع : أبو شامة ، تراجم ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، وغيره من مصادر هذا البحث ، حسب حوادث الستين ، في كل من أبي الفداء ، ج ٣/٢٠٥ - ٢٠٧ ، ابن كثير البداية والنهاية ج ١٣/ ٢٢٠ - ٢٢١ وغيرها .

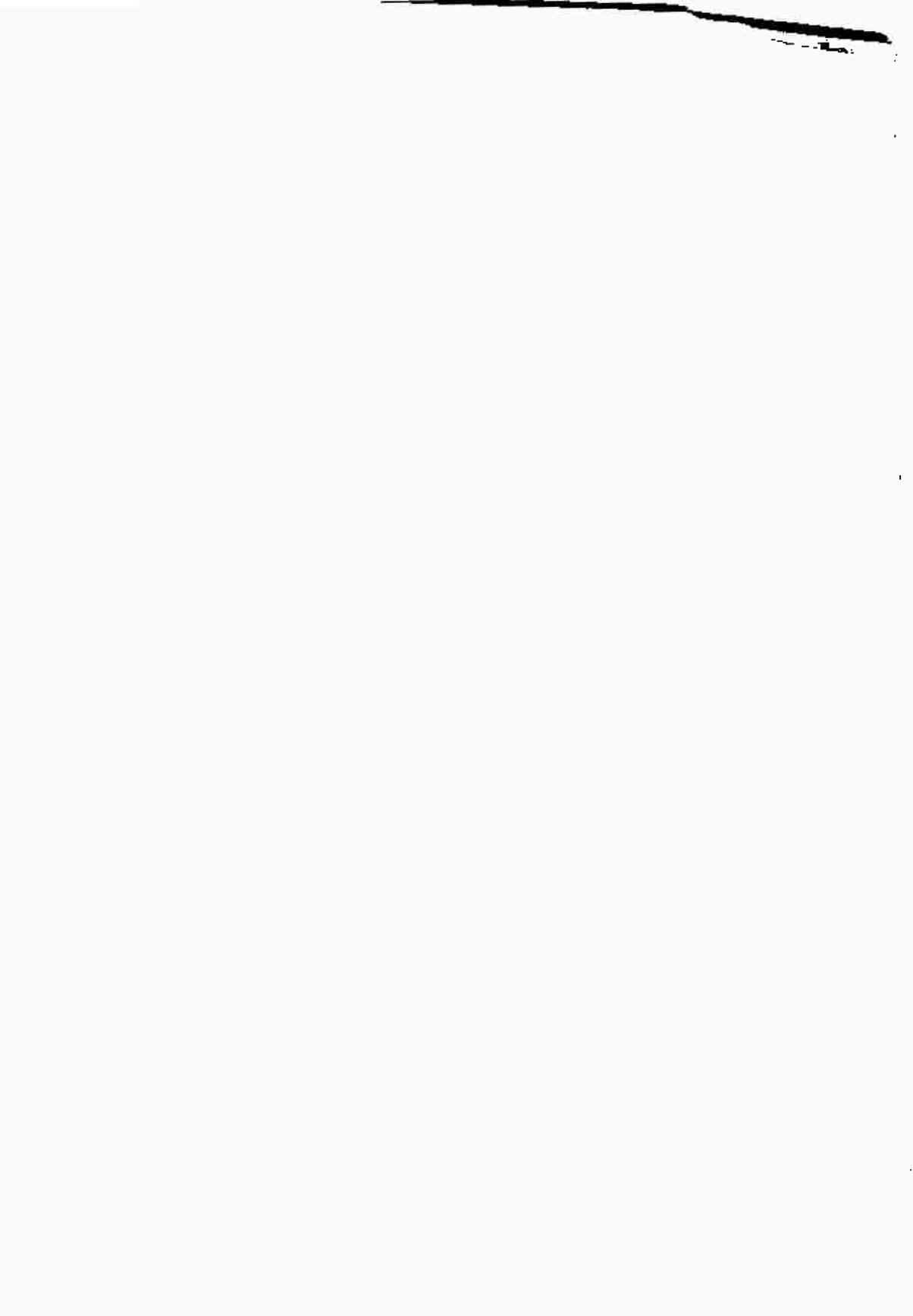
(٧٠) عن مقتل توران شاه والصالح إسماعيل على أيدي التتار انظر صيط الجوز ، آة الرمان ، ص.ص ٧٨١ - ٧٨٣ ، أبو شامة ، تراجم ، ص ١٨٥ ، الذهبي ، العبر ج ١٩٩/٥ - ٢٠٠ ، أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢/١٨١ - ١٨٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣/ص.ص ١٧٧ وبعدها وفي ص : ١٨٠ ، المقرئ ، السلوك ، ١ ، ٢ ، ص.ص ٣٥١ وبعدها ، وص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦/ص ٣٧٠ - ٣٧٢ .

(٧١) ابن العميد ، أبحار الأيوبيين ص ١٧١ .

(٧٢) أورده رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ج ٢/ص ٧٢٤ باسم مجد الدين مغولي ، ويبدو لي أن ما أورده ابن العماد وغيره من أن « هولاکو » هو الذي قتل الناصر شخصياً غير دقيق .

(٧٣) يظهر أن المؤرخ قد اشتبه عليه الأمر ، فلم يكن للناصر يوسف ، على ما يبدو لي ، معه من أولاده سوى محمد هذا . انظر الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق ناظم رشيد ، العراق ، ١٩٧٨ ، ص ٤٤٧ .

(٧٤) ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص.ص ٢٨٠ - ٢٨١ . كان مقتل الناصر يوسف في أواخر شهر شوال عام ٦٥٨هـ/نوفمبر (تشرين الثاني) ١٢٦٠م .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة
وكتابه زيد الأدلة

دراسة وتحقيق
دكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد
أستاذ الفلسفة المساعد
كلية التربية - جامعة الإسكندرية



الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة

(٥٦١ - ٥٦٤ هـ)

حياته وعصره :

أقدم للباحثين في مجالات الفكر الفلسفي الإسلامي علماً من أعلام المذهب الزيدي ، ومفكراً جمع بين العلم والأدب ، وفارساً برز في ميدان السياسة والحروب ، كان حاكم اليمن وحكيمها في القرن السادس الهجري ، تولى قيادة بلاده عقائدياً وسياسياً ، ولقب برب السيف والقلم ، لأنه قاد الجيوش في معارك عديدة ، وخلف تراثاً ضخماً ، لا يزال الكثير منه محفوظاً في مخطوطات تنتظر منذ قرون عديدة من يريح عنها التراب المتراكم ، ويخرجها إلى النور ، ويذل الجهد في تحقيقها ونشرها وتقديمها للجمهور المثقفين .

إنه أمير المؤمنين ، المجدد أحكام الدين للمائة السادسة بالبلاد اليمنية الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة . يشير المؤرخ زياره في كتابه « أئمة اليمن » إلى عدة مصادر لترجمة الإمام عبد الله بن حمزة ، فيذكر أن له سيرة خاصة جمعها الشيخ علي بن نشوان بن سعيد الحميري في القرن السادس ، تقع في أجزاء كثيرة ، ثم اختصرها الشيخ أبو فراس دغثم النضجاني في ستة أجزاء ، وعرفت بسيرته الصغرى ، ونقل منها صاحب الحقائق الوردية وآخرون .

كان فارساً إنجاني طويل القامة ، حديد البصر ، كث اللحية ، غلب الشيب على عارضيه خاصة . وكان نادرة عصره في الذكاء والحفظ والبراعة والبلاغة والشجاعة ، عرف بالزهد والتقوى .

ولد بجبل عيشان من ظاهر بلاد همدان ، في ربيع الثاني سنة ٥٦١ هـ ، وأخذ عن أبيه حمزة بن سليمان ، والشيخ المحقق الحسن بن محمد الرصاص وغيرهما ، درس صحيح البخاري وسائر أمهات كتب الحديث وكتب التفسير وغيرها من كتب العلوم الإسلامية . بعد أن أتم القرآن في صغره ، بدأ بحفظ علوم الأدب فبرز فيه تميز البغواء ، حتى قيل إنه أشعر الطائيين باليمن . كثر حفظه

لأشعار العرب وأيامها وأنسابها وقبائلها ويوتها ، وما كان من أخبارها في
الجاهلية ، وحروبها وسلمها ، ومن هلك من العرب قتلاً ، ومن أسلم منهم
ظوعاً ، ومن أسلم منهم كرهاً ...

تسلم الإمامة في اليمن بتكليف من أهل عصره . فقد كان اليمن قبل توليه بغير
أمام للزيدية ما يقرب من ربع قرن ، فمنذ وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة
٥٦٦ لم يبق في اليمن إمام ، فلما كانت سنة ٥٨٣ قام عبد الله بن حمزة بدعوته
الأولى في بلاد الجوف ، ثم انتقل إلى بلاد صعده واستقبله الأميران يحيى وأحمد
إبني يحيى بن أحمد من نسل الإمام الهادي مع جماعة من قبيلة حولان بن قضاة
وغرها ، وباهوه ، ثم دخلوا به مدينة صعده ، وجاءته رسائل من أهل حصن
ميتك يطلبونه لتخليصهم من نفوذ بني حاتم ، فوصل في عام دعوته إلى بلاد
كحلان لمساعدة أهلها في الحرب التي قامت بينهم وبين السلطان علي بن حاتم
اليامي ، وكثرت معاركه مع سلاطين بني حاتم .

وكان قد أتى من مصر إلى اليمن سيف الإسلام طغتكين^(١) ، وقد أحاطت
قواته الأيوبية بمجموع القبائل الموالية للإمام عبد الله بن حمزة ، وكانت الهزيمة
للإمام الزيدى ، فاضطر للمسكون حتى وفاة طغتكين سنة ٥٩٣ ، فلما تول
إبه المنز السلطنة أحدث انقساماً في صفوف الأيوبيين ، فاستغل عبد الله بن
حمزة هذا الانقسام ، وجدد الإمام دعوته مرة ثانية في ذي القعدة سنة ٥٩٣
وتكفل الزيدون وراء أمامهم لكي يتسنى لهم القضاء على الحاكم الأيوبي السني في
اليمن ، واستطاع الإمام المنصور بالله تحقيق كثير من الانتصارات على الأيوبيين
تحت قيادة المعز .

(١) طغتكين بن أيوب : أرسله المعز صلاح الدين الأيوبي لمد اليمن ليتولى أمر الحكم فيها ، ويحصل على
استقرار الأوضاع ، ويقضي على الفتن القائمة .

تجهز طغتكين في ألف فارس وبمسانة راجل ، ومخرج من القاهرة متوجهاً في طريقه إلى اليمن ،
ساراً بمكة المكرمة التي دخلها مسرعاً في رمضان سنة ٥٧٩ ، ثم وصل إلى زيد في ١٣ شوال سنة
٥٧٩ حيث واصل تقدمه في بلاد اليمن واستطاع توحيدها تحت حكمه ، وأدت حروبه إلى زوال
عولة آل الصليحي الإجماعية ، وآل حاتم اليمانية الهندانية عن قطر اليمن من سنة ٥٨٦ .

تول طغتكين بمدينة المنصورة باليمن في ٢٦ شوال سنة ٥٩٣ ، وخلفه إبه المعز بمسماجل .
(راجع : د . محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن) .

وقد واجه عبد الله بن حمزة معارضة في صفوف الزيدية ، وزادت هذه المعارضة بقيام يحيى ابن الإمام أحمد بن سليمان الذي خرج على الإمام عبد الله بن حمزة ، وكتب رسالة إليه ضمنها السب الفظيع له ، ودعاه بمسيلة الكذاب ، وجهر جيشاً مخاربتة في بلدة أضاف ، ولكن تمكن الإمام المنصور بالله من الانتصار على يحيى بن أحمد بن سليمان وأسرهم ثم قتله وقتل كثيراً من أتباعه .

وبدأت حروب عبد الله بن حمزة ، في سنة ٦٠٣ ، مع جماعة من الزيدية تعرف باسم الزيدية المخترعة أو المطرفية أتباع مطرف بن شهاب ، فتوعدهم الإمام ، وحكم بتفكيرهم ، وجواز سبيهم ، واستباحة أموالهم ، وقال في ذلك قصيدة جاء فيها :

لست ابن حمزة إن تركت جماعة يتجمعون بقاعة منكـر
فلأوردن البيض في أعناقهم وسنابك الخيل الجياد الضمير

وكانت المراكز الرئيسية للمطرفية في قاع البون من بلاد حاشد ولى بنى مطر من بلاد البستان ، وفي سناع من أعمال صنعاء ، فقاتلهم الإمام المنصور بالله ، وهدم دورهم ومساجدهم في سناع وغيرها .

وحدث في سنة ٦١٠ أن خرج على الإمام عبد الله بن حمزة السيد محمد بن منصور بن المفضل من نسل الإمام الهادي ، وانضم إلى المطرفية أهل وقش ، ولقب بالمشرق ، وأنكر على الإمام عبد الله بن حمزة ما وقع منه من تكفيره للمطرفية ، وتابعه أهل بلاد مسور حجة ، وبلاد المغارب من حمير وغيرهم . أما الإمام فإنه جهز لحربه أخاه الأمير يحيى بن حمزة ، وانتهت الحرب لصالح الإمام . وفي سنة ٦١١ أنشأ الفقيه حسن بن محمد المعروف بابن الساسخ المطرفي رسالة إلى خليفة بغداد الناصر أحمد بن المستظهر العباسي لإطفاء نار تأججت باليمن أذكى وقودها ابن حمزة ، فمألاً مع بعض أهل اليمن على نصرته ، وسارعوا إلى جمعته وجماعته ، وعقدوا له الألوية والبنود ، وأطاعوا أمره كطاعة الملك المعبود ، وحشدوا له الرعية والجنود ... أما عبد الله بن حمزة

فقد بعث بلوره في نفس العام ٦١١ إلى خليفة بغداد برسالة تتضمن قصيدة شعرية جاء فيها :

يا أهل بغداد إن الله سائلكم
أتم عيون بني الأيام قاطبة
قد اشتلتم على عمياء مظلمة
إن الخلافة أمرها هائل خطر
لو كان ما أتمو فيه على سنن
عن ملة الدين إذ غيرتموا فيها
في النائبات ولكن القذى فيها
لا يبتدى بتجوم الحق هادياً
صعب مسالكها صعب مراقبها
قام المريض إلى المرضي يداويها

وفي ذي الحجة من عام ٦١٣ خرج الإمام المنصور بالله من حصن ظفار الظاهر يريد حصن كوكبان شبام ، ولما وصل إلى قاع اليون من بلاد عمران ابتدأه المرض فسار ، واشتد به المرض في كوكبان . وهو مع ذلك يظهر التجلد والصبر والنظر في أمور الناس حتى توفاه الله تعالى بكوكبان في يوم الخميس الثاني عشر من محرم سنة ٦١٤ ، عن اثنين وخمسون سنة وثمانية أشهر من مولده ، وعن تسع وعشرين سنة من دعوته الأولى .

مصنفاته :

يذكر زباره أن مصنفات الإمام المنصور بالله في فنون العلوم المختلفة تزيد على أربعين مصنفاً ، بينها يورد الباحث اليمني عبد الله الحبشي قائمة بمؤلفات الإمام تتضمن ٨١ مصنفاً ، بعضها مفقود ، والكثير منها موجود في مخطوطات في شتى مكبات العالم وبخاصة المكتبة الغربية بجامع صنعاء . ويلاحظ أن قائمة الحبشي لا تدل على أن أحداً من مصنفات الإمام العديدة قد طبع . أو أن أحداً من الباحثين قد عنى بتحقيق شيء من تراثه الضخم .

وقد بدل عبد الله الحبشي مجهوداً كبيراً في إعداد قوائم مصنفات حكام اليمن لا شك أنها تفيد الباحثين في الفكر الزيدي ، إلا أن هذه القوائم غير كاملة ، مثال ذلك أنه يذكر من مصنفات عبد الله بن حمزة المصنف رقم ٤٥ في قائمته وهو « شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة » ، ويقول : منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٨٥ بمكتبة الجامع الغربية رقم ٧٠ كلام . والواقع أن لهذا

الكتاب نسخاً مخطوطة أخرى موجودة بالمكتبة المذكورة تحت رقم ٩٦ ،
٩٧ ، ٩٨ علم الكلام .

وتدل قائمة مؤلفات عبد الله بن حمزة على أنه لم يدع مجالاً من مجالات
العلوم الإسلامية في عصره إلا وكتب فيه : فقد شرع في كتابة تفسير القرآن ،
ولكنه لم يكمله ، وله في الحديث « حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين
السليبية » ، وله في الفقه مصنفات عديدة مثل : « الدر المنثور لفقه الإمام
المنصور » ، وكذلك له أجوبة كثيرة عن مسائل فقهية سئل عنها ، وفي أصول
الفقه له « صفوة الاختيارات » ، كما أجاب عن مسائل تتعلق بالصحابة ،
وبين آراءه السياسية ، وأفاض في بيان عقائد الزيدية ، وموقفه من الفرق
الأخرى كالمعتزلة والأشاعرة والمطرفية والإمامية والباطنية والحلولية ... وكان
عبد الله بن حمزة شاعراً فترك ديواناً جمعه أحد أبنائه ، وهو مقسم إلى ثمانية
أبواب ، كما كان فارساً فكتب أرجوزة في صفات الخيل وألوانها وتعرعها
وأصولها ... الخ .

ولعل أضخم مؤلفاته في بيان المذهب الزيدي وموقفه من عقائد الفرق
الأخرى هو كتابه الباهر « الشاق » الذي توجد له عدة نسخ مخطوطة .
ويذهب ابن الزحيف صاحب مخطوطة « مآثر الأبرار » إلى أن فقيهاً في عصر
الإمام المنصور بالله بن عبد الله بن حمزة ، من شافعية اليمن قد أنشأ رسالة سماها
الحارقة ، قدح فيها على المنصور وسائر الزيدية ، وقال إنه يتولى الأولين من
الزيدية دون المتأخرين ، لأنهم خالفوا مذهب أسلافهم في العقائد وفي أمور
الصحابة . فأجاب عليه المنصور بكتاب الشاق وهو أربعة مجلدات^(٢) . أما
زياره فيقول عن مصنفات عبد الله بن حمزة : أشهرها كتاب الشاق في أربعة
مجلدات ضخمة ، تتضمن الرد على صاحب الرسالة الحارقة وهو الفقيه (عبد
الرحيم) بن أبي القبائل (توفى سنة ٦١٦) من بلاد جبلة باليمن^(٣) .

(٢) ابن الزحيف : مآثر الأبرار ، مخطوطة بالمكتبة القومية بجامع صنعاء ، ص ٤ ب .

(٣) ويذره : أئمة اليمن : ١٠٩/١ .

وقد اطلعت على بعض نسخ مخطوطة من هذا الكتاب الضخم في المكتبة العربية بجامع معاء (وخاصة النسخة رقم ٧٧ علم الكلام ، والنسخة رقم ٨١ علم الكلام) . ويذكر الإمام المنصور بالله في مستهل كتابه السبب الذي دعاه إلى كتابته ، فيقول : إن الرسالة الحارقة وصلتنا في شهر شوال سنة ثمان وستائة ، وابتدأنا نسطر جوابها في شهر ربيع الأول سنة تسع وستائة ، وسبب تراخي المدة كثرة الاشتغال . ويذهب عبد الله بن حمزة إلى أن مما جاء في هذه الرسالة مدح صاحبها لنفسه ولأهل مقالته ، وأنهم أهل السنة والجماعة ، ومنها ذمه لما ورد من جهتنا من الرسالة المتضمنة للآثار النبوية المأثورة عن جميع البرية ، فذكر ما زعم أنه دليله على جهلنا وقلة معرفتنا^(٤) . . .

ومحاول فيما يلي أن نستخلص من كتاب الشافعي معالم المذهب الزيدي ومؤلف مؤلفه من أهم الفرق المخالفة :

مؤلفه من أهل السنة والجماعة :

بين عبد الله بن حمزة أصل تسمية أهل السنة والجماعة بهذا الاسم ، فيزعم أنهم يسمون بالسنة لتقدم سلفهم واستمرارهم على سبب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقرههم إنه السنة ... ولما اضطر الحسن عليه السلام إلى صلح معاوية وتسليم الأمر له سموا العام عام الجماعة ، وسموا من دخل في ذلك واتفق له الجماعة ، فقالوا إنهم السنة والجماعة ، وأكبر دليل على ما قلنا لذوى العقول السليمة تشدد التسمين بالسنة والجماعة على محبة معاوية^(٥) ... وولده (يزيد) وتعاملهم على علي بن أبي طالب عليه السلام بتقديم غيره عليه ، وتصريحهم بغضه وذريته والظعن عليهم ... وليت شعري أين قرأ عبد الله بن حمزة تصريح أهل السنة والجماعة في كتبهم يبغض على كرم الله وجهه والظعن عليه أو على ذريته ؟ ولماذا لم يورد في كتابه الضخم نصراً من كتب أهل السنة والجماعة تفيد هذا المعنى ؟ أظن أنه حاول ذلك فلم يظفر بمواده فتجنى على القوم ونسب إليهم هذه القرية الباطلة ، وأثبت ما لا دليل على صحته .

(٤) المثال : ٢/١ ب .

(٥) لا يذكر عبد الله بن حمزة معاوية إلا ويلحق به النعنة .

ومن شتاعات عبد الله بن حمزة أنه يعد أهل السنة والجماعة فرقة « المجبرة المحجورة القدرية : محجورة لقولهم بالخبر ، محجورة لإضافة كل جور إلى الله تعالى ، قدرية لقولهم المنعصى بقضاء الله وقدره »^(٦). ويذهب الإمام الزهدي إلى أن « أول من أحدث القول بالخبر معاوية ... لأنه قال من على الخير . إنما أنا خازن من خزان الله ، أعطى من أعطى الله ، وأحرم من حرم الله . وقال : ما أظهرني الله عليكم إلا وهو يريد ذلك ، فأضاف ظلمه وغشمه إلى الله تعالى ، ونسى أن مدة فرعون أطول من مدته ، وسطوته على بني إسرائيل أعظم من سطوته ، فانقضت أيامه ، وذهب سلطانه » .

إن أهل السنة والجماعة إذن هم الأولى - في نظر عبد الله بن حمزة - أن يطلق عليهم مصطلح القدرية . « والذي أجمعت عليه القدرية أنه تعالى يخلق أفعال العباد ، وأنه يريد الكفر والقيائح ، وأن جميع ذلك بقضائه وقدره ، وأنه يضل عن الدين من يشاء ، وأنه يلبس على الناس . وبعضهم زعم أن الاستطاعة مع الفعل ، وأنه لا يثيب ولا يعذب على الأعمال ، وعندهم أنه تعالى يمنع من الإيمان ويكرهه ولا يريد ثم يعذب عليه مع قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا ﴾^(٧) ، ويقولون إنه يخلق خلقاً للنار مع قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(٨) .

ثم يعرض عبد الله بن حمزة لبعض الفرق التي يعدها من المجبرة ، فيذكر منهم الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو ، والجهمية أصحاب جهم بن صفوان ، والتجارية أصحاب حسين النجار ، والكلائية وهم أصحاب عبد الله بن أبي سعيد ، وغيرهم .

ويعرض في شيء من التفصيل لأقوال الأشعرية أصحاب أبي الحسن الأشعري ، فلقد « فشا مذهبه بعده » ، ويعد الأشعرية أيضاً من الفرق المجبرة ، وأن أقوالهم مثقاربة مع الكلائية ، ويعرض مذهبهم فيخلط الحقائق

(٦) الشاف : ٣٨/١ ب .

(٧) الإسراء : ٩٤ ، الكهف : ٥٥ .

(٨) الداريات : ٥٦ .

بالأباطيل والافتراءات . يذكر أن الأشعري بصرى وليس له سلف يرجع إليهم ، لا من أهل العدل ، ولا من أهل الخير ، لأنه درس على أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وخالفه إلى مقالة المجرة ، ولم يرجع إلى أحد من شيوخ المجرة . بل أحيا مذاهب لجهم بن صفوان كانت دائرة ، فحرفها وصحفها ليقيم له أدنى مسكة من الإسلام ... ومما أحدثه أنه تعالى مسرع ، وأنه أسمع نفسه موسى ، وروى عنه أنه تعالى يدرك بجميع الحواس .. وكان يقول : إن علم الله وقدرته وحياته وسمعه وبصره معان قديمة ، وما أطلق أحد قبله القول بأنها قديمة .

وزعم أن الكلام صفة الله تعالى ، (وأنه) شيء واحد ، ليس بذى حروف ولا سور ، وأنه التوراة والإنجيل والفرقان ، وأن هذه الكتب المنزلة ليست بكلامه ، وما يتلى ويكتب ويحفظ مخلوق وليس بكلامه تعالى ، وزعم أن نبيه وأمره شيء واحد ، والأمر بالصلاة هو الأمر بالزكاة ... وأنه تعالى لم يزل يخاطب موسى « يا موسى »^(٩) ، ويخاطب آدم « أسكن أنت وزوجك الجنة »^(١٠).

وزعم أن أهل الجنة يرون الله لا في جهة ، غير منفرد منهم ، ولا خارج من أجسامهم وذلك يوجب أنه يرونه في أنفسهم .

وزعم أنه تعالى يرضى الكفر ويحب ، ولم يوافق أحد على ذلك ، وزعم أنه لو كلف العاجز لحسن ، ولو كلف جميع الضدين لحسن ، ويحسن تكليف ما لا يطاق ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأن جميع الأوامر تكليف ما لا يطاق ، وزعم أنه تعالى لو عاقب الأنبياء على ذنوب الفراعنة ، وأثاب الفراعنة على طاعة الأنبياء لحسن منه . وزعم أن الثواب والعقاب ليسا بجزاء على الأعمال ، وزعم أن فعل العبد خلق الله كسب للعبد ... وزعم أنه لا يقبح شيء عقلاً ولا يحسن عقلاً ، ولو حسن الكذب وكل القبائح جاز ، ولو أظهر المعجز على يدى كذاب جاز ، وزعم أنه تعالى يفعل لا لغرض ، وزعم أنه يضل عن

(٩) ضه : ٢٠

(١٠) القرية : ٣٥ ، لأمراف : ٢٩ .

الدين ، وأنه يخلق الكفر في الكافر ، ويمتعه الإيمان ثم يعاقب عليه .
وزعم أن اليد والجنب والوجه صفات (إلهية) ، وأن الاستواء على العرش
صفة .

وزعم أنه يجوز أن يؤلم أنبياءه وأصفياه والمجانين من غير عوض ، وجوز
بعثة نبي كان كافراً قبل البعثة ، مرتكباً كل قبيح ، وزعم أن الرسل بعد موتهم
لا يكونون أنبياء ، والمؤمنون بعد موتهم لا يكونون مؤمنين (1) ، وزعم أن النائم
والساهى ليسا بمؤمنين ، وزعم أن ليس في جهنم إلا الكافر ، لأن غيرهم
يعرفون الله فلا يخلدون في النار ، وغير ذلك من المذاهب التي يطول
تقصيها ... » (11)

وأما الحشوية فهؤلاء الذين يسمون أنفسهم بأصحاب الحديث ، وأنهم أهل
السنة والجماعة ، فليس لهم مذهب معروف ، إلا أنهم يجمعون على الجبر
والنشيه ، ويدعون أن أكثر السلف منهم ، وهم براء من ذلك ، وينكرون
الحوض في الكلام والجدل ، ويعولون على التقليد وظواهر الروايات ، ويقولون
إن الله تعالى على العرش ، ويجوزون عليه النزول والصعود ، ويقولون ما بين
الدينين كلامه تعالى وهو قديم ، ويشنون الأعضاء لله تعالى ، ويروون له يدان
كلتاهما يمين . ومن عجائبهم أن واحداً منهم روى أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع
الجبار فيها قدمه ، ولهم ترهات كثيرة ، ومن رجالهم أحمد بن حنبل الذي ضربه
المتعصم بالسياط . ويستطرد الإمام الزيدي في ذكر علماء الحديث وضمهم ،
فيشير إلى إمام الأئمة الخافظ ابن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١) بقوله : « وقد
صنف محمد بن اسحق بن خزيمة كتاباً يسمى كتاب التوحيد (12) ، ذكر فيه
عضواً عضواً ، وروى فيه أحاديث وآثاراً ... » ، ويتجنى عبد الله بن حمزة
كثيراً على علماء الحديث ، فيزعم أنهم رووا أن الله تعالى خلق ملائكة من
زغب ذراعيه ، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة ، وأنه تعالى يجلس في روضة

(١١) الشافعي : ١ / ٣٩٩ .

(١٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب . طبع أكثر من مرة ، مثل طبعة دار الباز بمكة المكرمة

بمراجعة محمد خليل المرادي سنة ١٩٧٨

خضراء على كرمى حوله الملائكة ، وأنه يضع رجلاً على رجل^(١٣) إلى غير ذلك من الإسرائيليات الشيعة التي يرجع الفضل إلى علماء الحديث في بذل الجهد من أجل تنقية السنة المطهرة منها .

من هم القدرية :

ببراً الزيدية والمعتزلة من لقب القدرية الذي يطلقه عليهم أهل السنة ، ومعلوم أن هذا اللقب مذموم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » . يقول عبد الله بن حمزة في رده على أهل السنة « فإن قالوا أنتم القدرية من الأمة ، فمذهبكم الذي يضاهاى مذهب المجوس ، حيث أثبت صانعين ، كما أنهم أثبتوا فاعلين : أحدهما النور والآخر الظلمة . قلنا : مذهبنا هذا لا يضاهاى مذهب المجوس ، فلما ثبت على الحد الذي أجتزاه ، لأن القوم جعلوا النور فاعلاً للخير بطبعه على حد لا يمكن مفارقتة ، ولكننا أثبتنا فاعلين يفعلان على طريقة الاختيار ، وإثباتهم فاعلين على وجه الاضطرار ، وهم أيضاً يشنون الفعل الواحد من فاعلين : أحدهما محدث ، والآخر قديم »^(١٤) .

أما أهل السنة والجماعة ، الذين يعدهم عبد الله بن حمزة من المجرة - وهم براء من ذلك - فإن قولهم بأن أفعال العباد كلها من الله تعالى ، إنما يلزم عنه فيما يذهب - ما يأتي :

أولاً : إن أفعال العباد قد خلقها الله فبهم وأوجدها بلا اختيار لهم في إيجادها ، ولا قدرة لهم على تحصيلها ، وهم بذلك قد صيروا الكتب المنزلة هزواً ، لأن هذه الأفعال متى كانت من الله سبحانه لم يكن للأمر بها ولا النهي عنه معنى ، ولا للوعد والوعيد وجه .

ثانياً : ولا معنى كذلك لإرسال الرسل ، ولا لأمرهم بدعاء الخلق إلى الطاعة ، كما لا يجوز أن يدعونهم إلى الخروج من صورهم وألوانهم ، فإذا كان اعتقادهم لذلك يؤدي إلى أن تكون بعثة الرسل عبثاً .

(١٣) الشافعي : ٤٠١ ج ١ .

(١٤) الشافعي : ١٧٤٢ ج ١ .

ثالثاً : إنهم متى قاتلوا إن هذه الخبايا والمعاصي من خلق الله في العصاة ، كان في ذلك أعظم وجوه الأغراء بها لتكلى من جالسهم وسمع كلامهم من الجهال التي تنوق أنفسهم إلى هذه المعاصي الشهوية ، لأنهم إذا اطلعوا من قلوبهم على أنهم متى أضاعوا أنفسهم في طلب شهواتهم ونيل لذاتهم ، فذلك شيء ليس منهم ، وإنما هو من الله تعالى ، خلقه وأراد منه .

رابعاً : إنهم متى قاتلوا إن هذه الطاعات ليست من فعل العباد ، وإنما هي من الله خلقها فيهم ، وسمع ذلك من جالسهم من العامة ما يعلمه من مشقة الطاعة وأنها كربة على النفس ، فإنه لا يعزم على تحمل مشقتها ولا يواظن نفسه على الصبر على كلفها ، بل يقول : إذا كانت هذه الأفعال من الله ، فمتى خلقها في وجدت ، شئت أو أبيت ، ومتى لم يخلقها في لم توجد ، فلا معنى لعزمي عليها ، ولا مجاهدتي نفسي فيها ، وبذلك صارت مجالستهم أضر على الإنسان من تناول السم المهلكة .

خامساً : إن من جالسهم من العصاة وسمع مقاتلهم : إن هذه المعاصي من الله تعالى لا من العصاة ، وقد ثبت ذلك في نفسه ، لم تصح له توبة منها أصلاً ، لأن أحد شرائط التوبة الاعتراف بالذنب ، والاعتراف هو قول الجاني : جنيت أو أسأت أو أذبت فاعذرني واغفر لي . وذلك لا يصح من يزعم أن جميع المعاصي من الله تعالى ، فتكون مجالستهم سادة لباب التوبة^(١٥٥) .

ويخلص الإمام الزيدى من هذا النقد لعقيدة الجبرة ، وما يلزم عنها من آثار سلبية تظهر في سلوك المؤمنين بها ، إلى عقيدة مخالفة فحواها أن الإنسان خالق لأفعاله ، ولا غضاضة في هذا القول ، ففي قوله تعالى : ﴿ فبارك الله أحسن الخالقين ﴾^(١٥٦) اثبات خالق سواه بخلاف مقالة الجبرة القدرية^(١٥٧) .

(١٥٥) الشارح : ١٧٤/٢ أ .

(١٥٦) سورة المؤمنون : ١٤ .

(١٥٧) الشارح : ١٨٢/٣ أ .

موقفه من المعتزلة :

يذكر عبد الله بن حمزة أن للمعتزلة تصانيف جمّة ، ويقول : « وخلافهم لنا قليل ، إنما يخالفون في الإمامة ، ويقولون بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان ، وينكرون أن يكون النص على علي عليه السلام يوجب الإمامة بعد رسول الله صل الله عليه وآله وسلم »^(١٨).

ولكن ماذا عن علاقة المنزلة بالمرجئة ؟ يبين الإمام عبد الله بن حمزة أن المرجئة طوائف شتى ، فمنهم جبرية وعدلية ، ومنهم من يقول : مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة لا وعيد عليه ، إذ يغفر له لا محالة ، ولا تضربه معصيته ، ولا يستحق العقاب بسبب الإسلام ، ومن المرجئة من يجوز كلا الأمرين : الغفران والعقاب وترك القطع ، ولم يرو عن أحد من السلف ترك القطع إلا عن مقاتل بن سليمان ثم اتبعه طائفة من الحشوية . « واختلفت الإمامية فمن قائل بالإرجاء ، ومن قائل بالوعيد وهم الأقل . وفي العدلية من يقول بالإرجاء ... وأما الزهيدية فلم يرد عن أحد من أئمتهم نقول بالإرجاء »^(١٩). إن لقب العدلية يطلقه عبد الله بن حمزة في العادة على المعتزلة ، ومن المعلوم أن المعتزلة أنفسهم يجنون أن يطلق عليهم هذا الاسم ، فإذا ثبت هذا كان من الغريب قول عبد الله بن حمزة « وفي العدلية من يقول بالإرجاء » ، ذلك أن قصة نشأة المعتزلة تدل على أن ظهور مذهبهم إنما كان نتيجة رفض المؤسس الأول (واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد) لكل من مذهبي الخوارج والمرجئة ، وما قولهم بالمنزلة بين المنزلتين إلا لمخالفتهم للفرقتين جميعاً ، فكيف يقول أحد من المعتزلة بالإرجاء ؟

مذهبه الزهيدى :

الزهيدية هي أحد مذاهب الشيعة ، هكذا يعلن عبد الله بن حمزة ، ويشير إلى أن الشيعة فرق كثيرة ، ويذكر أن الشيعة تنقسم إلى ثلاث عشرة فرقة ، ثم

(١٨) تذاقي : ٤٦١ : أ ب .

(١٩) تذاقي : ٤٠٦ : ب .

يقول « والعمدة في التشيع مذهب الزيدية » ، إنه العدل والتوحيد ، وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام عموماً إلا من خرج من بني القبايس لما ضعفوا وتوددوا إلى العامة^(٢٠).

ويخصص الإمام الزيدى في كتابه الشافى فصلاً « في أن علياً عليه السلام وصى رسول الله » حاول فيه أن يقدم أدلة على أن علياً أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم^(٢١). وفي إحدى مخطوطات المكتبة الغربية بجامع صنعاء مسائل سئل عنها عبد الله بن حمزة جاء في بعض إجابته « مذهبنا أن عترة الرسول صلى الله عليه وسلم هم : علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وأولادهما في جميع الأعصار » ، ومن الأدلة التي يوردها في هذا الصدد قوله تعالى : ﴿ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾^(٢٢). ويزعم أن المقصود هنا بأهل البيت علي وفاطمة والحسين وأولادهما^(٢٣). وينسى الإمام الزيدى أو يتناسى أن الآيات القرآنية الخمس السابقة على الآية الكريمة التي استشهد بها وكذلك الآية التالية لها ، إنما الخطاب في هذه الآيات جميعاً موجه إلى نساء النبي^(٢٤)، ومع ذلك بصر الشيعة على مفهومهم الضيق لأهل البيت ، فيستبعدون من يستبعدون بغير مبرر .

ولكن ما موقف الإمام عبد الله بن حمزة من الصحابة رضوان الله عليهم ؟ لقد أفرد بعده يحيى بن حمزة رسالة خاصة في الدفاع عن الصحابة وبخاصة الشيخين أبي بكر وعمر ، وهي « الرسالة الوازنة للمتعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين » ، كما دافع عنهم في كثير من كتاباته الأخرى على نحو ما بين أستاذنا الدكتور أحمد صبحي^(٢٥). ولكن ماذا عن موقف الإمام نفسه ؟ يقول ابن الزحيف في مخطوط مآثر الأبرار : « ونقلت من كتاب الرياض المستطابة للفقهاء يحيى بن أبي بكر العامري الحرظي المحدث ما لفظه : ومن كلام المنصور

(٢٠) الشافى : ٤٢/١ ب .

(٢١) الشافى : ٢٧/١ وما بعدها .

(٢٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٢٣) مجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة الغربية رقم ٢٩ مجموع ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢٤) راجع سورة الأحزاب : ٢٨ - ٣٤ .

(٢٥) راجع كتابه القيم الزيدية ، ص ٣٨٢ وما بعدها .

بأنه في جواب المسائل النهائية^(٢٦٦)، فإنه رضى الله عنه - يعنى المنصور - أننى عليهم - يعنى كبار الصحابة - وعدد من آثارهم على غيرهم . قال فيهم : وهم خير الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ، فرضى الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خيراً . ثم قال : فهذا مذهبا ، لم نكتم سواه تقية ، ومن هم دوننا مكاناً وقدرأ بسب ويلعن ، ويلذم ويطعن ، ونحن إلى الله سبحانه من فعله براء ، وهذا ما يقضى به علم آبائنا إلى علي عليه السلام ... «^(٢٦٧) . ويقول في كتابه الشافي : « إنا لا نكره الثناء على أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم »^(٢٦٨) .

إلا أنه لا يعدهم في مكانة علي بن أبي طالب ، فما يقال عن أبي بكر من أنه ثاني اثنين في الغار ، فهو صحيح بنص العزيز الجبار^(٢٦٩) ، ولكن أفضل منه من بات على فراش النبي وفداه بمهجته ، أما انقول إن أبا بكر صديقه فهو الصديق الأصغر ، وإن كان أكبر سناً ، وعلي عليه السلام الصديق الأكبر ، وأما ما يقال إنه ضجيعه في تربته فلذلك بعض ما نقم آل الرسول ، لأنه دخل بيت النبي بغير إذنه^(٢٧٠) .

ولكنه يغلو في ذم بعض الصحابة فيقول : « ولنا نلعن معاوية وعمر إلا لما صح بنقل صحيح عن آبائنا عليهم السلام وأشباعهم رضى الله عنهم أن علياً كان يلعنه وأتباعه كعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري . فكانت لعنة علي من لعنة النبي ، ولعنة النبي من لعنة الله ، ومن يلعن الله فلن تجده له نصيراً »^(٢٧١) .

(٢٦٦) الرسالة الإمامية في الجواب عن المسائل النهائية ، منها نسخة مخطوطة ضمن مجموعة بمكة

المسند الريضاني رقم ٢٨٢٨ على ما يذكر الميثقي .

(٢٦٧) مآثر الأبرار ، ص ٢٥ أ .

(٢٦٨) الشافي : ١٩٠/٢ أ .

(٢٦٩) يقصد ما ورد في سورة التوبة : ٤٠ .

(٢٧٠) الشافي : ١٨٦/٢ ب - ١٨٧ ب .

(٢٧١) الشافي : ١٨٨/٢ أ .

إن عنياً عليه السلام مولى كل مؤمن ومؤمنة ، فدخل فيه أبو بكر وعمر وعثمان ، وحصل من ذلك معاداة الله لعاوية وسحرته^(٣٢) .

أما العباس - سلام الله عليه - فهو أهل لكل فضيلة ، ومحل لكل رفعة ، وكيف لا يكون وهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أسعده الله بالإسلام ، ففضائله لا تنكر ، وشرفه لا يغرر . أما أولاد العباس ، ومنهم الخلفاء العباسيين فهم أعداء لأهل البيت ، يعلم ذلك ضرورة من ظهور دولتهم إلى يومنا هذا . وقفهاء العامة - رحمهم الله تعالى - كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، وفضلاء أتباعهم ، فيعلم من عرف أخبارهم واقتفى آثارهم نبذهم لبني العباس ، وكل ذي دين يعلم أن تولى بني العباس - على ما هم عليه من المعاصي - ضلال في الدين ، وذلك في الإسلام ، فكيف من يجعلهم له أئمة ؟ ولا يعلم أحد يدين بذلك إلا الراوندية ومن حدا حدوهم من الخشوية . إن الخشوية يسوون بين بني العباس وبين عدوهم ، لأنهم يقولون إن الإمامة بالقهر والغلبة ، فمن غلب كان إماماً ، ويكفيه الإقرار بالإسلام ، وإن عمل ما عمل ، وهذا انسلاخ من الدين كما ترى .

فإن قيل إن الملك فيهم إلى يومنا هذا فسلم ، وأما إلى يوم الدين فلا يسلم ذلك ، لأن دولة أهل البيت لا بد من ظهورها وعمومها ، وقد علمنا ذلك بالإسناد الموثوق به : إن الملك فيهم ، وفيها النبوة . والمراد خلافة النبوة .

ويستطرد عبد الله بن حمزة في هجومه العنيف على الخليفة العباسي في عصره وهو - كما ذكرنا - الناصر أحمد بن المستظهر ، ويبين ما ساد حكمه من ظلم ، ظهر في خراب البلاد ، وهلاك العباد ومصادرات الأغنياء وتعديبهم بأنواع العذاب ، ومنع الناس في دار هجرته بغداد من إصلاح منازلهم إلا بشيء من المال يسلم إلى الإمام ، ولا يزال سيفه رطباً من دماء المسلمين ، وسيرته إنما هي سيرة الجبارين المتكبرين العتاة المتردين^(٣٣) .

(٣٢) الشافعي - ١٩٠/٢ ب .

(٣٣) الشافعي : ١٩٢/٢ - ١٩٤ ب .

زبد الأدلة :

كنا فيما سبق نقب بعض صفحات موسوعة المنصور الضخمة « الشافى » التى لا تشبه موسوعة ابن سينا « الشفاء » فى الاسم فحسب ، بل التشابه قائم بينهما أيضاً فى الضخامة والتنوع . والآن نتقل من أكبر مؤلفات الإمام إلى أحد مؤلفاته الصغيرة ، بل لعله أصغر مؤلفاته على الإطلاق ، وهو كتابه « زبد الأدلة » ، وعلى الرغم من صغر هذا الكتاب إلا أنه على جانب كبير من الأهمية ، لأنه محاولة فريدة فى تلخيص المذهب الزيدى كله فى أقل عدد ممكن من الكلمات الموجزة ، الدالة فى نفس الوقت على عقائد كبرى أفاض فى شرحها وتحليلها فى مصنفاته الأخرى الكبيرة ، وفى مقدمتها « الشافى » .

نحن إذن بإزاء رسم تخطيطى لمعالم بيان العقيدة الزيدية ، تظهر فى شفافيتها القواعد الأساسية ، وتبدو الدعائم الجوهرية فى صورة نقية ، تختفى فيها ظلال التفاصيل الكثيفة ، ومن ثم فإن قارئ كتاب زبد الأدلة ، يدرك مباشرة أنه يسير فى طريق مستقيم يصل فى أقصر وقت ممكن إلى المبادئ العامة للزيدية ، لا يفتى على شئ من المقارنات بالفرق الأخرى ، ولا يشتغل بدحض الآراء المخالفة ، والتفتيش عما يلزم مذاهب الخصوم من نتائج متناقضة فاضحة ، ولا يشغل نفسه بغير الوقوف على « زبد » المذهب الزيدى .

وبعرض عبد الله بن حمزة المبادئ الأساسية لمذهبه الزيدى فى هذا الكتاب فى صيغة أسئلة وأجوبة ، يفترض أن سائلاً يطرح على القارئ أسئلة تسمى صميم المذهب الزيدى ، ثم يقدم الإجابة الموجزة لكل سؤال ، ويراعى فى ترتيب الأسئلة والأجوبة نفس ترتيب عناصر المذهب ، والكتاب يتكون من ثلاثين سؤالاً وجواباً .

ولم يوضح الإمام المنصور بالله الغرض الذى من أجله كتب هذا الكتاب ، إلا أننا نرجح أن يكون هدفه من تأليفه إما أن يكون بمثابة « مفكرة » للدعاة الزيدية تعينهم على الترويج لمذهبهم ، وإما أن يساعد فى تعليم الأتباع ما لا غنى عنه من مبادئ المذهب .

وتبدو النزعة العقلية واضحة جلية من بداية الكتاب ، وتسرى فيه حتى نهايته ، تلك النزعة التي ضمت تحت جناحها المعتزلة والزيدية ، وألفت بين قلوبهم ، وسلكتهم جميعاً تحت شعار أهل العدل والتوحيد .

ويتكون كتاب زيد الأدلة من بابين : باب في التوحيد ، وباب في العدل ، ويستهل المنصور بالله كتابه بإعلان أن أول ما يجب على المرء النظر العقل المؤدى إلى معرفة الله ، وهذا الاستهلال يذكرنا بمصنفات المعتزلة ، فقد بدأ القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت . سنة ٤١٥ هـ) كتابه شرح الأصول الخمسة بقوله « إن سأل سائل فقال : ما أول ما أوجب الله عليك ؟ فقل : انظر المؤدى إلى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة^(٣٤) ، ولا بالمشاهدة^(٣٥) ، فيجب أن نعرفه بالتفكير والنظر^(٣٦) .

ويتضمن باب التوحيد دليلاً على وجود الباري ، وهو دليل السببية الذي يستند إلى فكرة حدوث العالم ، وبياناً بصفات الله تعالى ، فثبت المصنف الصفات الثلاث التي يثبتها المعتزلة : القدرة والعتم والحياة ، ثم يضيف إليها صفتي السمع والبصر ، متفقاً في ذلك مع شيوخ المعتزلة البصريين ، ومخالفاً شيوخ المعتزلة البغداديين ممن ينفون عن الله تعالى أنه سمع بصير ، ويؤولون هاتين الصفتين الخبريتين بأنهما تدلان على أنه تعالى مدرك للمدركات السمعية والبصرية على معنى أنه عالم بها^(٣٧) . وينفى الإمام الزيدى مع المعتزلة رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة ، ويختتم باب التوحيد بدليل عقل على وحدانية الله تعالى وقدمه .

أما الباب الثاني فيخصصه للقول في العدل ، ويتفق مع المعتزلة أيضاً في إثبات أنه تعالى عدل حكيم ، ويلزم عن ذلك نفى خلق الله لأفعال العباد ، (٣٤) العلم الضروري هو العلم الذي لا يمكن نفيه عن النفس بوجه من الوجوه ، وقد حد القاضي عبد الجبار العلم الضروري بأنه العلم الذي لا يمكن للعالم نفيه عن نفسه بشك ولا شبهة . (شرح الأصول الخمسة ، ص ٤٨) .

(٣٥) المشاهدة من الإدراك بالمحسوس الخمس ، وتستعمل في الأغلب للدلالة على الإدراك بحاسة البصر . (شرح الأصول الخمسة ، ص ٥١) .

(٣٦) شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩ .

(٣٧) راجع شرح الأصول الخمسة ، ص ١٦٨ .

وردها إليهم وحدهم ، وأنه سبحانه لا يكلف أحداً من عباده مالا يطيق ، وأن الآخرة استحقاق وأعواض ، ويثبت أن القرآن كلام الله محدث .. وهذا الأصل الثاني : العدل لدى عبد الله بن حمزة - كما هو الشأن لدى المعتزلة -- يتضمن الأصول الثلاثة الباقية من أصولهم الخمسة :

بتضمن القول بالوعد والوعيد ، وأن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لا تشمل أهل الكبائر .

ويتضمن القول بالتميز بين المنزلتين ، فأهل الكبائر يسميهم فساقاً ، وهم لا يندرجون تحت طائفة المؤمنين ، ولا تحت طائفة الكفار .

ويتضمن أيضاً القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم يتجاوز أخيراً هذه الأصول الخمسة التي قالت بها المعتزلة ، فيضيف إليها إثبات الإمامة لعلي بن أبي طالب ثم من بعده للحسين وأولادهما من بعدهما .

تحقيق الكتاب :

أورد عبد الله الحيشي^(٣٨) في قائمة مؤلفات عبد الله بن حمزة المصنف رقم ٤٢ « زبدة الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى » ، هكذا « زبدة » ، وذكر أن منه نسخة مخطوطة سنة ١٣٠١ بمكتبة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) برقم ٢/٢٦١٣ ، ومنه نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ١٠٢ بمكتبة جامع صنعاء « الكتب المصادرة » .

أما النسخة الثانية ، وهي من الكتب المصادرة ، فلم يكن بالطبع في الإمكان الاطلاع عليها ، يد أنى في إحدى زياراتي المتعددة للمكتبة الغربية بجامع صنعاء عثرت على نسخة من الكتاب بعنوان « زيد الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى » ضمن مجموعة رسائل في مخطوط رقم ٣ بمجموع ، ويقع الكتاب في أربع صفحات من صفحة ٨٣ إلى صفحة ٨٦ في المخطوط المذكور ، إلا أن هذه النسخة للأسف ناقصة من البداية ، وعلى وجه التحديد

(٣٨) حكام اليمن ، ص ٩٢ .

بتقصها الباب الأول كله ، وتبدأ هكذا : « فإن قيل لك : ما اندليل على أنه تعالى عدل حكيم ... » ، وقد نقلت هذه النسخة الناقصة فيما نقلت من مخطوطات جامع صنعاء واحتفظت بها .

وعندما انتقلت من جامعة صنعاء إلى جامعة الملك سعود بالرياض تمكنت من الحصول على ميكروفيلم للنسخة الموحدة بمكبتها ، وهي نسخة كاملة للكتاب ، بعنوان « كتاب زيد الأدلة للإمام المنصور بالله ... » ، والكتاب ضمن مجموعة رسائل زيدية برقم ٢/٢٦١٢ ، ويقع الكتاب ما بين صفحة ٨٦ و صفحة ٩٠ من المخطوط ، وعدد سطور الصفحة الواحدة ٢١ سطرأ ، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد ١٤ كلمة ، والمداد المستخدم لوانان : الأسود والأحمر .

وقد رمزت لنسخة جامعة الملك سعود بالحرف أ ، ورمزت لنسخة جامع صنعاء بالحرف ب .



كتاب زبد الأدلة^(٣٩)

للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، ابن رسول الله ، صلى الله عليه ، وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان ، عليه السلام :

[باب القول في التوحيد]^(٤٠)

- إن قيل لك : ما أول ما أوجب الله عليك ؟
قلت : النظر المؤدى إلى معرفة الله ، لأن معرفته واجبة ، ولا تصح إلا بالنظر والاستدلال .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أن للعالم صناعاً صنعه ، ومدبراً دبره ، حتى توجب معرفته أو لا توجبها ؟
قلت : لأن هذه الأجسام محدثة ، والمحدث^(٤١) لا بد له من محدث^(٤٢) ، ومحدثها ليس إلا الله سبحانه وتعالى .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه قادر ؟
قلت : لأن الفعل قد صح منه ، والفعل لا يصح إلا من قادر .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه عالم ؟

(٣٩) في ب : زبد الأدلة في معرفة الله سبحانه وتعالى .

(٤٠) هذا العنوان إضافة من عندنا ، غير موجود بالمخطوطة أ ، وانساب برمنه ناقص في المخطوطة ب .

(٤١) والمحدث : يفتح الدال .

(٤٢) محدث : بكسر الدال .

قلت : لأن^(٤٣) الفعل المحكم قد صرح منه ، والفعل المحكم لا يصح إلا من عالم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه حي ؟

قلت : لأنه قادر عالم ، والقادر العالم لا يكون إلا حياً .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سميع بصير ؟

قلت : لأنه حي ، لا آفة به ، وكل من كان حياً لا آفة به فهو سميع بصير .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه قديم ؟

قلت : لأنه لو لم يكن قديماً لكان محدثاً ، ولاحتاج إلى محدث ، والكلام في المحدث كان الكلام فيه ، فإن احتاج إلى محدث آخر ، أدى إلى الانقياد إلى ما لا نهاية له ، وذلك محال ، ثبت أنه قديم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه يستحق هذه الصفات لذاته ، من دون مؤثر من فاعل أو علة ؟

قلت : لأن الفاعل سواء ، لا يخلو : إما أن يكون قديماً أو محدثاً . ولا يجوز^(٤٤) أن يكون محدثاً ، لأن القديم سبحانه وتعالى متقدم عليه ، ومن حق المؤثر أن يسبق ما هو مؤثر فيه ، ولا يجوز أن يستحق هذه الصفات لعلة ، لأن العلة لا تخلو : إما أن تكون موجودة أو معدومة . والموجودة لا تخلو : إما أن تكون محدثة أو قديمة . ولا يجوز أن يستحقها لعلة معدومة ، لأنه معه ومعنا على سواء ، فهو أوجب له ، لأوجب لنا ، ومعلوم خلافه ، ولا يجوز أن يستحقها لعلة قديمة ، لأنه لا قديم سواء ، على ما بيناه . ولا يجوز أن يستحقها لعلة محدثة ، لأن من حق العلة أن تتقدم على مضمونها ، فهو تقدمت عليه نقضت كونه قديماً ، وقد ثبت قدمه ، ولو تقدم عليها نقض كونها علة . بقى أن يستحقها لذاته سبحانه وتعالى .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يشبه الأشياء ؟

قلت : لأنه لو أشبهها لجاز عليه ما جاز علينا من الثغر والزوال والتنقل من حال إلى حال ، وذلك من امارات المحدث .

(٤٣) من هنا تبدأ من ٨٧ في المخطوطة أ .

(٤٤) في الأصل : لا يجوز بدون الواو .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه غنى ؟
قلت : لأن الحاجة لا تجوز إلا على المحدث ، وقد ثبت أنه قديم .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يرى بالابصار ؟
قلت : لأنه لو جاز رؤيته في حال من الأحوال ، لرأيناه الآن لأن لا مانع بيننا وبينه ، فلما لم نره مع ذلك ، علمنا^(٤٦) أنه لا يجوز عليه الرؤية في الدنيا ولا في الآخرة .
- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه وتعالى واحد ، لا ثاني له معه في القدم والإلهية ؟
قلت : لو كان معه ثان ، لأدى إلى التمام بينهما ، فلا يوجد أحدهما ما يكره الثاني ، وذلك يدل على عجزهما . وقد ثبت كونه سبحانه وتعالى قادراً .

باب القول في العدل

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه سبحانه^(٤٧) عدل حكيم ؟
قلت : لأنه لا يحمل على الجور والعبث إلا ذو^(٤٨) الحاجة والجهل ، وقد ثبت أنه تعالى^(٤٩) عالم غنى ، ثبت أنه سبحانه^(٥٠) عدل حكيم ، لأن من علم قبح الصيغ وكان عنه غنياً^(٥١) ، لم يفعله أصلاً شاهداً أو^(٥٢) غائباً .
- فإن قيل لك : أفعال العباد منهم أو^(٥٣) من الله سبحانه^(٥٤) ؟
قلت : بل^(٥٥) منهم لأنه سبحانه وتعالى^(٥٦) أمرهم ببعضها ونهاهم عن

(٤٥) من هنا تبدأ من ٨٨ في المخطوطة أ .

(٤٦) في ب : تعالى .

(٤٧) في ب : قو ناقصة .

(٤٨) في أ : تعالى ناقصة .

(٤٩) في ب : تعالى .

(٥٠) في ب : وكان غنياً عن فعله .

(٥١) في ب : ولا .

(٥٢) في ب : أم من .

(٥٣) في أ : سبحانه ناقصة .

(٥٤) في ب : بل ناقصة .

(٥٥) في ب : لأن الله سبحانه .

بعضها ، ولا يجوز أن يأمرهم بفعله ولا ينههم عن فعله^(٥٦)، لأنه عدل
حكيم .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله تعالى^(٥٧) لا يقضى إلا بالحق ؟
قلت : لأن القضى^(٥٨) بالمعاصي باطل ، والقضى بالباطل باطل^(٥٩) قبيح .
وقد قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾^(٦٠) .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أنه لا يعذب أحداً^(٦١) إلا بذنبه ، ولا يبيبه^(٦٢)
إلا بعينه ؟

قلت : لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^(٦٣)، ولقوله
تعالى : ﴿ فَكَلَّا أَخْلَدْنَا بَدَنِهِ ﴾^(٦٤) .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله سبحانه^(٦٥) لا يكف أحداً^(٦٦) من
عباده^(٦٧) ما لا يطيق ؟

قلت : لأن تكليف ما لا يطاق قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح^(٦٨)، ولقوله
تعالى : ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٦٩) .

- فإن قيل لك : لم قلت إنه لا يجب الظلم ، ولا يريد الكفر ، ولا يرضى
الفساد^(٧٠) ؟

(٥٦) ق : ب : وهو لا يأمرهم وينههم عن فعله .

(٥٧) ق : أ : على أنه سبحانه .

(٥٨) ق : ب : القضى ناقصة .

(٥٩) ق : أ : باطل ناقصة .

(٦٠) سورة غافر : ٢٠ .

(٦١) ق : ب : أحداً .

(٦٢) ق : أ : يبيبه .

(٦٣) سورة الحجج : ٤٠ .

(٦٤) سورة الضحى : ٤٠ .

(٦٥) ق : ب : تعالى .

(٦٦) ق : ب : أحداً .

(٦٧) ق : أ : من عباده ناقصة .

(٦٨) ق : ب : ... قبح والله تعالى لا يفعل ... ناقصة .

(٦٩) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٧٠) ق : أ : إن الله تعالى لا يريد الظلم ، ولا يرضى الكفر ، ولا يحب الفساد .

قلت : لأن جميع ذلك راجع إلى الإرادة ، وإرادة القبيح فيحة ، والله تعالى لا يفعل القبيح .

فإن قيل لك : لم قلت إن الآلام^(٧١) من الله سبحانه وتعالى ؟ ولم قلت لا بد من العوض عليه^(٧٢) ؟

قلت : لأن جميع الآلام خارحة من مقدمات العباد^(٧٣) ، فلا فاعل له إلا الله ، والله غنى عن ظلم العباد ، وعالم بقبح القبيح^(٧٤) ، وغنى عنه ، ولا بد من العوض والاعتبار .

- فإن قيل لك : لم قلت إن القرآن كلام الله تعالى ؟

قلت : لأن النبي ، صلى الله عليه ، وآله وسلم ، كان يدين بذلك^(٧٥) ، ويغير به ، وهو لا يدين إلا بالحق ، ولا يغير إلا بالصدق ، لكونه رسولاً حكيماً عدلاً^(٧٦) .

- فإن^(٧٧) قيل لك : لم قلت إن القرآن محدث ؟

قلت : لأنه مرتب منظوم ، يوجد بعضه في إثر بعض ، وذلك دلالة الحدوث ، ولقوله تعالى ﴿ وما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾^(٧٨) .

- فإن قيل لك : لم قلت إن محمداً^(٧٩) ، صلى الله عليه ، وآله وسلم ، نبي صادق ؟

قلت : لأنه جاء بالمعجز الذي شهد بصدق دعواه^(٨٠) ، ولا يجوز ظهور المعجز^(٨١) إلا على نبي صادق فيما ادعاه .

(٧١) ق ب : الألم .

(٧٢) ق ب : عليه نافعة .

(٧٣) ق ب : لأن الألم عل ذلك الوجه خارج مقصور العباد .

(٧٤) ق ب : العيب .

(٧٥) ق أ : به .

(٧٦) ق أ : ولكونه عدل حكيم .

(٧٧) من هنا تبدأ ص ٨٩ من المخطوطة أ .

(٧٨) ق ب : ولقوله تعالى ... نافعة . والآية المذكورة هي الآية ٢ من سورة الأنبياء .

(٧٩) ق أ : النبي .

(٨٠) ق ب : دعوته .

(٨١) ق أ : المنص .

- فإن قيل لك : ما الدليل على أن الله تعالى^(٨٢) يخذل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار^(٨٣) ؟

قلت : لأن الله تعالى وعد نوابه بالجنة ، وتوعد أعداءه بالنار ، واخلاف الوعد والوعيد قبيح^(٨٤) ، والله تعالى لا يفعل القبيح .

فإن^(٨٥) قيل لك : ما الدليل على دخول الفاسق النار ، وخطوهم فيها ؟ قلت : لقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له ناز جهنم خالد فيها أبداً ﴾^(٨٦) ، والخطو هو الدوام . واخلاف الوعيد كذب ، والكذب قبيح .

فإن قيل لك : لمن يقضى الله بشفاععة النبي ، صلى الله عليه ، وآله وسلم^(٨٧) ؟

قلت : لا يقضى بها إلا لمن يستحق الجنة ، دون من استحق النار ، لقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾^(٨٨) . والفاسق ظالم بالإجماع .

فإن قيل لك : ما يسمى المرتكب للكبائر من أهل^(٨٩) الشهادتين ، ولا يقدم على شيء من الكفر^(٩٠) ؟

قلت : أسميم فاسقاً ، لأن للكفر أفعالاً مخصوصة ، لها أحكام مخصوصة^(٩١) ، ولا أسميم منافق ، لأن المنافق من أظهر الإسلام ، وأيض الكفر ، وليس هذه حال الفاسق ، ولا أسميم مؤمن ، لأن الإيمان اسم

(٨٢) ل ب : أنه تعالى .

(٨٣) هذا السؤال ل ب ينضم إل سؤالي ، فإلها إجابان .

(٨٤) ل ب : واخلاف الوعيد كذب ، والكذب قبيح .

(٨٥) ق أ : سقط هذا السؤال وإجابته .

(٨٦) سورة البقر : ٢٣ .

(٨٧) ثمة تحريف في صيغة السؤال في كل من النسختين ، فزم التيق بينهما .

(٨٨) سورة غافر : ١٨ .

(٨٩) ل ب : ممن كفر .

(٩٠) ل أ : ولا يظلم ... فانصة .

(٩١) ق أ : لأن للكفر أحكاماً مخصوصة .

شريف ، والفاستق يستحق الإهانة ، فلم يبق سائلاً من هذه الموانع وأحد الموانع^(٩١) . الإجماع على تسميته فاسقاً .

- فإن قيل لك : لم قلت إن^(٩٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ؟ قلت : لقوله تعالى : ﴿ وَلكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾^(٩٣) . وهذا هو أمر ، والأمر يقتضى الرجوب .

- فإن قيل لك : لم قلت إن الإمام بعد رسول الله ، صلى الله عليه ، وآله ، وسلم ، علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه في الجنة^(٩٤) ؟ قلت : لقول النبي ، صلى الله عليه ، وآله ، وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » إلى آخره^(٩٥) ، وهو لا يريد بذلك إلا إثبات^(٩٦) الإمامة ، فثبت بذلك^(٩٧) كونه إماماً عليه السلام .

- فإن قيل لك : لم قلت إن^(٩٨) الإمام بعده ولده^(٩٩) الحسن ، ثم بعده الحسين ، عليهما السلام ؟

قلت : لقول النبي صلى الله عليه ، وآله ، وسلم « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ، وأبوهما خير منهما » ، وهذا نص صريح^(١٠٠) على إمامتهما^(١٠١) .

- فإن قيل لك : لم قلت إن الإمامة بعدهما^(١٠٢) في أولادهما ؟

(٩٢) كذا (أ) ل ب ، ول أ : واحد والموانع .

(٩٣) ل أ : إن ناقصة .

(٩٤) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٩٥) ل ب : صلوات الله عليه .

(٩٦) ل ب : إلى آخره ناقصة .

(٩٧) ل ب : إثبات ناقصة .

(٩٨) ل أ : ذلك ناقصة .

(٩٩) ل أ : إن ناقصة .

(١٠٠) ل أ : ولده ناقصة .

(١٠١) ل ب : وهذا تصريح .

(١٠٢) ل ب : عليهما السلام .

(١٠٣) ل أ : بعدهما ناقصة .

قنت : لإجماع الأمة والعترة عليهم السلام على نبوتها فيهم^١ ، واختلافهم
فيمن سواهم .

تمت زبدة الأدب ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد ، وآله الطيبين الطاهرين ، وأن يجعلنا في ذنك من تعالين ، والحمد لله
أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على محمد ، وآله ، وسلم سليماً .

* * *

(١٠٤) ق ب : لإجماع الأمة على نبوتها .

(١٠٥) ق ب الخاتمة مكفداً تحت الزبد بحمد من له الحمد والحمد ، وبركة نبيه صلى الله عن مؤلفها عدد أفلالك
النساء ، ويصيرنا علوم أهل بيت نبيه صلى الله عليه ، وآله ، وسلم ، وأذهب عنا العسى ، وحشرنا إلى
مرعبه ، إنه عمل ما يشاء ، قدر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العن العظيم ، وصلى الله وسلم على محمد ، وعمل
آله ...

المراجع

أولاً : المخطوطات

- ابن الزحيف ، محمد بن علي بن يونس بن فند : مآثر الأبرار في تفضيل مجملات جواهر الأخبار . رقم ١٦٥ تاريخ وتراجم . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله : عبد الله بن حمزة : الشافي ، ٤ مجلدات : نسخة رقم ٧٧ علم الكلام ، وأخرى رقم ٨١ علم الكلام . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله ... : زيد الأدلة ، ضمن مجموعة رسائل . رقم ٣ مجموع . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .
- المنصور بالله ... : زيد الأدلة ، ضمن مجموعة رسائل . مخطوط مصور . برقم ٢/٢٦١٣ بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .
- المنصور بالله ... : مسائل مثل عنها ومن إملائه عليه السلام . ضمن مجموعة رسائل برقم ٣٩ مجموع . المكتبة الغربية بجامع صنعاء .

ثانياً : المطبوعات

- أحمد محمود صبحي (دكتور) : الزيدية . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٠ .
- بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني : كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سمث . لندن ، ١٩٧٤ .
- عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة ، تحقيق دكتور عبد الكريم عثمان . القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٦٥ .

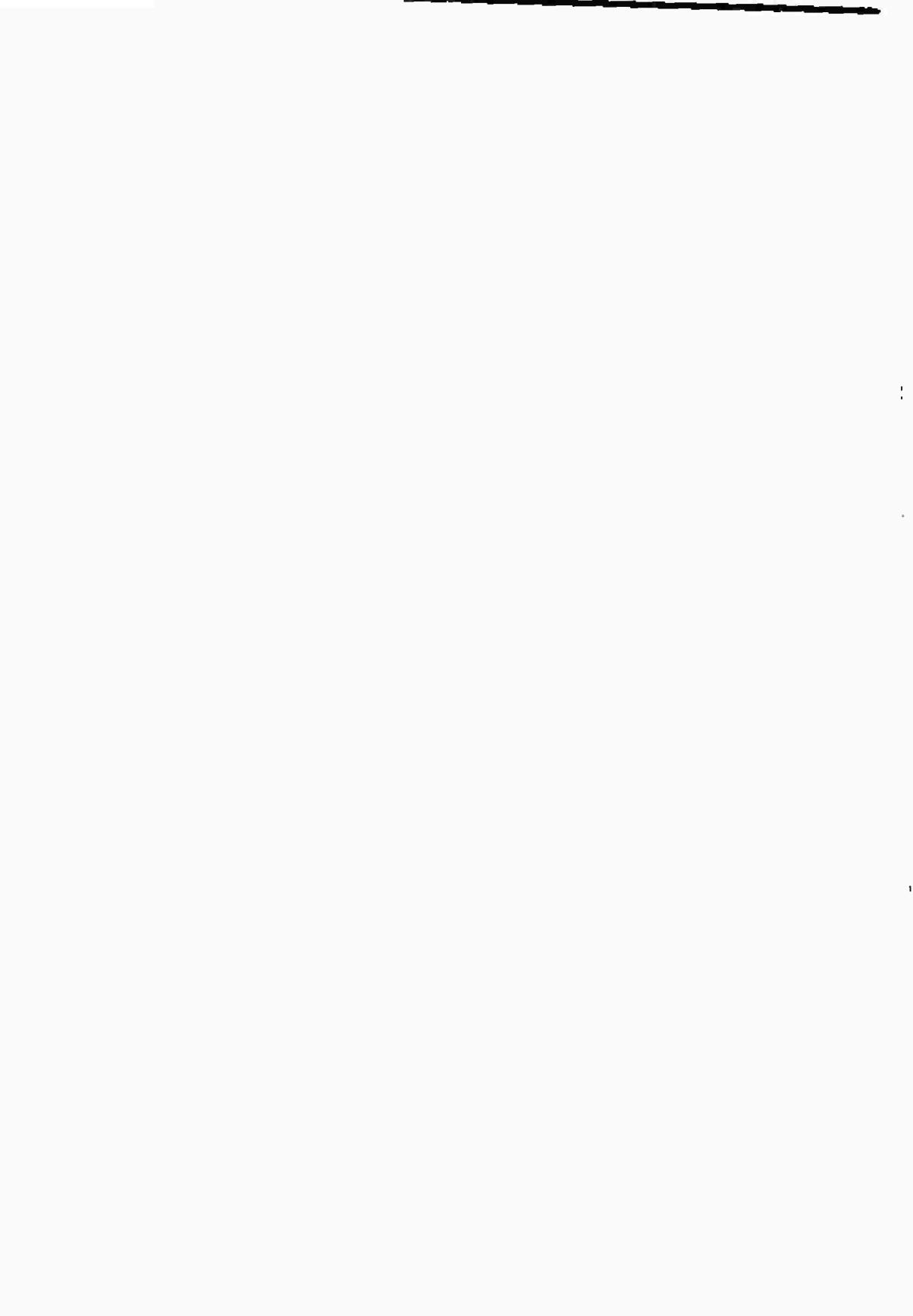
- محمد عبد العال أحمد (دكتور) : الأيوبيون في اليمن . الإسكندرية ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .
- محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن ، ج ١ . تعز ، مطبعة النصر الناصرية ، ١٣٧٢ - ١٣٧٥ هـ .
- محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسي ، ط ٣ . القاهرة ، دار المنا للطباعة ، ١٩٧٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حالة القلق وسمة القلق لدى عينات سعودية ذهانية وعصابية

دكتور أحمد عيسى حافظ
لم علم النفس - كلية الآداب
جامعة عين شمس

دكتور أحمد محمد عبد الخالق
لم علم النفس - كلية الآداب
جامعة الإسكندرية



حالة القلق وسمة القلق لدى عينات سرودية ذهانية وعصائية

دكتور أحمد محمد عبد الحامق

قسم علم النفس · كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

دكتور أحمد عمري حافظ

قسم علم النفس · كلية الآداب
جامعة عين شمس

مقدمة

يواجه الطب النفسى صعوبات بالغة في مجال تشخيص Diagnosis الاضطرابات النفسية (العصاب) والأمراض العقلية (الذهان) وكذلك تصنيف Classification كل منهما ، ذلك أنه ليس وراءهما كائنات حية مسببة يمكن أن ترجع إليها كما هو الحال في الأمراض المعدية ، ولا توجد إصابات عضوية محددة كالتي توجد في أنواع الأمراض التي تنسب إلى جهاز معين من أجهزة الجسم .

وترجع أهمية التصنيف في الطب النفسى وضرورته إلى أن تصنيف المريض في زملة Syndrome معينة أو مرض Disease محدد أمر أساسى ليس بالنسبة إلى شفاؤه فحسب بل كذلك لفهم أسباب مرضه Etiology والتنبؤ بمآله Prognosis أيضاً .

ويعتمد الطب العام في التشخيص والتصنيف على معونة علم الأمراض Clinical pathology والفحوص المعملية المعتمدة على التقديرات الحيوية ، بينما يفتقد الطب النفسى مثل هذه المعونة ، فلم يتوصل الباحثون فيه إلى أن تسهم تحليلات كل من الدم والبول وإنرازات الغدد الصماء وفحص مختلف وظائف الجسم والمخ وغيرها في تشخيص الاضطراب أو المرض في المجال السيكياترى (الطبى النفسى) بدرجة مرتفعة من الدقة .

ومن ناحية أخرى تبدو الأمراض في مجال الطب بعامة أكثر تحديداً ،
والأعراض أقل نداحلاً . بينما الأمر على النقيض في مجال الطب النفسي ، فإن
الأمراض والاضطرابات وتخلل الوظائف أقل تحديداً ، والعلاقات والأعراض
أكثر نداحلاً .

ولقد نجم عن ذلك صعوبات جمة فيما يختص بوضع نظام دقيق للتصنيف ،
كما تسبب في الانخفاض الملموس في ثبات التشخيص السيكياتري وبالتالي
صدقه ، وأدى إلى ارتفاع في نسبة الخطأ في التصنيف Misclassification .

ويرجع الخلل في التشخيص السيكياتري إلى أسباب عديدة منها : عدم الدقة
في نظام التصنيف ، واعتماد الطب النفسي على النموذج الطبي أو نموذج
الوحدات المرضية Disease entities ، إلى جانب الذاتية في الحكم ، واعتماد
أحكام الممارسين على الخبرة والبصيرة والمهارة الإكلينيكية .

ولقد بذلت محاولات كثيرة - منذ وقت مبكر - لرفع صدق التشخيص
السيكياتري وبالتالي ثباته ، ومنذ ابتدع كريپلين Kraepelin طريقته في
التصنيف فما تزال هي أكثر الطرق شيوعاً من حيث جوانبها الإجرائية ، إذ
تعتمد على تحليل مركبات الاضطرابات النفسية والأمراض العقلية ثم إعادة
تركيبها بنوع من النظام ، وهي تمثل نسقاً متكاملاً للملاحظة الإكلينيكية
للحالات المرضية فيما يتصل بتعليلها ، وبدايتها ، وأعراضها ومسارها ، وما لها
(٨ ص ص ٨٧ - ٨٩) .

كما استمرت بعد ذلك المحاولات التي تمخض عنها في وقتنا هذا عدة نظم في
التصنيف : أمريكية وأوروبية ومصرية ، كما أن هناك تصنيفاً دولياً أصدرته هيئة
الصحة العالمية WHO ويعد النظام الذي وضعته الجمعية الأمريكية للطب
النفسي APA أبرزها وأهمها .

وإلى جانب هذا جرت محاولات أخرى لاستخدام التحليل العامل للوصول
إلى عوامل أو فئات تصنيفية أكثر ثباتاً ، على أساس النظرة الأبعادية
Dimensional ، وتطوير موازين تقدير للأعراض ، واستخدام الحاسب
الالكتروني في التشخيص ، والاهتمام بالتصنيفات الأساسية الكبرى وليس

بائنات الفرعية الصغرى ، حيث إن ثبات الأولى أعلى ، والابتعاد عن التصنيف بطريقة البطاقات التشخيصية Diagnostic Labels ، والتصنيف على أساس درجة الاختلال في الوظائف المعرفية والنفسحركية والإدراكية وغيرها (انظر : ٤) .

وتقدم معنى علماء النفس في إطار هذه المحاولات للمساعدة في حل « أزمة التشخيص » إن جاز التعبير ، وذلك بإعداد اختبارات ومقاييس نفسية يمكن أن تسهم في التشخيص ، وقد طبق علماء النفس الإكلينيكي هذه الأدوات على مجموعات مرضية مختلفة ، وذلك لتحديد أبرز معالم استجابة الفئات المختلفة لها .

وبرغم ثراء المحاولات الأجنبية في هذا الصدد وتعددتها ، فما تزال الجهود محدودة في الوطن العربي في مجال إعداد المقاييس وتقنيها بهدف استخدامها بوصفها أدوات لتمييز الإكلينيكي في المجال السيكياترى ، وبخاصة الأمراض العقلية والاضطرابات النفسية واختلال الوظائف العقلية .

وأثمرت جهود الباحثين العرب في علم النفس مجموعة من الاختبارات والمقاييس المترجمة والمؤلفة ، وكان عصر الدور الأول في هذا المجال ، فما تزال معظم الاختبارات والمقاييس التي تم تقنيها في مصر نطق في شتى أنحاء الوطن العربي ، وإن كانت ثمة محاولات تسعى إلى إعادة تقنيها على عدد من البيئات المحلية العربية ، نظراً للاختلافات النوعية في اللهجات والتعادات والظروف ومستوى التحضر وغير ذلك من أسباب .

ولقد قامت عدة محاولات جادة في المملكة العربية السعودية لإعادة تقنين كثير من الاختبارات النفسية على اليفة المحلية . وكان لمركز البحوث التربوية بجامعة الملك عبد العزيز (جامعة أم القرى الآن) فضل الريادة في تقنين عدد من المقاييس النفسية ، هذا عدا جهود أخرى في جامعات سعودية مختلفة .

ففي مجال الذكاء والقدرات فنت عدة اختبارات هامة مثل اختبار المنسحوقات المتدرجة من وضع « ريفين » ، واختبار رسم الرجل لـ « جود انف ، هاريس » ، وكل من اختبار ذكاء الشباب المصور واختبار ذكاء

الشباب اللغزى لحامد زهران ، والمرواز العرفى الميسر فى اختبار حاصل الذكاء
نفايز الحاج .

وفى مجال السحفية وعمم النفس الاجتماعى قنت عدة اختبارات أخرى
أهمها : قنمه السلوك الاجتماعى ، ومقياس اتجاهات الطلاب نحو مادة
الرياضيات ومقياس مكة لأساليب المعاملة الوالدية ، والمقاييس الثلاثة من وضع
فاروق عبد السلام ومحمد جميل منصور ، وقائمة مشكلات الشباب الجامعى
من وضع على خضر ، كما قامت آمان صادق بتقنين البروفيل الشخصى وقائمة
الشخصية لـ « جوردون » أيضاً (٦ ، ٧) .

أما فى المجال الإكلينيكى - مجال دراستنا هذه - فلا نجد سوى سلطة
المقاييس الفرعية الإكلينيكية لقائمة « مينسونا » للشخصية متعددة الأوجه
MMPI التى قام بإعدادها فايز الحاج .

ولا يعد ذلك حصراً شاملاً لكل المقاييس التى تم تقنينها أو تطبيقها على
عينات من البيئة السعودية ، إذ يصعب الحصر الدقيق لها جميعاً نظراً لعدم توافر
المعلومات الأساسية فى هذا الصدد .

وعل أبرر الملاحظات على حركة « تقنين » الاختبارات النفسية فى المملكة
العربية السعودية تلمح فى أنه على الرغم من أن محاولات تقنين المقاييس على
البيئة السعودية قد بدأت منذ أكثر من عشر سنوات فإن ما أنجز منها يعد
محدوداً ، كما أن معظم المقاييس تركز فى المجال العرفى ، فقد لقيت اختبارات
الذكاء والقدرات العقلية الاهتمام الأول بالمقارنة إلى بقية المجالات . كما كان
الاعتماد على جهود فردية ، برغم حاجة عمليات التقنين الماسة إلى فريق بحثى
يضم عدداً من المتخصصين . أما أهم ما يؤخذ على تلك الجهود فهو عدم تمثيل
العينات للمجتمع ، فمعظم المقاييس التى تم تقنينها بجامعة أم القرى على سبيل
المثال طبقت على عينات مسحوبة من المنطقة الغربية فقط ، برغم اتساع رقعة
المملكة ، واختلاف عيناتها من منطقة إلى أخرى ، كذلك عدم استخراج
معايير متنوعة لمعظم هذه المقاييس ، إذ يكتفى عادة بالمتوسطات الحسابية
والانحرافات المعيارية حسب .

أهمية الدراسة وهدفها

تسمى دراستنا هذه إلى تقديم إسهام متواضع في المجال الإكلينيكي ، وذلك بيان الفروق بين عدد من المجموعات الإكلينيكية السعودية في الاستجابة لمقياس من مقياس القلق .

ونظراً لندرة المقاييس التي أجريت عليها بحوث في البيئة السعودية والتي يمكن استخدامها بوصفها أدوات مساعدة في التمييز الإكلينيكي ، وحيث إن الحاجة ماسة إلى تقديم مثل هذه الأدوات ، فقد وقع اختيارنا في هذه الدراسة على مقياس للقلق ، هدف بيان مدى قدرته على الإسهام في إجراء التمييز الإكلينيكي بين عدد من الفئات السعودية المرضية .

ويرجع اختيارنا لأحد مقاييس القلق إلى أن القلق مفهوم مركزي في بحوث الشخصية وعلم النفس المرضي ، والأخير هو الأساس النظري لعلم النفس الإكلينيكي الذي يعد بمثابة علم النفس المرضي التطبيقي : التشخيص والعلاج والوقاية والمآل والبحوث في هذه المجالات . والقلق هو محور العصاب ، وأحسن ممثل لقطب الدثيميا Dysthemia (عصاب المنطوى) وانعروض الجوهرى المشترك في الاضطرابات النفسية بل وفي أمراض عضوية شتى ، وأكثر فئات العصاب شيوعاً .

وقد ميز علماء النفس بين أنواع فرعية أو مجالات خاصة في القلق ، من بينها تقسيمه إلى حالة State وسمة Trait . وتشير حالة القلق إلى قطاعات مستعرضة مؤقتة أو عابرة في تيار حياة الفرد ، أما سمة القلق فهي خاصية مستقرة وثابتة نسبياً لدى الفرد (انظر للتفصيل : ٩) ومن أكثر مقاييس حالة القلق وسمة القلق ذبوعاً وانتشاراً القائمة التي وضعها « ميلبرجر » وزملائه (٩) والتي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة . وقام عبد الخالق (٣) بترجمة الطبعة الأخيرة والمنقحة منها والصادرة عام ١٩٨٣م إلى اللغة العربية ، واختبر بها عينات مصرية ، واستخرج معاملات ثباتها وصدقها . كما قام عبد الخالق وحافظ (٥) بإجراء دراسة بهذه القائمة ذاتها على عينات سعودية .

وحسبت معاملات ثنائها وصدقها ، واستخرجت المتوسطات والاحترافات المعيارية لمفاسي القائمة الفرعين على أربع عينات سعودية . وقد أشارت نتائج هذه الدراسة - بوجه عام - إلى أن قائمة القلق : الحالة والسمة أداة واحدة ومأمولة ، ويوصى باستخدامها في البحوث على العينات السعودية .

وتهدف هذه الدراسة - والتي تعد امتداداً للدراسة التي قام بها المؤلفان (٥) على عينات سعودية - إلى بيان مدى كفاءة قائمة القلق : الحالة والسمة ، في الإسهام في التمييز الإكلينيكي بين مجموعتين من الذهانين والعصابيين السعوديين من الجنين ، وذلك تمهيداً لاستخدام هذه الأداة في البحوث الإكلينيكي في المنعكة العربية السعودية .

المنهج والإجراءات

العينات :

أجريت هذه الدراسة على ١١٥ ذهانياً وعصابياً ، منهم ٧٥ ذهانياً (٥٣ ذكراً ، ٢٢ أنثى) وكلهم من المرضى المقيمين بمستشفى الصحة النفسية بالطائف ، بالإضافة إلى أربعين عصابياً (١٩ ذكراً ، ٢١ أنثى) من المترددين على العيادة الخارجية لكل من مستشفى الصحة النفسية بالطائف ومسوصف عشم العان بمدينة الرياض . وتجدر الإشارة إلى أن مستشفى الصحة النفسية بالطائف هو المستشفى العقل الأول بالمنطقة العربية السعودية للمرضى العقليين ويضم أقساماً داخلية ، ومن ثم يتردد عليه المرضى من مختلف مناطق المملكة . أما مسوصف « عشم العان » فيتردد عليه العصائير من مدينة الرياض وما حولها . ويبين جدول (١) أحجام وأعمار هذه العينات .

جدول (١) : حجم العينات (ن) والمتوسط (م) والانحراف المعياري (ع) للأعمار

| العينة | ن | العمر | |
|--------------|----|-------|-------|
| | | م | ع |
| ذهانيون ذكور | ٥٣ | ٣٣ر٠٣ | ١١ر١٢ |
| ذهانيات | ٢٢ | ٣٥ر١٣ | ١٤ر٩٥ |
| عصابيون ذكور | ١٩ | ٢٨ر٤٢ | ١٢ر٩٣ |
| عصابيات | ٢١ | ٢٣ر٠٠ | ٠٧ر٥٥ |

، نلاحظ من الجدول (١) أن أقل الأعمار للعصابيات وأكبرها للذهانيات ، وأن متوسط أعمار العصائير من الجنسين أقل من نظرائهم الذهانيين ، كما أن

أقل نشئت للأعمار (كما يقاس بالانحراف المعياري) لدى عينة العصائيات ، وأعلى تشئت للأعمار لدى عينة الذهائيات ، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الذهائين في هذه الدراسة مرضى مقيمين إقامة داخلية Inpatients ، أما العصائيون فمرضى مترددون على العيادة الخارجية Outpatients .

المقياس :

طبقت ترجمة عبد الخالق (٣) لقائمة القلق : الحالة والسمة من وضع « ميلبرجر » وزملائه (٩) ، وهي الطبعة المنقحة الصادرة عام ١٩٨٣م (الصورة ي) . وتضم هذه القائمة مقياس الحالة ومقياس السمة ، ويشتمل كل مقياس فرعي على عشرين بنداً ، يجاب عن كل منها بالاختيار بين أربعة بدائل . وقد ظهر أن لهذه القائمة ثباتاً وصدقاً مرتفعين على عينات أمريكية وأوربية (٩) وعلى عينات عربية : مصرية (٣) وسعودية (٥) . وقد تم تطبيق القائمة في موقف قياس فردى ، سواء أكان ذلك في مستشفى الصحة النفسية بالطائف أم مستوصف عشم العان بالرياض .

التحليل الإحصائي :

تم استخراج المتوسطات والانحرافات المعيارية للدرجات الخام ، كما استخدم اختبار «ت» لبيان دلالة الفروق بين المتوسطات ، وحسب معامل ارتباط « بيرسون » بين الدرجات الخام .

النتائج ومناقشتها

يبين جدول (٢) معاملات ارتباط بيرسون بين المقياسين الفرعيين :

حالة القلق وسمة القلق لدى الذهائين والعصائين من الجنسين .

جدول (٢) : معاملات الارتباط (r) بين حالة القلق وسمة القلق
لدى أربع عينات سعودية

| العينة | ذكور | | إناث | |
|---------|------|--------|------|--------|
| | ن | ر | ن | ر |
| ذهانيون | ٥٣ | ٠.٧٧١* | ٢٢ | ٠.٤٨٣* |
| عصايون | ١٩ | ٠.٣٢٩ | ٢١ | ٠.٤٧٥* |

* جوهري عند مستوى ٠.٥ .
** جوهري عند مستوى ٠.١ .

بالنظر إلى جدول (٢) نلاحظ أن ثلاثة من معاملات الارتباط الأربعة جوهرية ، مما يشير إلى نوع من الاتساق بين إجابتيه مقياسا الحالة والسمة ، ولا نعزو فهما مقياسان للقلق . ويتفق ذلك مع الدراسات السابقة على عينات سوية أمريكية (٩) ومصرية (٣) وسعودية (٥) . وبالمقارنة إلى نتائج الدراسة السعودية على عينات سعودية سوية (٥) نلاحظ أن معاملات الارتباط بين المقياسين الفرعيين أعلى من نظيرتها المستمدة من العينات غير السوية في هذه الدراسة ، وهذا أمر متوقع ، إذ يلاحظ عادة انخفاض الارتباطات في العينات غير السوية ، ويرجع ذلك إلى عوامل عدة ، قد يكون أبرزها عدم الاتساق في استجابات العينات غير السوية من مقياس إلى آخر . وعلى كل حال تشير هذه النتيجة على العينات السعودية غير السوية إلى أن استخدام القائمة في هذا السياق أمر مسوغ ومقبول إلى حد كبير .

ومن ناحية أخرى قمت بحساب المتوسطات والانحرافات المعيارية لمقاييس
القلق : الحالة والسمة ، وبين الجدول (٣) نتيجة هذا التحليل .

جدول (٣) : المتوسطات (م) والانحرافات المعيارية (ع) لكل من
حالة وسمة القلق لدى العينات السعودية المرضية

| المجموعات | ن | حالة القلق | | سمة القلق | |
|--------------|----|------------|-------|-----------|-------|
| | | م | ع | م | ع |
| ذهانيون ذكور | ٥٢ | ٤٠٫٢٨ | ١١٫٤٥ | ٤١٫٢٠ | ١٠٫٥١ |
| ذهانيات | ٢٢ | ٤٥٫٨٦ | ٠٫٧٣٨ | ٤٩٫٩٥ | ١٠٫٣٣ |
| عصابيون ذكور | ١٩ | ٤٦٫٠٥ | ١١٫٥٣ | ٤٨٫٦٣ | ١٣٫٣١ |
| عصابيات | ٢١ | ٥١٫٠٠ | ١٤٫٠١ | ٥٠٫٥٢ | ١٤٫٧٨ |

وبلاحظ من جدول (٣) أن هناك فروقا جنسية في المقاييس الفرعية
لقلق ، إذ يرتفع درجات نعصابيات والذهانيات بالنسبة إلى درجات نظرائهما
الذكور ، بينما وصل متوسط درجات الذهانيات في مقياس حالة القلق إلى
٤٥٫٨٦ كان نظيره لدى الذهانيين الذكور ٤٠٫٢٨ . وفي سمة القلق حصلت
الذهانيات على متوسط درجات قدره ٤٩٫٩٥ ، على حين كان متوسط
درجات الذهانيين الذكور ٤١٫٢٠ . ومن ناحية أخرى حصلت العصابيات
على متوسط درجات قدره ٥١٫٠٠ مقابل ٤٦٫٠٥ للعصابيين الذكور في حالة
القلق . ويبلغ متوسط درجات العصابيات ٥٠٫٥٢ في سمة القلق مقابل
٤٨٫٦٣ للعصابيين الذكور . وتؤكد دراسات سابقة عديدة (انظر : ١ ،
٢) هذه الفروق الجنسية في القلق والعصابية كما يقاسها بالاستخبارات ، إذ ظهر
أن للإناث درجات أعلى من الذكور المقابلين لهم .

كما يتضح من جدول (٣) أن متوسط درجات العصابيين - على اختلاف
الجنس - أعلى من درجات الذهانيين المقابلين لهم في مقياس الحالة والسمة ،

فينا وصل متوسط درجات الذهانين الذكور إلى ٤٠٫٢٨ بلغ متوسط درجات العصابين الذكور ٤٦٫٠٥ في حالة القلق . وعلى حين بلغ متوسط درجات الذهانين الذكور في سمة القلق ٤١٫٢٠ وصل نظيره للعصابين الذكور ٤٨٫٦٢ . وفي مقابل متوسط درجات قدره ٤٥٫٨٦ للذهانيات نجد ٥١٫٠٠ للعصبيات في حالة القلق . وبما وصل متوسط درجات الذهانيات إلى ٤٩٫٥٩ في سمة القلق بلغ متوسط درجات العصبيات ٥٠٫٥٢ . وتشير هذه النتائج إلى ارتفاع متوسط درجات العصابين - من الجنسين - بالمقارنة إلى الذهانين . ولا غرو فالمقياس الذي أُجريت به هذه الدراسة مقياس للقلق ، ويتوقع أن يحصل العصبيون على درجات مرتفعة على مثل هذه المقاييس بالنسبة إلى الذهانين (انظر : ٢) .

جدول (٤) : الفروق بين متوسطات المجموعات المرضية ودرجات الخبرة (د. ح .)

| لمسة «ت» | | د. ح. | المجموعات |
|-----------|------------|-------|-------------------|
| سمة القلق | حالة القلق | | |
| **٣٫٢٥ | **٢٫٠٨ | ٧٣ | ذهانيون / ذهانيات |
| *٢٫٣٢ | ١٫٨٥ | ٧٠ | ذهانيون / عصبيون |
| *٣٫٠٠ | ١٫٧١ | ٧٢ | ذهانيون / عصبيات |
| ٠٫١٤ | ١٫٤٧ | ٤١ | ذهانيات / عصبيات |
| ٠٫٤١ | ١٫١٨ | ٣٨ | عصبيون / عصبيات |
| ٠٫٣٨ | ٠٫٠٦ | ٣٩ | ذهانيات / عصبيون |

* جوهرية عند مستوى ٠٫٠٥ .
** جوهرية عند مستوى ٠٫٠١ .

وبالنظر إلى جدول (٤) نلاحظ أن هناك مقارنة جوهرية واحدة فقط في مقياس حالة القلق ، وهي بين الذهانين من الجنسين (متوسط درجات

انذهائيات أعلى) . أما بقية المقارنات في مقياس حالة القلق فهي غير جوهرية . وعلى الرغم من أن هذا المقياس الفرعي يمكن أن يكون عرضة لتغيرات وقتية كثيرة ، كما أن التغيرات التي يمكن أن تؤثر في الدرجة عليه قد تكون عديدة ، فإن كل الفروق (ما عدا واحداً) بين المجموعات المرضية من الحسنيين غير جوهرية ، إشارة إلى انصاف غام في استجابة الجسراء - المرضية لمقياس حالة القلق ، بما يعنى - بوجه عام - أن الانعصاب Stress الذى تسبب فيه موقف القياس كان واحداً تقريباً لدى معظم المجموعات .

أما مقياس سمة القلق (انظر جدول ٤) فنلاحظ أن هناك ثلاث مقارنات جوهرية ، وثلاث غير جوهرية . والمقارنات الجوهرية هي بين الذهانين والذهائيات (الأخمات أعلى) ، وبين الذهانين والعصائين وكلاهما من الذكور (الأحمرون أعلى) وبين الذهانين الذكور والعصائيات (الأخمات أعلى) .

النتيجة العامة لهذا التحليل إذن هي ظهور عدد من المقارنات الجوهرية بين مختلف المجموعات المرضية الأربع وبخاصة في مقياس سمة القلق ، مما قد يحدو بنا إلى لقول بأن هذه القائمة يمكن أن نستخدم للإسهام في التمييز الإكلينيكي . وعلى الرغم من الصدق الجزئى لهذه النتيجة فإن التوصية بذلك أمر ليس له ما يسوغه ، ذلك أن التداخل بين توزيع درجات المجموعات بعد كبيراً ، ويترتب على هذا التداخل عدم إمكان إقامة التمييز بين المجموعات - على أساس هذه القائمة - بدرجة مرتفعة من الدقة .

وهناك - في مجال الدراسة الإكلينيكية - عدد من أساليب المقارنة الهادفة إلى التمييز بين المجموعات ، من بين هذه الأساليب معيار تحديد مدى الدرجات التخطية في كل مجموعة إكلينيكية ، بمعلومية المتوسط والانحراف المعياري لهذه المجموعة حيث :

$$ق = م \pm ١ ع$$

أى أن مدى (ق) الدرجات التخطية لمجموعة إكلينيكية معينة عبارة عن : متوسط (م) درجات هذه المجموعة ، مطروحاً منه انحراف معيارى (ع)

واحد ، ومضافاً إليه الحرف معيارى واحد . وإذا ما طبقنا هذا المعيار على
سبيل المثال - على مجموعتين في مقياس صمة القلق نجد ما يلي .

مدى درجات الذهانين المذكور = من ٣١ إلى ٥١ .

مدى درجات العصائين المذكور = من ٣٥ إلى ٦٢ .

ومن الجلى أن نتيجة تطبيق هذا المعيار على مجموعتين من مجموعات هذه
الدراسة ترتب عليه تداخل في الدرجات ، مما يشج عنه - بالضرورة - خطأ
في التصنيف Misclassification بالنسبة لكل من الأفراد والفئات التشخيصية .

ومن ناحية أخرى تكشف المقارنة بين العينات السعودية التي يفترض أنها
سوية (انظر : ٥) ونتائج هذه الدراسة على العينات السعودية غير السوية عن
عدد من الفروق الجوهرية بين النوعين من العينات . وأبرز هذه الفروق ما
يلي :

أولاً : مقياس حالة القلق : ارتفاع متوسط درجات جميع العينات غير
السوية عن متوسط جميع العينات السوية .

ثانياً : مقياس صمة القلق : ارتفاع متوسط درجات المذهانيات والعصائين
والعصائيات بالمقارنة إلى متوسط درجات العينات السوية جميعاً .

نخلص من هذه الدراسة إذن إلى أن قائمة القلق : الحالة والصمة يمكن أن
تعد واعدة ومأمولة عندما تستخدم في البحوث الإكلينيكية ، أو للتمييز بين
الأسياء وغير الأسياء ، ولكن لا يوصى بها لتكون أداة مهمة في التمييز
الإكلينيكي العملي بين المجموعات المرضية ، فالتداخل كبير بين المجموعات ،
ونسبة الخطأ في التصنيف لن تكون صغيرة . من أجل ذلك نقترح استخدام
هذه القائمة في البحوث الإكلينيكية ، أو لتحديد مستوى القلق لدى غير
الأسياء بالمقارنة إلى الأسياء ، مع التوصية بإجراء بحوث عليها تهدف إلى
تقوية بنودها .

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان مدى إسهام قائمة القلق : الحالة والسمة من وضع « ميليرجر » وزملائه في التمييز الإكلينيكي بين أربع مجموعات سعودية من الذهانين (٥٣ ذكراً ، ٢٢ أنثى) والعصابين (١٩ ذكراً ، ٢١ أنثى) . وطبقت الصورة العريية من قائمة القلق تطبيقاً فردياً . وظهرت ارتباطات موجبة جوهرية بين مقياسي الحالة والسمة لدى ثلاث من المجموعات الأربع ، إشارة إلى تساق استجابة معظم المجموعات المستخدمة في الاستجابة لمقياس القائمة . كما أسفرت الدراسة عن فروق جنسية في الاستجابة للقائمة : درجات الإناث أعلى من الذكور . وبرزت كذلك فروق جوهرية بين الذهانين والذهانيات في مقياس حالة القلق (متوسط درجات الذهانيات أعلى) ، أما في سمة القلق فكانت الفروق الجوهرية بين المجموعتين الأخيرتين ، وبين الذهانين والعصابين الذكور ، وبين الذهانين والعصابات ، أما بقية المقارنات فغير جوهرية . وعلى الرغم من ظهور عدد من المقارنات الجوهريية بين العينات في هذه الدراسة ، وبينها وبين الأسوياء في دراسة سعودية سابقة ، فيه لا يوصى باستخدام هذه القائمة للإسهام في التمييز الإكلينيكي بين الفئات المنضوية ، ومع ذلك نرشح هذه الأداة للبحوث الإكلينيكية .

ABSTRACT

The aim of the present research was to test out the efficiency of Spielberger et al. State-Trait Anxiety Inventory (STAI) in clinical discrimination between 4 Saudi groups of psychotics (53 male, 22 female) and neurotics (19 male, 21 female). The Arabic version of the STAI was administered in an individual testing situation. Correlation coefficients between the state and trait anxiety were statistically significant in 3 out of the 4 groups, which indicates response consistency of the 2 subscales of the inventory. Results revealed sexual differences on the STAI, i.e. mean score of females excelled males. On the other hand, there were significant differences between male and female psychotics in state anxiety scale (mean scores of females was superior). Regarding anxiety state scale, significant differences emerged between the following groups : male and female psychotics (females were more anxious), male neurotics and psychotics (the former gained the higher mean score), and male psychotics and female neurotics (the last mentioned group had the highest mean score). Therefore, a number of significant comparison emerged between the 4 abnormal groups, and between them and normal Saudi samples in a previous research which had been carried out by the present authors. However, the present tool is not recommended as an aid to clinical discrimination between psychotics and neurotics. It is concluded that the STAI can be used as a research tool in the Saudi context.



المراجع

- ١ - أحمد عبد الخالق (١٩٨٠ م) ،
استخبارات الشخصية : مقدمة نظرية ومعايير مصرية ،
الإسكندرية : دار المعارف .
- ٢ - أحمد عبد الخالق (١٩٨٣ م) ،
الأبعاد الأساسية للشخصية ،
الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- ٣ - أحمد عبد الخالق (إعداد) (١٩٨٤ م) ،
كرامة تعليمات قائمة القلق : الحالة والسمة ، سيلبيرجر وزملاؤه .
الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- ٤ - أحمد عبد الخالق (١٩٨٥ م) ،
الفروق بين الأسوياء والعصابيين والذهانيين في الأثر اللاحق لبريئة
أرثيدين ،
(تحت الطبع) .
- ٥ - أحمد عبد الخالق ، أحمد خيرى حافظ (١٩٨٥ م) ،
حالة القلق وممة القلق لدى عينات من المملكة العربية السعودية ،
الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- ٦ - آمال صادق (١٩٧٧ م) .
تقنين البروفيل الشخصى لجوردن على البيئة السعودية ، في : فؤاد أبو
حطب (ع) ، بحوث في تقنين الاختبارات النفسية ،
القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، المجلد الأول ، ص ص ٨٥ - ١٢٠ .

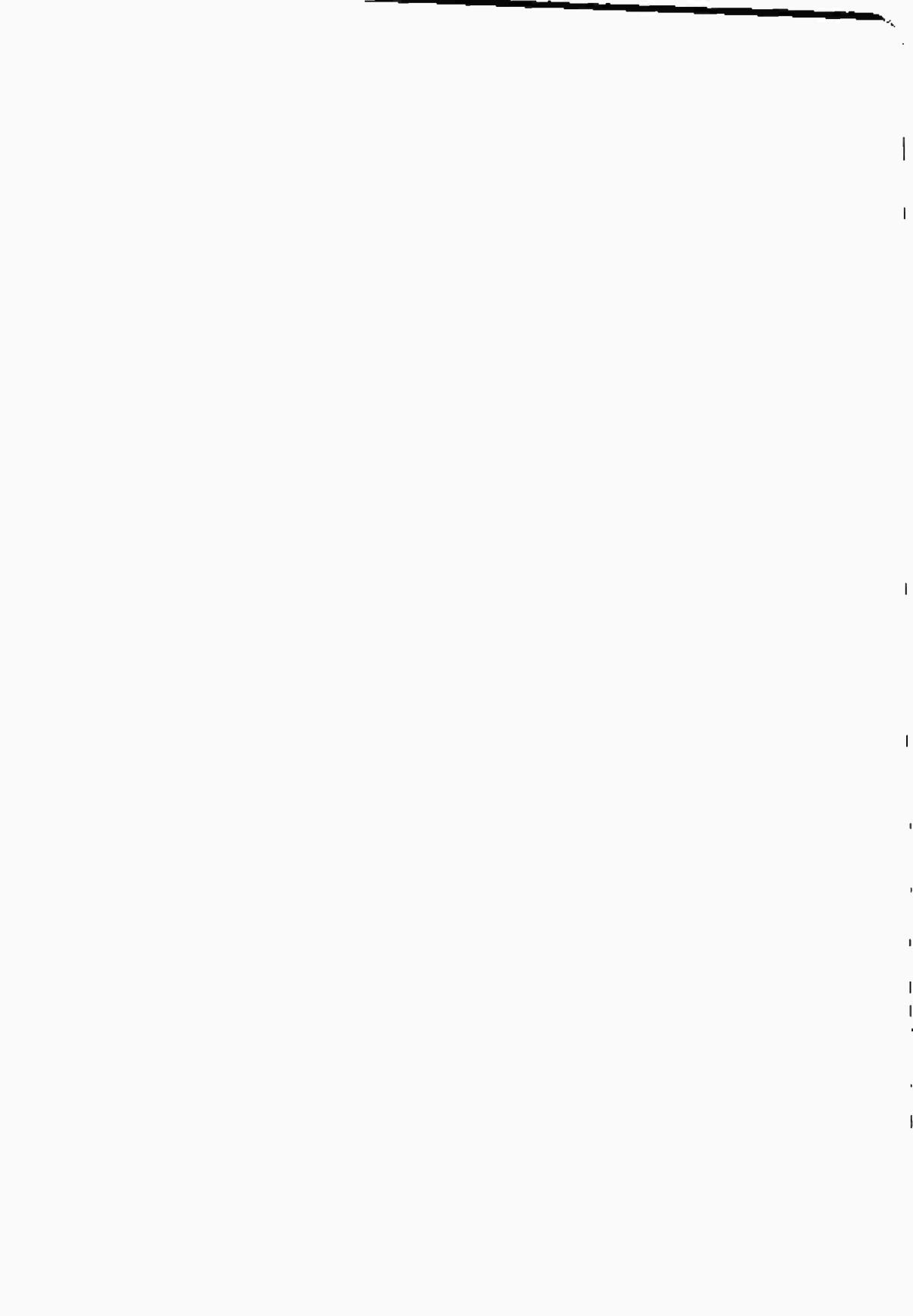
٧ - آمان صادق (١٩٧٧ م) ،
تقنين قائمة الشخصية لجوردن على البيئة السمردية ، و : فؤاد أبو
حطب (محرر) بحوث في تقنين الاختبارات النفسية ،
القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، المجلد الأول ، ص ص ١٢١
١٤٧ .

٨ - هانز أرنسك (١٩٨٥ م) ،
التصنيف ومشكلة التشخيص في ميدان سيكولوجية الشواذ ، في :
مصطفى سويف (محرر) مرجع في علم النفس الإكلينيكي ،
القاهرة : دار المعارف .

٩ - Spielberg, C.D., Gorsuch, R.L., Lushene, R., Vagg, P.R. and
Jacobs, G.A. (1983).

Manual for the State - Trait Anxiety Inventory (form Y), Palo Alto:
Consulting Psychologist Press.





C O N T E N T S

Dr.M.A.Bayyumi

The Sociology of World Religions 7

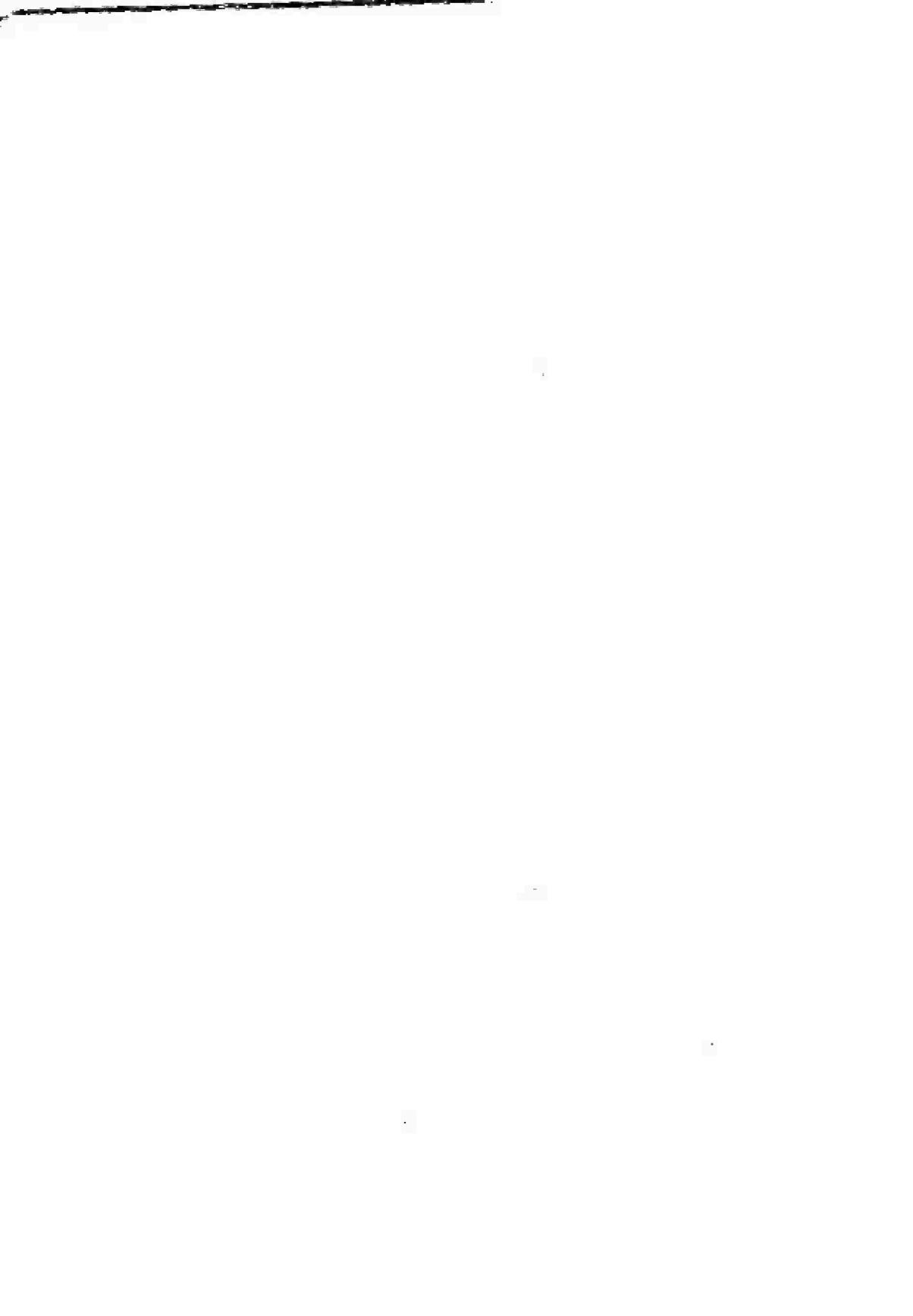
Dr.F.A.Raddy

Structure-Control of Some Geomorphic
Properties of Drainage Network 45

Agriculture and Water Resources in Saudi
A r a b i a

M.R.Mohammad

Al-Harra'at and Like Phenomena in Saudi
Arabia and Yemen Territories



**'The Sociology of World Religions':
Part One
The Similarities and Contrasts Between the Religions
of the East.*
By
Dr. Muhammed Ahmed Bayyumi
Sociology Dept., Alexandria University**

* It is a series of three parts. Part Two on the Divine person and as a solution in Buddhism and Christianity. Part Three on the prophet and the christ.

1 Methodological Consideration

This paper is concerned with the religions of the East, more precisely it is concerned with the similarities and contrasts between Zoroastrianism, Judaism, Christianity, and Islam.

There can be no doubt that this subject is a very important and one of the most difficult subjects in the fields of the sociology and comparative religion today. Its importance lies in the fact that if we can put our fingers on these points of similarities and contrasts between these religions, then we will come to the conclusion that, each religion in the geographical area had adopted many religious and cultural doctrines from the preceding religions. This means that the classical theological theories of the origin of these religions are not sufficient to explain these similarities and contrasts; and these theological theories cannot explain the appearance or the rise of these religions. Then, how can we explain the existence of these similarities and these contrasts between these religions? And from where each of them came from? And Why? It is true that these religions, in spite of its contrast in some doctrines and its similarity in other doctrines, came from one God? Or can we accept that this similarity came from the cultural contact between the peoples of this area; and on the other hand, we can explain this contrast by saying that it is the new elements which gave special characteristics to the new religion; and which reflected the view of the founder of this religion towards the old religions and his attitudes towards the new problems of his days. In fact, there is no one answer for this problem, that would be universally accepted as correct.

On the other hand, its difficulty lies in the fact that all the founders of these religions claimed that God revealed these religions to them. Thus, unless we have enough documents, it is clear evidence that it is impossible for any scholar to give a final statement about the fact that the founders of these religions influenced by the old religions and cultures. Here I want to mention that many theological attempts had been done to speak about the origin of these religions, but most of these attempts aimed to defend their religions and to refute the other religions and did not give any importance for the similarities and the contrasts between these religions.

However, to escape from all these problems, I will not make comparison between the Avesta and the Old and New Testaments and the Qur'an, but I will deal with religion as a culture and not as a Sacred Book and a Prophet.

It seems to me that we cannot speak about similarities and contrasts unless we mention the religious and cultural contacts between these religions.

2 The Religious and Cultural Contacts

As a matter of fact that Zoroastrianism was not the first religion of the Near East. But the fact is that, the Near East exhibited a complex fabric of religions and cultures. It was an area which give rise to the ancient Egyptian religion and the ancient Babylonian religion. In fact, these old religions had left a great direct imprint on Zoroastrianism. Furthermore, as L. H. Mills mentioned that for the historical connection we should notice the influence of the Buddhist scriptures and the theologies of Greek and Rome on this ancient Persian religions¹. Thus, in persia, the Iranian, Greek, and Indian religions lived side by side and their gods were represented².

It was till 569 when Zoroaster appeared on the scene to reform and reshape the Iranian fold religion. Before him, the persians had worshipped a variety of ancient Iranian gods and practiced the "Maoma cult".

Zoroaster's creative act was the establishment of monotheism in ancient Persia by replacing these cults by worship of Ahura Mazda, the 'wise lord'.

On these three pillars, pure thought, pure words, and pure deeds, Zoroaster reared the stately edifice of his ethical code. The creed of Zoroastrianism therefore, described as "the Religion of the good Life."³ Within a few centuries, Zoroastrianism was the official religion of the Persian Empire, which had developed a flourishing culture that embraced the whole area from Turfan to Abyssinia, from the Indus to the Aegean Sea; and so remained until it was overthrown by the victory of the Arabs over the Sassanid Kingdom in 642⁴.

However, through the conquest of Alexander and through the Roman army, which at that period occupied a large part of the Near East, Zoroastrian ideas spread through all the Near East⁵. Also after the Exile of the Jewish people and later through contacts with «Jews of the Diaspora» many dualities of Zoroastrianism influenced Jewish thought⁶. As we shall see later, certain beliefs about last things, Salvation Satan, the angels and the Messianic Deliverer stem from Zoroastrianism.

Some writers used to deny all connection of jews with Persia – especially the religious influence and they believed that “the Creed of the Stage Iran was borrowed from jewish faith”. Furthermore, they went as far as to suggest that the Zoroastrianism was a copy of judaism and Zoroaster was as to his origin a jew⁷.

In fact this theory had been denied by many scholars. According to Max Muller that when the jews, who were carried away, as captives to Babylon, were in constant contact with Iranians. They borrowed from the Zoroastrian faith various doctrines, such as the belief in the immortality of the soul, the resurrection of the body and future reward and punishment. These doctrines were entirely absent from the oldest phase of religion among the jews⁸. Moreover, some scholars emphasized that “Psalms and prophets, the Book of Job, and the New Testament, all written after the jews had become acquainted with Persian traditions”⁹. This view went far and considered that the book of Job has some appearance of being a translation, or adaptation from a Persian, or Assyrian text¹⁰.

L. H. Mills Also draws attention in his article on ‘Zoroaster and Bible’ to how extent that the religion of the mazad gave point and body to many loose conceptions among the jewish religious teachers, and introduced many ideas, which were entirely new especially the doctrine that “virtue is chiefly its own reward and vice its own punishment”¹¹. Also Mills asserted that the Avesta in no sense depends upon the jewish Greeks. But on the contrary, it was Philo who was in debted to it¹². As we shall see later, that Philo has great influence upon Christianity, especially on the doctrine of “logos”, and some of the Muslim thinkers.

Christianity had in common with the cult of Zoroastrianism and judaism the idea that man could “get right with God”¹³. There was a Saviour God who had become a man to teach mankind a way of life, who had died who had been resurrected, and through whom those who had faith would save.

It had been said that “Christ built up his teaching upon the foundation of judaism and it was as a sect of judaism that Christianity first emerged”¹⁴. However, this reflect to us the influence of Christianity by judaism, which by its turn influenced by Zoroastrianism.

From Judaism Christianity adopted the idea of the fatherhood of God and the brotherhood of man, and the idea of later Saviours who would help mankind. From Greek came many philosophical ideas "the word;" the "logos," the "Godhead". In fact, the Hellenistic influence on Judaism reached its height at Alexandria in the writings of the Jewish philosophers, Philo who tried to synthesize Greek and Jewish thought by identifying the wisdom of Jewish theology with the "logos" of Greek philosophy¹⁵. As a matter of fact, Philo's doctrine of "logos" is combination of the Platonic ideas and Stoic universal causality. As a fact, Philo's "logos" had direct influence upon the early Christian Father. But the question whether St. Paul and the author of the Fourth Gospel had read Philo, this question has not been decided¹⁶. Also Persian religions left their marks on Christianity through Mithraism,¹⁷ and Gnosticism,¹⁸ especially in the problem of salvation and the problem of the source of evil in our World.

The third and latest comer to the chain of the Near East religions is Islam. The prophet Muhammad made it clear that the religion he preached was the same religion God willed for Abraham, Moses, and Jesus. However, it has been said that Muhammad based his religion on the biblical revelation and tradition. From Judaism, it has been said, the prophet took the monotheistic concept of God. Jewish influence in Yaman and Medina had been considerable since ancient times. During that period the prophet acquired a number of ritualistic concepts from them; and much narrative material from the Bible had come to Muhammad by oral tradition¹⁹. The same thing with Christianity, especially the Nestorians sets, with which Muhammad became acquainted on caravan journeys²⁰. As we mentioned that Mohammed answered these claims by emphasizing that he did not bring a new religion but it is the religion of Abraham, Moses, and Jesus, and he considered himself to be perfecting the work of these prophets.

However, for our subject here, I will leave the problem of origin and will give importance to the religious cultural contacts. Before the advent of Islam, some places in the Near East were noted for Hellenic culture, such as "Jundi-shapur" in Persia, "Harran" in Mesopotamia, and Alexandria in Egypt. It was from these places that Hellenic culture passed to the Eastern people²¹. After the rise of Islam and its spread throughout the

Near East, Islam as a religion and culture faced not only the other religions but also the Hellenistic influences. Between Judaism and Islam, in that period, there were many polemical problems. Islam emphasized that the old revealed religions had been superseded by later revelations. Islamic polemic claimed that the text of the Bible had been falsified at later time.

The Muslim theologians advanced the argument that the Talmudic idea of God was anthropomorphic. On the other hand, Jewish theology had to refute the claim that the revelation given to Israel had been abrogated by Christianity and Islam. Moreover, they considered Muhammad a false prophet²². Islamic theology sought to bring proofs for the divine origin of Islam and Jewish theologians replied in kind.

In the day of Abbasid Caliphs, Islam had contacted with Christianity and Christian teachers were welcomed at the Muslim courts at Bagdad.

During this contact, the problem of the Qur'an as revelation of the word of God is eternal or created, was arose by the influence of the Christian doctrine of "logos". The discussions between Muslims and Christians were influenced by the Philo's doctrine of the "logos" and the Neoplatonic theory of "emanation". As opposed to the Christian Trinity, the Muslim theologians were consistent defenders of the doctrine of the Divine Unity.

The same thing had happened after the conquest of the Sassanid empire by the Arabs and the establishment of Islam in Persia; the Persian religion and its dualistic conception and the Gnostic systems continued a vigorous struggle with Islam²³. These religions, although Muslims treated them like Jews and Christians, "the people to whom a Book has been given," survived only in conventicles, secret, underground gatherings. And naturally these secret religions survived in a subtle fashion in the Sufi and Shi'ite literatures, especially their doctrines that God is a "Light" and the Messiah "al Mahdi" and his Second Advent. Thus, there is no doubt that Islam contacted with Zoroastrianism, Judaism, and Christianity, and of course, the exchange of ideas had been done during this contacts.

Thus, it is clear that in this geographical area, many religious and cultural contacts had happened, and naturally, the exchange of ideas had happened in two ways. Directly by the contact during the exile or invasions or the theological discussions. Indirectly by Greek philosophy, Gnostic systems, the secret movements, the acceptance of the new faith by those movements only to destroy it. Finally, I like to end this point by this

quotation "Through Christianity, Israel had stepped outside its own boundaries and had arrived among the Greeks. In the same way one might describe Islam as the form which Judaism took when, stepping outside itself once more, it broke into the Arab world"²⁵. And we already mentioned that through Judaism, Zoroastrianism had stepped outside its own boundaries and had arrived among Christians and Muslims.

3. Similarities and contrasts between the religions of the east :

We can say that, although Zoroastrianism and the Semitic religions, Judaism, Christianity and Islam, have many features in common, they differed fundamentally in some doctrines. Let us then see the similarities and contrasts between those religions regarding these conceptions :

A. The Conception of God

No doubt that, fundamental to any religion, is its conception of the divine. For the peoples and religions of the Near East, we can say that, all the aspects of life : religious, social, cultural, are rooted in their understanding or their conception of God.

Generally speaking, the religions of the Near East teach that there is one God who is to be thought of as personal, and whose laws men must obey.

Although the religions of the Near East have many features in common, but in their conception of its nature they differ much. Let us then see what are the similarities and contrasts in their conception of the divine.

In fact, the religion which Zoroaster taught was a unique ethical monotheism. As we mentioned that before Zoroaster, the Persians had worshiped a variety of ancient Iranian gods. Zoroaster replaced these cults by worship of Ahura Mazda. From the ancient religion, Zoroaster took the name of Mazda, which means "the wise" or the "full of light;" and to that name he prefixed the adjective Ahura, which means Lord, making the combined word, Ahura Mazda, the Wise Lord, the Creator-Governor of the Universe¹.

Ahura Mazda is, to Zoroaster, supreme, and therefore, He is one. "There can be but one greatest of the gods who made the others, with this earth and yon Heaven, who made man, and amenity for him"². But according to Mills, He is a moral God. His supremacy is limited by His own

character for He is not logically responsible for the existence of evil. In other words, there were at the beginning of the world two spirits, the good spirit Ohrmazd and the spirit of evil or Ahriman. "Between them the wise chose the good, not so the fools. And when their spirits met, they established in the beginning life and the absence of life that the end the evil should meet with the worst existence, but the just with the Best Mind³".

Thus, we can say that this kind of dualist system is spiritual or ethical, and not a metaphysical one; that is to say, it is a dualism of two rival spiritual and moral forces, good and evil, light or darkness, Ohrmazd and Ahriman; but the classic problem of spirit and matter does not essentially enter into the question at all⁴.

However, Zoroaster himself solved this problem by making the supreme Good God at last completely victorious, all evil being eliminated in the final restoration. This is what Zoroaster meant by Supreme God. "He was one in adoration as well as in definition, supreme because His 'goodness' makes Him great, His unity being that of His truth, Benevolence, Authority, and sacred Energy⁵".

Also, Zoroaster taught that by the will of the one Supreme Lord, Mazda, all things come into being. "Who is by generation the Father of Right at the first? Who determined the path of Sun and stars? Who is it by whom the moon waxes and wanes again? Who upheld the earth beneath and the firmament from falling? Who made the water and the plants? Who yoked swiftness to winds and clouds? ... What artist made light and darkness, sleep and waking? Who made morning, noon and night, that call the understanding man to his duty? ... I strive to recognize by these things thee, O Mazda, creator of all things through the holy spirit⁶". In fact we will find the same conception of God in the religions of the Near East.

Zoroaster had spoken of the Attributes of God in a half personal way⁷. Mazda has about him six angelic beings who can be regarded as his various aspects and functions. These are "Vohu Manah, Good Mind; Asha Vahisra, Righteousness or Truth; Khshatra Vairy, the Realm of Divine will; Spenta Armaita, Humility or Piety; Haruvatat, perfection; Amerteta, Immortality. Also, Ahura Mazda was supported by Mitra, light, and other gods, but he is only one of very many⁸. Ahura Mazda also has holy names; He defined Himself in twenty different names, such as,

"I am"; strong "one"; "perfect Holiness;" "Understanding;" "Knowledge;" "Most Beneficent;" "All-Seeing;"⁸ and so on.

It may be said that Judaism can be defined as the discovery of one God, who act in nature and the social and historical process. But as a matter of fact, "the early Hebrews were similar in every respect to their neighbors. They believed in the same supernatural beings, in holy trees, holy wells, holy stones, and other fetishes¹⁰. Also, the Old Testament contains references to gods other than Yahweh, or Jahveh¹¹. But in fact, all these do not upset the familiar claim that the basic contribution of Judaism to the religious thought of ancient Near East was monotheism. Although the text shows that there are other gods than Yahweh, yet the texts show that these other gods differed from Yahweh in two respects: First they owed their origin to him. Second, unlike Yahweh, they were mortal. These differences are sufficient to place Yahweh in a category that differs in kind from that of other gods¹².

Thus, Yahweh or 'El Eyon, or Shaddai, Adon, Ba 'al, Melek, Elohim, came to be regarded not only as national god, but also as the one and only God of the Universe. Yahweh is a God of righteousness whose loving kindness is from everlasting to everlasting and whose tender mercies are over all his works¹³. In fact, this belief that yahweh's actions are guided by the will to bring righteousness, is very marked in Jewish conception of God. As we shall explain later, Yahweh is the guide of history. The tradition speaks frequently of Him as the God of the Patriarchs, of the Exodus, and of Sinai; that is of the past; or in terms of His Kingdom to come, of the future, in sum, as the God of the cosmic and the human adventure¹⁴. It is clear here, that there is a nationalistic tendency of which could connect with Yahweh only the idea of the expectation of salvation for His chosen people¹⁵.

Besides from this spiritual conception of God, we can also say that the anthropomorphism is very clear in the Old Testament. The early Jews imagined the ultimate reality as a person "walking in the Garden of Eden... He comes to Abraham in the shape of man and speaks to him ... we also hear of a direct meeting between God and Moses. God is represented as having eyes, ears, hands, feet. Also the fact that man was created in God's image presupposes that to some extent, God is thought of as being human in shape¹⁶.

According to L.H. Mills, all these ideas which we can find in the Old Testament about Yahweh, such as : He is surrounded by spirits, angels and among them there is also the spirit of levil, He is one; He is transcendent, He is a jealous God; He is a Holy, He is a living and an eternal Being; He is the Creator, and He is the Saviour, are the same attributes of Ahura Mazda. Furthermore, he claimed that Yahweh Elohim is another name for Ahura Mazda.

It has been said that Christian faith is faith in Christ; "it is faith in God as known in Christ"¹⁸. In the words of St. Paul "God was known to him the Father of our Lord Jesus Christ... God was in Christ reconciling the world unto himself... God commendeth his love towards us, while we were yet sinners, Christ died for us"¹⁹. Also the conception of God, has a relation with the Christian idea of love, of the Cross, and Christ. "The glory of God had been seen in the face of Jesus Christ. God is a Jesus was. The holy love of the Cross is the holy love of God"²⁰. In St. John's writings, we find the same conception of God. "No man has seen God at any time. Yet God may now be known. The only-begotten Son, has shown us what He is, we know God's glory in the glory of the Son... because of the same, we can be sure that God is love"²¹. Briefly, the writers of the New Testament Believed that in Christ they knew God to be a God of love and Grace; it was through the Son that they knew the Father. Christ is the image, the portrait of the invisible God. To see Him is to see the Father"²².

In fact, we can say, we can not find in Christianity a conception of God, but what we can find is a faith, in other words, God in Christianity is not only a person who has given to men commands, but the conception of God is the faith that He has revealed Himself in Jesus Christ, and in Him we may know the character of God.

However, during the first three centuries, Christian thought was influenced by philosophy of Philo. According to him, God made the world as an expression of his goodness to His creation, but between God and the world, the uniting links are a group of divine powers. The highest of these divine power is the "logos"²³. To him, the "logos" was the divine mediator of creation and revelation. Philo considered the "logos" in his relation to God's first of all Wisdom²⁴. God through the logos created the ideal man of whom actual man is a poor copy"²⁵. The "logos" stands

between God and man partaking of both natures. Finally, the "logos", according to Philo, "is the Mediator, the Heavenly Man who represents in The eyes the eyes of God the whole family upon earth"²⁶.

As a matter of fact, the Philo's "logos" has direct influence upon the church, especially upon St. Paul and St. John. According to St. John, before Christ was born, "there was a pre-existent Christ; an ideal Christ, an idea of Christ"²⁷. This idea of pre-existence of Christ is called by St. Paul, Wisdom or Spirit, or sometimes described in the biography of Jesus by the term Logos or Word. The idea is very clear in the opening verse in the Gospel of St. John. "In the beginning was the Word, and the Word was with God, and the Word was God"²⁸. Thus, like the "logos" of Philo, which became immanent in the created world, the "logos" of John became incarnate in the birth of Christ²⁹.

However, what is important to us here is the doctrine of Trinity. God as the ultimate divine reality exists or can be conceived in three persons : Father, Son and Holy Spirit. In other words, the Christian conception of God is : "One God, the Father-God, the Son-God, the Holy Spirit God"³⁰. God the Father is the supreme Being in the universe, the just judge and the gracious Father of man. God the Son is the redeeming Christ in whom the divine love for man becomes incarnated. God the Holy Spirit is Christ as continuing to live in the heart of each Christian and also within the fellowship of the church.

Mills declares that we can find a similarity between the Christian Trinity and the Trinity of Zoroastrianism³¹. According to Guillemin, Ahura Mazda is "the Father"... "the holy spirit proceeds from the father as a Son. If the Father and this Son are regarded as one, then a trinity emerges, composed of the wise lord, justice, and God Thought"³².

Islam, like the monotheistic religions, stresses on the conception of one God the creator, of resurrection and judgement, and revelation. Although Islam accepted many ideas about the conception of God from Judaism and Christianity, but as we shall see, Islam differed with them in many aspects.

There is no doubt that the cornerstone of Islamic belief is "La Ilah Illa Allah". There is no god but Allah. Allah here means "the God" not a God", for according to Islam, there is only one, The God. In fact, oneness

is the key-note to the conception of the divine Being in Islam. It denies the plurality of Godhead and participation of any being in the affairs of the world. According to Islam, unless a man believes in the oneness of Allah, he cannot be a Muslim. This doctrine of Divine unity is a standing protest against polytheism, dualism, atheism and idolatry and it generally means that God is one in His person (*Zât*), one in His attributes (*Sifât*) and one in his works (*af'âl*)³³.

Also, God in Islam is one and utterly transcendent, he is never been a Father, and no one can be his son. "The Jews call 'U Zair a son of God, and the Christians call Christ the Son of God. That is a saying from their mouth... Yet they were commanded to worship but one God; there is no god but He"³⁴. Against Christianity, Islam rejected the doctrine of Trinity. "They do blaspheme who say God is Christ, the Son of Mary... They do blaspheme who say God is one of three in Trinity : for there is no god except One God"³⁵. Also against Jewish and Christian's anthropomorphism Islam emphasizes that "Say : He is God, The One Only; God the eternal, absolute; He begotten not, nor is He begotten, and there is none like unto Him"³⁶.

Islam also emphasizes on the universal conception of God. According to Islam, all the people of the world are the creation of one Creator, who takes equal care of all and who has created them alike. His is the Rabb ul-*Alamin*, "the lord of all nations", and the creator of all the worlds. He is the lord of all, the lord of the heavens and the earth, the lord of the east and the west and the lord of the Muslims and non Muslims³⁷.

God in Islam possesses the attributes and acts of "High God". He is the all mighty, judge of the universe and master of the Day of judgment. He knows, sees, and hears everything, visible and invisible. He is the creator of heaven and earth. The world and all that is in it came into existence when he uttered his creative word «Be». In relation to both nature and men, He is almighty will, the Lord and controller of all that happens. There is no natural law except so far as God has imposed orderly ways upon the phenomena in the world³⁸.

The most important elements in Islam's conception of God is that "God is depicted not only as the sole God, but as the Sole Reality"³⁹. "The East and West is God's, therefore, whichever way you turn there is the face of

God⁴⁰. Matter, time, space, all the laws of nature, the movement of the stars, the rise and fall of nations, in all these we can realize the unity of purpose and therefore the unity of the originator.

According to Muslims, Allah has Ninety-Nine Beautiful or excellent name; more than seventy of these are found in the Qur'an, and the rest are derived from the passages in it. These names testify God's power, knowledge, justice, and mercy.

But, according to Sufis, God is the only Reality. He is not the high God, but they looked to Him as the God of love, and they hoped of Union with Him; and for that we hear al Hallaj after he reached unity with the Reality declares : "I am He whom I love, and Whom I love is I. We are two spirits dwelling in one body"⁴¹. Also Jala al - Din al - Rumi writes ?.

"Ye who in search of God, of God, Pursue,
Ye need not search, for God is you, is you"⁴².

Or again :

"In the world of Divine Unity is no room for Number,
But number necessarily exists in the world of Five and Four;
You may count a hundred thousand sweet apples in your hands;
If you wish to make one, crush them all together"⁴³

4. Revelation and History

As we mentioned that God in these four religions is conceived as personal and active. He created the world and he will destroy it one day. However, according to judaism, and christianity, history is a creation of God. God had manifested himself to humanity either in historical events as in judaism, or in human shape, namely, jesus Christ. On the other hand, Zoroaster and Mohammad are in no sense regarded as manifestations of God. God in Zoroastrians and Islam, had revealed his will and his divine words in shape of Divine books. However, let us see how each of these religion understands the conception of revelation and history.

In the Gathas Zoroaster is depicted as the prophet of Ahura mazda, the supreme God, and as such he summoned men to obey "the truth and to shun the lie."¹ Zoroaster spoke of himself as the friend and praiser of

mazdah², and claimed to be a deliver in the sense that he and those who obeyed his teachings were hasteners of that time when God will triumph and His kingdom come³.

According to Zoroastrianism, God had revealed himself to Zoroaster and commissioned him to be his prophet⁴. The Gathas again and again set forth his claim that he had been called to his prophetic mission by Ahura Mazda himself, and that religion he taught was the final and perfect religion⁵. In fact, Zoroaster wished to be the messenger of God to all mankind.

As we mentioned, Ahura Mazda was conceived as the Lord of creation and universe; He was the Worker, through whom everything comes into life and exist. It is He who decides victory between the rival hosts of good and evil. Everything comes from Him and through Him, the Lord of all⁶. Moreover, He is the one who will be the final judge and redeemer of history⁷.

In fact, the meaning of history in Zoroastrianism lies in the history of the conflict between the forces of good and the forces of evil. Therefore, the Gathas refers to "a period when the present cycle of the world will be completed, the process of creation will cease, and the evolution of the universe will have reached its destined goal⁸". In other words, the history will come to its final goal as contemplated and ordained by Ahura Mazda at the dawn of creation. As we will discuss later, Zoroastrianism claimed that in the end of history the last of the saviours will arise. "he will consummate the work of purifying and regenerating the world and completely removing every trace of the evil work of Angro Mainyu"⁹. Thus, what Zoroaster would like to say here is that, "in the endless chain of Boundless Time, human beings can contribute their share towards the establishment of the kingdom of Righteousness of earth"¹⁰. That is to say, in the end of history, the final curtain will be drawn on the conflict between good and evil, and there, the ultimate triumph of good over evil will be secured, the kingdom of Righteousness will be established, and men will enter into the everlasting joy of Ahura Mazda¹¹.

As a matter of fact, one of the most characteristic elements of the Old Testament teaching concerning God is the great stress laid on God's activity in history. According to Judaism, God who delivered the people at

a certain point in its history and adopted them as his own people. In a word, he is the God of the miracle, of history and of the covenant¹².

According to Jewish faith, Israel derives its knowledge of God from His activity in history on behalf of his people, particularly in Egypt and in desert. In fact this fact that God intervened in history was emphasized by the Jewish prophets. As they reported in history by his activity for the good of His people, God has revealed Himself as the living God who is near to His people¹³. Throughout the course of history, Yahweh intercedes at critical moments, "He follows his people, saving as well as judging them, and He controls their destiny. The whole life of the people passes under His eyes in times of disaster and prosperity; both are signs of His activity¹⁴".

Moreover, the Jews had set their hopes on the doctrine of kingdom of God which will be the final acts of revelation of God in human history¹⁵.

Thus, God according to Judaism, is the God who reveals Himself in history or the ruler of history, nothing, therefore, happened by accident. His hand was at work in every event in Eden, the Flood, the Tower of Babel, the years in the wilderness- all these are signs of His activity in human history¹⁶.

However, besides God's activity in history, in Judaism there is also direct relationship between God and men through prophecy. It is found throughout the history of Israel and it is the most characteristic element of the structure of Judaism¹⁷. Here, God is not only the God of history, but "He is also the God who allows the man whom He has called to share in his activity by His Spirit of Word¹⁸".

Thus God's will according to Judaism is shown in his direct revelation to man through prophecy, and also by his works in history and nature. These two things go hand in hand.

Christianity, like Judaism, believes that all human history, past, present, future, is under God's control. That is to say, God in Christianity is the God of History, and that history has meaning and purpose. Let us briefly explain how Christianity explains this doctrine.

According to Christianity, God is self revealing in his works, in his word, and in his son¹⁹. In other words, God reveals himself in nature, in history, and in Jesus Christ. According to Christianity, all these revelation can be only understood by faith²⁰.

According to Christian thought, in the beginning was God, the original and ultimate power. God then created the world, and later man, at certain time. From that point on, evolution works according to inherent natural laws. After the gradual evolution of man, is the beginning of what is called human history²¹. So, according to Christianity, the world is "a time process because it is created according to the purpose of God"²².

The period from the earliest first man to the birth of Judaism, under Moses, is called the "preparation of stage" of history²³. This means that Judaism was preparing the world for the Incarnation. To explain this we say, according to Christianity, God revealed His commandments through the Jewish prophet in the forms of human thought and in terms of the actual conditions of history. According to Christianity, God through those Jewish prophets seemed to be saying to men that He would reveal Himself²⁴.

This, according to Christian thought, when Jesus appeared, God incarnate appeared, in human history²⁵. That is to say, God came into human history in the person of Jesus Christ; and God was in Christ "reconciling the world to Himself"²⁶. Here God does not reveal a book containing the truth he wants men to believe, but he reveal Himself. According to the Christian thought, since God has always taught men's loving response, God demonstrated clearly His own love for men by giving Himself of man²⁷. Thus, when Jesus appeared, God Incarnate appeared in human history. Therefore, according to Christianity, the life and teachings and the cross and resurrection of Jesus are the fulfillment of God's promise to Judaism and mankind. Thus for Christianity, Christ is the center of history²⁸. That is to say, Christ's life was no other than the life of God in man. At time and place in history, God did his full work of love and grace and performed his act of redemption²⁹. All these explain to us why Christianity emphasized that Christ is the key to the understanding of history and its future and ultimate end.

The Christian view of history from the period of Christ until the end of history is that the process is a gradual realization of God's sovereignty, or

the fulfillment of the kingdom of God. That is to say, triumph of love and justice and good will not be complete until the end of history. The end of history thus means the fulfillment of God's purpose and the final establishment of His kingdom³⁰. In fact, the Christian view that the end of history means the final battle between good and evil, is very closed to that of Zoroastrianism. Both believe that in this final battle evil will be defeated and the triumph of good will be completed, and man will enter into the everlasting joy of God.

As we mentioned, God in Islam, like Judaism and Christianity created the world and He is its ruler and He is the controller of all what happens. According to Islam, Muhammad was the last in a line of prophets, and was the "seal of prophets," for in him God's revelation reached finality. Here revelation is not incarnation nor a historical event through which God enters in relation with man. But it is a book. The Qur'an revealed to Muhammad, is the final work of God to mankind. According to Islam, this book, the Qur'an, is identical with a word of God which is written on "a heavenly scroll," the Qur'an is identical exactly with the heavenly original. Here Islam differs from Judaism and Christianity in emphasizing the divine original of the Qur'an.

According to Islamic view, Islam is the religion of God. In fact this statement reflects to us the Islamic conception of history. As God organized the world in the beginning he did also with man. For man there are laws which he ought to follow. According to Islam when God created man, ordained how men ought to behave both individually and in community. But man was given the faculty of choosing to conform or not to conform³¹. Those who accept these divine commands will find their reward in hereafter, while for those who reject it, there is punishment for them.

However, God according to Islam, has not left mankind without guidance on this matter how mankind should live and follow the commands of God. According to Islam thought, Adam was the first man and the first prophet. That is, God set men in the universe and at once revealed to him how he should live. This means, "human history opens with man knowing what he ought to do"³². But Adam proved disobedient and his successors neglected, or forgot the message. But God, as act of justice, sent down the message again. There was thus another revelation to humanity of what the eternal demands are. But this story repeated itself.

And God through Abraham, Moses and Jesus sent his revelation so that humanity might be reminded of the divine commands³³. But this story repeated itself again and again.

Once and for all, a final revelation was sent down; a messenger was chosen who deliver it to all mankind. It is Islam and the messenger was Muhammed. In this way, then Islam which had existed form all eternity came down into history in the seventh century A.D. and began its final, full career among men³⁴. As a fact, the main aim of Islam is to create a society or Ummah where justice and unization are its base. Therefore, Muslims through all the ages marched forward to historical achievement³⁵.

However, the conception of history in Islam can be summarized as follows :

1. Unlike judaism and Christianity, Islam treats the entire history of mankind as one whole³⁶.
2. According to Islam, the historical process takes account only of the practical conduct of affairs in human society. In other words, history is man's made.
3. According to Islam, God does not destroy any social group unjustly, while they are in a state of unawareness nor does He destroy any community while its moral conduct remain on an adequately satisfactory level³⁷. The conclusion which follows that "the course of history itself is a moral agency through which the morally superior elements rise to the top, while those who are morally inferior sink to the bottom. The historical process is, therefore, selective in the moral sense of the world³⁸."

C. MAN

As for their attitude towards men, generally speaking, we can say that all of these religions agree that man has been created by God and man is fundamentally different from his Creator. Man is formed by a union of two natures : the flesh, which he shares with all the animals, and the spirit which renders him a vicegerent of God. At death the soul, or the spirit, leaves the body. But in hereafter body and soul reunited to receive the judgement of God. The high place given to man by God in His world order. Man is the highest presence in the universe. On the other hand, all of these religions accepted the story of the "Adam's Fall, and his disobe-

dience to God". The punishment was the existence of man in this earth. But man is not alone in the earth, with him there are the forces of evil and Devil. Therefore, all these religions emphasized that man ought to take sides with good against evil. All these religions did not attributed evil to God directly, but they attributed evil to the Devil. This Devil is one of God's creatures, but he was a rebellious one. Let us now discuss how these each religion differ from other religions in their conception of man.

According to Zoroastrianism, the main problem of life is the problem of evil. On its solution begins the destiny of mankind¹. The physical world which men inhabits, is full of evil; therefore, man's life is steeped in sorrow and suffering. Hence Zoroaster called upon his followers to accept the challenge of the principle of evil and to inherit themselves as comrades in arm with the good God. If man does his duty, good, according to Zoroaster, will prevail at last.

As for the origin of evil in this world. Zoroaster taught that there was rebellion against that true God whose will he proclaimed. The late pahlavi texts tells how the first couple were led astray, as the story of Adam and Eve, by evil thoughts and began to worship the evil god rather than Ahura Mazda². However, the Zoroastrianism furnished a salvation of the existence of evil in this world by positing two primeval powers at war with each other. One of these principles is called prince of Darkness, Angra Mainyu, or the Druj, the evil spirit, and Ahura Mazda, the Beneficent spirit as the prince of Light. Everything that exists are dualistically split and assigned either to Ahura Mazda or Angra Mainyu³.

Man's salvation is to be found in obedience to the will of Ahura Mazda's as it was revealed and taught by his prophet, Zoroaster. Man has to share in the struggle between good and evil, right and wrong, light and darkness, to affirm and improve the world, not to deny and escape it⁴. Here we can notice that this kind of evil is positive one. In other words, Zoroaster, "strikes the heart of his followers to positive hatred of evil, spurs them to join the crusade against the spirit of evil, and exhorts them not to evade the fight, or turn their back on the arch enemy⁵.

Finally, man according to Zoroaster is born pure, not as is taught in Christianity, defiled with original sin. ⁶ In fact Zoroaster emphasized the fact that we must work out our own salvation. Accordingly man is

responsible for the ultimate outcome of his struggle against evil and for the triumph of the good. In a word, according to this religion, man has freedom of choice, and he can choose between good and evil, and he is the master of his fate.

It has been said that the influence of Zoroastrian doctrines of men's dualism and the conception of evil, on Jewish, Christian, and Muslim literatures were very considerable.⁷ As E. Mills pointed out, there is very close relation between the Jewish Satan in those exilic pre-Christian and Christian times and to Persian Satan, namely Angra Mainyu.⁸ In fact, the transmutation of Satan and the rebel angels into figures not very different from those of Ahriman and his demonic host in the Judaic-Christian literature had appeared after the Iranian contacts.⁹

Also we find another influence in the Dead Sea Scrolls, where God is said to have created man to have dominion over the world and made for him two spirits, that he might walk with them until the appointed of his vocation, they are the spirit of truth and error.¹⁰ Sources of light is the origin of truth, and the sources of darkness is the origin of error. Moreover, in the hand of the prince of light, is dominion over all sons of righteousness in the way of light they walk. And in the hand of the angel of darkness is all dominion over the sons of error; and in the way of darkness they walk. And the angel of darkness is the sinner of all the sons of righteousness. . . but the God of Israel and his angel of truth have helped all the sons of light.¹¹

This dualism of spirit at flesh, light and darkness is clear in Fourth Gospel and in the First Epistle of St. John in the New Testament. However, at the end of the first century, A.D., the evil world was set against the world of light, and they became two opposed realms. This was clear in Gnostic view, which claimed that the world is controlled by the good, light, and evil, darkness, deities, respectively. And as we mentioned, Gnosticism was of Iranian origin.¹² Let us now see how the three other religions look to man and what are the new attitudes that they produced to the doctrine of Man.

Man, according to Judaism, was originally created "in the image of God." This phrase denoted man in his peculiar relationship to God, in his

vacation to be God's viceregent on earth, but most of all "to reflect in his nature the nature of God, just as the child is the image of the father"¹³.

However, although man is God's creation and therefore essentially good, he is endowed with two principles or tendencies; a good impulse and an evil impulse. Each struggle to control man's desires and choices. In this sense, as in Zoroastrianism, man participates in the cosmic struggle between God and Satan¹⁴. According to Judaism, God's creation has gone astray because of Satan's rebellion and disobedience of men. Man, according to Judaism has to obey Yahweh and also has freedom to choose. He can choose to serve Yahweh, or to disobey.

According to Jewish faith, Yahweh made a covenant with his people, Israel, and as creator and lord of history, he controls all that happens. Therefore, the Jews explain such evils as defeat in battle, famine, disease, as a result of the failure to fulfill Yahweh's will.

Salvation of both individual and society, can be achieved according to Judaism by strict obedience to the Torah. Both individual and nature have to please Yahweh by fulfilling his covenant, therefore Jewish prophets and priests, called for a return to Yehweh and his righteousness. All Jewish troubles were attributed to failure to follow the Torah. Briefly, salvation, according to Jews, had an historical dimension. They believed that just as the Fall occurred in the earliest period, so redemption would occur at the end of history¹⁵.

According to Christianity, Man (Adam and Eve) disobeyed God's command and thereby committed original sin. In fact this doctrine of original sin is considered to be the cornerstone of the Christian attitude towards man and his salvation. In Christian attitude towards man and his salvation. In Christianity, to believe that man can save himself seems to contradict the whole of human history and experience. Man, according to Christianity, cannot save himself; man is need of help of redemption from the various forces such as Devil, Sin and death, which would enslave and destroy him. That is to say, unless man receives supernatural help, those forces of evil will engulf him¹⁶.

Man's salvation is only to be found in faith in Christ, that is, in acceptance of Jesus resurrection from the dead as proof that God has power over

the forces of sin and death. For the Christian, the meaning of life has been revealed in Jesus Christ. "We shall be like him for we shall see him as he is"¹⁷. The Christian should live a life of obedience out of gratitude to God and also as proof of the fact of his faith. This life of obedience is possible with the help of the Holy Spirit, the true guide for Christian Living. Man according to Islam, is the vicegerent of God on the earth. Man's purpose in life is to realize the will of God in this world. According to the Qur'an, man accepted to carry the Trust, which the heavens and the earth refused to carry its responsibility and they were afraid to carry it. This Trust is the divine gift of Choice.

According to Islam, Adam's disobedience was forgiven, and therefore, man does not bear the fall of Adam. In spite of Adam's fall, if man follows the guidance, he is free from any fear from the present or the future. In Islam, the relationship between God and man is without any mediation. There are no mediators or priests between man and God. God is very close to man.

The responsibility of man is very clear in Islam; that is to say, all evils and sorrows are created by man's hands. Then, man must bear personal responsibility for his own deeds and not throw the blame on the others. On the other hand, besides man's responsibility, Islam emphasized God's justice. This means that there is no injustice that can be done to anyone either in this world or in the day of judgement.

As we mentioned that Islam means submission to God's will, therefore, man's salvation is to be found in complete submission of God's will. Man has to follow the laws of God which are also the laws of his own pure nature as made by God.

D. COSMOLOGY

In Zoroastrianism, the universe is the creation of Ahura Mazda, the creator, "but it has not come from nothing"¹. The stars, the sun, the moon, the sea, all things high and low are created by Ahura Mazda and they function in consonance with His own laws, but the growing act of His creation is man². The aim of the creation is the bliss and welfare of man; it was the desire of Ahura Mazda that His might, wisdom, and goodness should be utilized in promoting the happiness and enjoyment of mankind in this world³.

According to the later Avesta, at first the sky was created with all the celestial bodies, then water, the earth, the vegetable kingdom and the animal kingdom, and finally man⁴. The whole creation is bound by the law of production and destruction. "Ahura Mazda's might has two poles, one of which, the Spenta Mainya, prospers and maintains everything, whereas the other, the Anra Mainyu, is the destructive force"⁵.

Also in Avesta, we can find many cosmological ideas, which we find in the later religions of the Near East, such as the Seven skies and earth; the order of creation, the seven immortals, angels or attributes, the water as the origin of every existent, and the cult of fire⁶.

Also we find in Zoroastrianism, the distinction between the two worlds, before the creation of the material world. "In the beginning Ohrmazd was on high and dwelt in the Endless light, he was characterized by omniscience and wisdom... Ahriman was in the depths and dwelt in the Endless Darkness, he was slow in knowledge and his will was to do harm. Between the kingdom of light and darkness was the void which some call Vay"⁷.

This briefly would seem to be a Mazdean view of the universe before Ahriman's attack on the kingdom of light and the creation consequent on it. This is the Zoroaster's view about cosmology; and it is clear that it reflects their metaphysic of morals.

Generally speaking, in semitic cosmology, we find that God alone created the heavens and the earth, and he gives breath to the people. He controls human history, forms the light, and created darkness; makes peace, and created evil. Heaven was His throne and the earth his footstool, for He transcended the whole creation. "He had stretched out the sky as a curtain, spreading it as a tent. . . and He made the clouds his chariot and the winds his messengers who laid the foundations of the earth"⁸. From Water God created everything; and the process of creation occupied six days of creative activity and followed by the rest of the creator on the seventh day. Many scholars mentioned that the creation story in semitic religions derived from Assyro-Babylonian and Zoroastrianism cultures.⁹ However, these Semitic religions speak of two worlds, this world and the world to come; here I will discuss their conceptions of this world and in the next point I will deal with their conceptions of Hereafter and 'last things'

The Jewish cosmology starts with the first words of the Old Testament, "In the beginning God created the heaven and earth...; what is important

here is that God said, "Let there be..." this creative order does not in itself contain nor does it struggle against dark, or evil force; but creation here is described as good¹⁰. Here we can notice that Judaism against Zoroastrianism, who claimed that the world divide into mutually hostile principles, light and darkness, good and evil; but Judaism proclaimed God as the creator of both. God by his own unconditional choice brought it into existence. Also Judaism against Zoroastrianism, mentioned that there was no pre-existent matter that God used to fashion the world; in other words, God reated the world out of nothing or "ex nihilo"¹¹. In Judaism, time was created with the celestial world, and timelessness remained an attributed of the uncreated God¹². Naturally, the ideas of creation out of nothing and creation of time, support and confirm Jewish monotheism.

In Judaism, the world is good, since goodness is its creator and its final aim. The story of creation expresses the perfect harmony between God's purpose and His work in the world, God himself spoke at the end of each day's creation "And behold, it was good"¹³. This idea gives the impression that this world is good, there is no fighting between good and evil but nature or the world by original is good. Also, the theological idea of the Sabbath derived from the story of creation.

In fact, in Judaism, we can notice that the activity of God in nature and the activity in history are parts of a single process; therefore, miracle by the old testament regarded as a "sign or proof" of the power of God, to whom nothing is impossible¹⁴. According to Judaism, God made a special covenant with the work of creation that "at the appointed time, the Dead Sea should divide before Israel; the sun and moon should stand still at the bidding of Joshua; that fire should not consume the three youths, Hananiel, Michael, and Azariah; that the sea monster should spit forth John alive, and so on"¹⁵.

There is no doubt that the Persian influence gave Jewish angelology and demonology a different character. After the exile, became the belief that the demons were organized, they had a leader; this leader was Satan or 'Shaitan'¹⁶. In Judaism also different orders of angels arose, the number seven was adopted from the Persians and therefore, in Judaism, we have seven head angels¹⁷.

In general the angels carry out good or evil designs according to their commands from the Lord of Hosts. What is important here is that, the belief in angels served two functions in the development of monotheism. First of all, "it was a stage in the concentration of the divine forces, beginning with polytheism, continuing through belief in angels, and culminating in the one and only God of heaven and earth"¹⁸. Also, in the vision of God, certain elements had to be removed in the spiritualization of God, and it was found easier to transform these into separate beings, related to Deity Himself. "Thus, the fiery appearance of God to the eye or the voice which was manifested to the ear were often personified as angels of God"¹⁹.

In addition to the angels, who carried out Gods will in the universe, in judaism, there are other divine powers which mediate between God and the world of man and have coming power such as "the glory" of "the Name"; "the divine Word," which will be the logos in Christianity; "Wisdom," "Spirit of God" or the Holy Spirit...²⁰.

Christianity, like judaism, accepted that God creates the world, all things visible and invisible. Also Christianity believed that creation means the free and unconditioned act of God; in other words the creation act of God is not conditioned by anything other to Himself. Like judaism, Christianity emphasized on the doctrine that the world was created by God, ex nihilo or "out of nothing." The world, according to Christianity could not exist of itself; its existence depends upon the eternal creative act of God²¹.

According to Christianity, God could not directly produce a world so unlike himself; hence, there must be an intermediate step in the process from the absolute unity and created universe. Under the influence of philo's doctrine of "logos", most of Christian thinkers believed that this intermediate step is the "logos," who appeared in Christ, who is the Word or Son of God, He is the Truth and life of all things which are exist²². This idea of the production of the world, of another being who is not God, is attained through the idea of the production of another being who is like God²³. Thus, Christ is a divine being and God's agent in the original creation of the world, so that God might not be conceived of as indirect contact with matter. Also in Christianity, we can find some thinkers who accepted the idea of emanation to explain the existence of the world. According to Plotinus, "the world represents an outgoing from the One. Some inner

rebellion or disturbance within the one caused a 'fall' or an emanation from that complete and otherwise perfect one. This fall or emanation continued to lower and lower levels until it encountered the dark element of matter and the visible world came into being²⁴. Also, Gnosticism, under the influence of Zoroastrianism, accepted this separation between Matter and Spirit, and it considered the world of matter is evil, its creator and ruler is not the good God, but inferior and imperfect being²⁵.

In Islam, Allah created the world in six days. The world and all that is in it came into existence when God uttered his creative word "Be". Also in Islam, Allah created the world out of nothing. The nature; sun, moon, earth, sky, rain, clouds, and its laws under God's control.

Also in Islam there are other types of divine powers, the "word" (*amr*) from which derives the spirit (*ruh*) or "holy spirit" (*ruh al qudus*)²⁶

According to Islam, faith in angels is one of the principles of Islam. In Islam, God is surrounded by angels, pure, sexless being, some of whom bear the throne while other engaged in praising his holy or beautiful names.

Angels also serve as His messengers who are sent or fight with the believers against the heathen²⁷. Angels, according to Islam, can take any form; they surround men from all sides and are always in their company. They keep record of every action of man in this world and they will produce it on the day of judgment. Of these, the chief is Gabriel, the agent of revelation, who communicated the Divine message to the prophet.

Midway between angels and men are *jinn* (*genau*). Some of them have submitted to Allah and become believers; but many of them have rebelled against him, like their chief, Iblis, who is also called (*shaitan*): who and his assistants are busy tempting men to go astray²⁸.

E. ESCHATOLOGY

We can say that for first time in human thought, the conception of "last things" or the end of the world came into being in Zoroastrianism. According to Zoroaster's teachings, a general resurrection will take place at the end of the present world. This will happen when Ahura Mazda will triumphantly overthrow all evil and set up right-ousness on earth¹. Also, we can mention here to the Iranian theory of the world ages. According to them, "the world-ages is divided into four periods; each of these periods is

a period of 3000 years. Towards the beginning of the final 3000, Zoroaster was born. Towards the beginning of the second millennium of this period, evils increase, there are signs in heaven and earth and now Hūshêtar is born; and he brings back the creatures to their proper state. Towards the beginning of the final millennium, Hūshêtar-mân is born. In this time, creatures become more regressive and men do not die. But now evil again increase..., and at the close of the period Soshyant, the persian Messiah who makes the evil spirit impotent and causes the resurrection and future existence, is born. Now begins the new order of things... Ahriman and his hosts are defeated by Ahura and his angels, and perish in the conflagration... The earth is renewed and made immortal and extends to heaven...."².

In fact, we can say this passage reflects two things ; first of all, here the idea of "the end of the world" has an ethical meaning. "The end of the world is connected with struggle between good and evil and how evil in the end will be conquered by the spirit of goodness. Also we can notice how this conception has a great influence upon judaeo-Christian eschatology, especially in their doctrine of "the Messiah" and "the future life". According to jewish eschatology, the doctrine of the end of the world has an ethical and political conception. According to them, the end of the world is related to the "Day of jahweh," and on that day jahweh will punish and destroy the enemies of Israel, who now take the place of the hostile evil power. Also Israel must also be judged and suffer on the Day of jahweh, a day of darkness, sorrow, and fear because she has neglected the ethical side of His religion³.

The jewish eschatology emphasized the belief in the coming of the Messiah, who also like God, will destroy the enemies of Israel, and its spiritual foes⁴. Then after the final judgment, the earthly kingdom will come to an end; and the world will be annihilated, and heaven will give place to a new heaven. After this renewal, the world will become everlasting, incorruptible, and invisible⁵.

From Zoroastrianism and judaism, the doctrine of the end of the world passed over to Christianity. According to them, "Christ will return on the clouds of heaven as the promised Son of Man who will be the judge of the Last Day"⁶. Also they believed that, his mission on earth had been to prepare the way for his second coming and when he will come the new

kingdom will start. According to Christian eschatology, at the last judgment earth and heaven flee away, or they will pass away along with the sea, and give place to a new heaven and earth, after the judgment. Like Zoroastrianism, most of the Christian thinkers believed that the destruction of the world will be by fire⁷.

As a matter of fact we find the same doctrine of the annihilation of the world in Islamic thought. In the Qur'an God will destroy or annihilate the world before the Day of judgment. Also we find in Shi'ism that the Mahdi will appear before the Day of Judgment.

As for the doctrine of the Day of Judgment, we mentioned that Zoroaster taught that men must work out for his elevation and he has the freedom to choose between good and evil. Therefore, man will receive reward or punishment after death according to his deeds in this earthly life⁸. In fact, Zoroaster emphasized the hope for a better world; for to him God is just and He will not allow wickedness to triumph over goodness⁹.

However, at the end of this world, when good gained victory over the forces of evil, all men would be resurrected to receive their reward or punishment. Besides this general judgement, we find also in Zoroastrianism the doctrine of individual judgment. Briefly, individual judgment follows shortly after death of the body. Each soul, good or bad, must face judgment at the Chivat Bridge which crosses the Ahura Mazda's paradise¹⁰. At this bridge the record of the record of the soul is read. "The balance of merits and demerits is cast. If good deeds predominate over evil, the pointing of the hand will be towards paradise; but if evil overbalance good, the hand will point to the abyss below the bridge"¹¹. As we mentioned that this bridge extended over hell and led to paradise. For the soul of the righteous it widened, but for the wicked it narrowed to the breadth of a thread and they fell into hell¹².

As L. Mills mentioned, these ideas of the day of judgement, the immortality and resurrection, reward and punishment and the Chinvat Bridge and paradise and hell, had left great influence on the judaeo-Christian eschatology and Islam¹³. Many scholars have pointed out that the doctrine of resurrection of the body, and the hope for rewards in a future life were derived from persian influence. After the exile, She'al, the shadowy land of the dead, was replaced by heaven and a hell¹⁴. Also we find after exile,

some jews began to speak of a resurrection from the dead at the last day and of a last judgment, a final reward of the good and condemnation of the evil¹⁵.

According to Jewish eschatology there are certain signs "the signs of the end," the day of judgment. At last moment, with the sounding of "last trumpet," the Messiah would appear in the clouds, with all the heavenly angels round him; and he will be "the Righteous Judge"¹⁶. At his appearance "the righteous on earth would be caught up to him in the air, and the dead would rise from their graves"¹⁷. Before the Messiah's seat all men would be judged. The bad would be sent away into everlasting hellfire, and good would enter a state of blessedness with their Lord and King¹⁸.

As a matter of fact, Jewish and Christian eschatologies are based upon the doctrine of the coming of Messiah. Although the Gospels speak about the Father as judge, who will reward the righteous men and punish the sinners, yet Christ is considered as the judge, who will exercise this function on all men¹⁹. Jesus also will return again as Son of Man, when the dead will be resurrected. At this time he is to judge the world and establish the Kingdom of God by bringing God's rule to earth²⁰. Briefly, most of the doctrine of resurrection, the future life, heaven and hell, and immortality were inherited from Jewish eschatology, which in turn influenced by Zoroastrianism.

In the Qur'anic conception of the day of judgment, we find that the coming of the day of judgment, (Youn al din) is a prove of the existence of God and his justice, on one hand, and man's responsibility on the other. Therefore, the future life, in Islam, is not a new life but only a continuation of this earthly one. During this day, the books in which each man's deeds have been recorded will be read, and eternal judgment will be passed accordingly²¹.

If we examine the Islamic culture, we find many ideas about the day of judgment were derived from the Persian, Jewish and Christian eschatology. After death all persons are visited in the grave by two angels, who examine them as to their faith. Accordingly, with the answer there will be special peace or punishment in the grave. In fact this idea is very closed to the individual judgment in Persian eschatology. Also in Islam culture and myths

there will be many wonderful signs that precede the last day. The Mahdi will establish a reign of righteousness, and "addajjal," or antichrist, will appear and be slain by Jesus, who will become a Muslim. It is clear that most of these ideas came after the cultural contact between Muslims and other religions.

4. CONCLUSION

The most obvious question that suggests itself at the end of this survey is : What have we gotten out of it ? Can we go with Arnold Toynbee in claiming that there are common ground that exists between the great religions of the World ? This common ground according to Toynbee is human nature, namely "the Original Sin in human nature"²². Or can we accept the view that all religions are one ?

In fact, these views can not explain to us either the nature of religion nor the existence of those similarities and contrasts in the religion of the Near East. As a matter of fact there are some common functions between all religions. All religions display a unity of function in the service they perform in the lives of individuals and societies. All religions are trying to give answers for one's quest for the Divine and His relation to him: all religions are trying to teach man how to live better, and all religion are trying to give man a hope for living another life.

There are no doubt that there are great similarities between these religions of the Near East. But this similarity can be explained by saying it was the result of historical and cultural contacts. Similarity between religions does not mean the forgetting of differences. These religions like differing languages through which man has been seeking to express his faith is the Divine and his hope in future life. Each religion expresses in its own symbolic language and actions, this common quest for the Divine and this hope for future life. Each religion possesses not only characteristic symbols, belief, and practice of its own, but each has its own distinctive religious insight, and each has its own interpretation of religious values.

NOTES AND BIBLIOGRAPHY

7. The Religions and Cultural Contacts

1. Mills, L., **Our Own Religion in Ancient Persia**, U.S.A. : Open Court Publishing Company, 1913, p. 36.
2. Jacques Duchesne-Guillemin, **Symbols and Values in Zoroastrianism, their Survival and Renewal**, N.Y. : Harper and Row Publishing, 1966, p. 9.
3. Masson, R., **Zoroastrianism, the Religion of the Good Life**, U.S.A. : the Macmillan Company, 1969, p. 8.
4. Schopen, H.J., **The Religions of Mankind**, tr. by Richard and Clara Winston, N.Y. : Anchor Books, 1968, pp. 79-80.
5. Smart, N., **The Religious Experience of Mankind**, N.Y. : Charles Scribner's Son, 1969, p. 249.
6. *Ibid.*
7. Masson, R., *op. cit.*, p. 18.
8. *Ibid.*
9. *Ibid.*, pp. 18-19.
10. *Ibid.*, p. 9.
11. *Ibid.*,
12. Mills, L.H., **Zarathushtra and the Greeks, Part I; Zarathushtra, Pitho, The Achaemenids and Israel**, Chicago : The Open Court Publishing Co., 1960, pp. 136-208.
13. Berry, G. L., **Religions of the World**, N.Y. : Bookellers Publishers, 1956, p. 68.
14. Hilliard, F., **Man in Eastern Religions**, London : The Epworth Press, 1946, p. 75.
15. Noss, J. B., **Man's Religions**, N.Y. : The Macmillan Company, 1968, p. 555.
16. **Encycloepedia of Religion and Ethics**, N.Y. : 1917, Vol. I, p. 15.
17. See Berry, G.L., *op. Cit.*,
18. See : **Walter, W., A History of the Christian Church**, N.Y. : 1959, p. 17.
19. More details about this claim see :
 - a) Tarrey, C.C., **The Jewish Foundation of the Islam**, N.Y. : Krow Publishing House, 1967;
 - b) Jacques, J., **The Bible and the Kor'ân**, tr. by E.P. Arbez, U.S.A., 1967.

- e) Schoeps, H.J., *op. cit.*, p. 243.
20. Schoeps, H.J., *op. cit.*, p. 243.
21. O'Leary, D.L., *Arabie Thought and its Place in History*, London, 1922, p. 81.
22. Guttmann, J., *Philosophies of Judaism*, tr. by D.W. Silverman, N.Y. : Anchor Book, 1966, pp. 56-57.
23. *Ibid.*, pp. 57-58.
24. Jacques Duchesne-Guillemin, *op. cit.*, pp. 157-162.
25. Van Leeuwen, A.T., *Christianity in World History, the Meeting of the Faith of East and West*, tr. by H.H. Hoskins, N.Y. : Charles Scribner's Sons, 1964, p. 221.

3. The Similarities and Contrasts :

A. The Conception of God

1. Masani, R., *op. cit.*, p. 35.
2. Mills, L., *Our Own Religion in Ancient Persia*, pp. 4-5.
3. Zuehlke, R.C., *Zarvan, A Zoroastrian Dilemma*, Oxford, : The Clarendon Press, 1955, p. 4.
4. *Ibid.*
5. Mills, L., *Our Own Religions in Persia*, p. 5.
6. Quotation in Noss, J.H., *op. cit.*, p. 472.
7. Cave, S., *Christianity and Some Living Religions of the Near East*, London : Gerold Duckworth Com. 1949, p. 55.
8. Masani, R., *op. cit.*, pp. 38-39.
9. Schoeps, H., *op. cit.* p. 81.
10. Berry, G. L., *op. cit.*, p. 31.
11. Smith, H., *The Religions of Man*, N.Y. 1950, p. 257.
12. *Ibid.*
13. *Ibid.*, p. 259.
14. Steinberg, M., *Basic Judaism*, N.Y. 1947, p. 47.
15. Vriezen, T.C., *An Outline of Old Testament Theology*, Oxford, Charles, Branford, Com., 1958, p. 158.
16. *Ibid.*, pp. 171-172.
17. Mills, L., *Our Own Religion in Persia*, pp. 7, 36, 39, 40, 41, 45, 46, 49, 58, 63, 65.
18. White, H.V., *Truth and the Person in Christian Theology*, N.Y. : Oxford University Press, 1963, p. 145.
19. Cave, S., *op. cit.*, pp. 69-70.

20. *Ibid.*, p. 70.
21. *Ibid.*, p. 71.
22. *Ibid.*
23. Walker, W., *A History of the Christian Church*, N.Y. : 1959, p. 17.
24. Bigg, Charles, *The Christian Platonists of Alexandria*, Oxford : 1913, pp. 41-44.
25. *Ibid.*
26. *Ibid.*
27. Wolfson, H. A., *Religious Philosophy* Harvard University Press, 1961, p. 38-39.
28. *Ibid.*
29. *Ibid.*
30. Schoeps, H., *op. cit.*, p. 292.
31. Mills, L., *op. cit.*, pp. 11-12.
32. Noss, J.B., *op. cit.*, p. 473.
33. Hanifi, M.A., *A Survey of Muslim Institutions and Culture*, Lahore : 1962, p. 101.
34. *The Holy Qur'an* (tr. by A. Yusuf Ali) IX : 30,31.
35. *Ibid.*, V : 75-76.
36. *Ibid.*, cxii : 1-4
37. Hanifi, *op. cit.*, p. 103.
38. Farah, C., *Islam*, N.Y. 1968, pp. 107-109.
39. Cave, S., *op. cit.*, p. 62.
40. *The Holy Qur'an*, II : 109.
41. Noss, J.B., *op. cit.*, 155.
42. Cave, S., *op. cit.*, p. 63.
43. Noss, J.B., *op. cit.*, p. 756.

B. Revelation and History

1. Cave, S., *Christianity and Some Living Religions of the East*, London, 1949, p. 94.
2. *Ibid.*
3. *Ibid.*, p. 95.
4. Bradley, D., *A Guide to the World's Religion*, N.Y. : Englewood Cliffs, 1963, p. 41.
5. *Ibid.*
6. Massani, R., *op. cit.*, p. 36.
7. Bradley, D., *op. cit.*, p. 41.

8. Massani, R., *op. cit.*, p. 76.
9. *Ibid.*
10. *Ibid.*
11. *Ibid.*, p. 76-77.
12. Yriezen, T.C., *op. cit.*, 129.
13. *Ibid.*, p. 136.
14. *Ibid.*
15. *Ibid.*, p. 351.
16. Smith, H., *op. cit.*, 277.
17. Spurrer, W., *op. cit.*, p. 137.
18. *Ibid.*
19. White, H.V., *op. cit.*, p. 93.
20. *Ibid.*
21. Spurrer, *op. cit.*, p. 166.
22. White, H.V., *op. cit.*, p. 103.
23. Spurrer, *op. cit.*, p. 166.
24. *Ibid.*
25. *Ibid.*, p. 167.
26. White, H.V., *op. cit.*, p. 93.
27. Spurrer, *op. cit.*, 166.
28. *Ibid.*, p. 167.
29. White, H.V., *op. cit.*, p. 95.
30. Spurrer, *op. cit.*, p. 167.
31. Smith, W.C., *Islam in Modern History* London : Amentor Book, 1957, p. 19.
32. *Ibid.*
33. *Ibid.*, p. 20.
34. *Ibid.*, p. 23.
35. *Ibid.*, p. 42.
36. Siddiqi, M., *The Qur'anic Concept of History*, Karachi, 1965, p. 57.
37. *Ibid.*, p. 17.
38. *Ibid.*, p. 7.

C. Man

1. Massani, *op. cit.*, p. 8.
2. Bradley, D., *op. cit.*, p. 42.
3. Schoeps, H., *op. cit.*, pp. 83-86.
4. Bradley, *op. cit.*, *op. cit.* p. 43.
5. Massani, *op. cit.*, p. 9.

6. Guillemin, J., *op. cit.*, p. 4.
7. James, E.O., *op. cit.*, p. 281.
8. Mills, L., *op. cit.*, p. 60.
9. James, E.O., *op. cit.*, p. 281.
10. Quoted in James E.O., *op. cit.*, p. 281.
11. Quoted in James E.O., *op. cit.*, pp. 281-282.
12. James, E.O., *op. cit.*, p. 282.
13. Vriezen, *op. cit.*, p. 208.
14. Bradley, D., *op. cit.*, p. 35.
15. Smart, N., *op. cit.*, p. 289.
16. Bradley, D., *op. cit.*, p. 54.
17. White, *op. cit.*, p. 54.

D. Cosmology

1. Guillemin, J.D., *op. cit.*, p. 3.
2. Massani, R., *op. cit.*, pp. 40-41.
3. *Ibid.*, p. 41.
4. Guillemin, J.D., *op. cit.*, p. 3.
5. *Ibid.*
6. Massani, R., *op. cit.*, pp. 42-64.
7. Zaehner, R.C., *op. cit.*, p. 91.
8. James, E.O., *The Ancient Gods*, N.Y.: Capricorn Book, 1960, pp. 216-218.
9. Leenman, A., *op. cit.*, pp. 56-61.
10. Smart, N., *op. cit.*, pp. 287-288.
11. *Ibid.*, pp. 288-289.
12. Kohler, L., *Jewish Theology*, N.Y.: Katar Publishing House, 1968, p. 153.
13. *Ibid.*, p. 150.
14. *Ibid.*, p. 160.
15. *Ibid.*, p. 161.
16. Noss, J., pp. 556-557.
17. *Ibid.*, p. 557.
18. Kohler, K., *op. cit.*, p. 183.
19. *Ibid.*
20. Kohler, K., *op. cit.*, p. 203.
21. White, H.V., *Truth and the Person in Christian Theology*, N.Y.: Oxford Press, 1963, pp. 95-104.
22. Fairweather, *op. cit.*, p. 153.

23. Feuerbach, D., *The Essence of Christianity*, tr. by G. Elliot, N.Y. Harper Torch Books, 1957, p. 87.
24. White, H.V., *op. cit.*, p. 97.
25. McGilchrist, A.C., *A History of Christian Thought*, New York, 1967, p. 49.
26. Larue, C., *op. cit.*, p. 111.
27. *Ibid.*
28. Noss, I., *op. cit.*, p. 734.

B. Eschatology

1. Noss, J.B., *op. cit.*, pp. 476-477.
2. *Encyclopaedia of Religion and Ethics*, Vol. 5, p. 576.
3. *Ibid.*, pp. 377-381.
4. *Ibid.*, p. 377.
5. *Ibid.*, p. 389.
6. Barthmann, R., *Jesus Christ and Mythology*, N.Y. 1958, pp. 27-24.
7. *Encyclopaedia of Religion and Ethics*, vol. 5, pp. 381-390.
8. Massani, R., *op. cit.*, pp. 71-72.
9. *Ibid.*, p. 71.
10. Smart, N., *op. cit.*, p. 245.
11. Noss, I.B., *op. cit.*, p. 377.
12. *Ibid.*
13. Miles, I., *op. cit.*, pp. 19, 3-19.
14. Noss, I.B., *op. cit.*, p. 580.
15. *Ibid.*
16. *Ibid.*, p. 561.
17. *Ibid.*
18. *Ibid.*
19. *Encyclopaedia of Religion and Ethics*, vol. 5, p. 387.
20. *Ibid.*, p. 385.
21. More details see : Brendon, S.G., *The Judgment of the Dead*, N.Y. Charles Scribner's 1967, pp. 138-148.
22. Toyubee, A., *op. cit.*, p. 85.

**STRUCTURE-CONTROL OF SOME GEOMORPHIC PROPERTIES
OF DRAINAGE NETWORK : AN ILLUSTRATION FROM THE
PIJGO RIVER BASIN, MULA AREA, SOUTHEAST SPAIN**

By

F.A. ABOU-RADDY, Ph.D. (Nott. Univ.)

**Department of Geography, Faculty of Arts
University of Alexandria**

STRUCTURE-CONTROL OF SOME GEOMORPHIC PROPERTIES OF DRAINAGE NETWORK : AN ILLUSTRATION FROM THE PLIEGO RIVER BASIN, MULA AREA, SOUTHEAST SPAIN

Summary. A part of the Pliego River basin, Mula area, Southeast Spain has been studied in an attempt to relate the structure function to the geomorphic properties of drainage network. Based entirely on field measured data, the relationships and comparisons between variables have been recognised with the aid of two types of statistical analysis : Poisson Distribution Function and Analysis of Variance. The structure-control of some drainage and slope characteristics, as observed in the field and revealed from the analysis, has been demonstrated and discussed.

1. Introduction:

The influence of geologic structure on landforms is widely acknowledged. Not only are the major phenomena on the earth surface predominantly of structural origin, but many of the minor landforms are controlled by geologic structure (bedding, joints, folds and faults) through the action of agents of degradation processes on complex rock masses (Desjardins, 1952; Melton, 1959). In this context, it is known that various features of drainage patterns, for example : "preferred orientation" of stream channel, segments of narrowing or local widening of valleys as well as the whole drainage pattern itself may imply strong structural control (Ver Steeg, 1947; Parvis, 1950; Talor, 1960; Howard, 1967). Besides, in the processes of drainage development on an area undergoing dissection, the streams, in general, become adjusted to structure through the differential influence of resistant and nonresistant rocks. In this connection the stage of development of a drainage network is an important factor governing the extent to which underlying structures affect the drainage-pattern properties. As in main drainage lines, it is also known that minor tributary valleys show strong control by structure attributes, mainly joint trends (Hobbs, 1905; Brown, 1969; Aghossy, 1970). The present investigation is based upon this finding, and attempts to establish statistical relationships and comparisons between quantitative geologic structure parameters and geomorphic properties of drainage network based entirely on field measurements and observations.

1.1 The physical Setting

The area under investigation (Lat. N $38^{\circ} 00'$, $19^{\circ} 38' 01'' 34''$, Long W $01^{\circ} 30'$, $01^{\circ} 33' 50''$) lies to the west of the Piñero River which is the southern boundary of the Sierra Mula (Fig. 1), and is suitable for such a study as can be seen in the cross-sections, mainly from, in this particular area is considerable. It also represents an example of geomorphic pattern typical of fluvially eroded badland terrain, or a region of rapid erosion activity, in a semi arid environment. Besides a general uniformity in its climate characteristics, and its scanty vegetation, as well as bare valley-side slopes are maintained.



1.1.1 Geology

The bulk of the area comprises elastic sedimentary rocks of Oligocene age (Fig. 2). These rocks are predominantly sandstones and mark which are intercalated in a thinly bedded sequence. The study of the lithotypes and structural features is based upon stratigraphy which is reviewed briefly in Table 1.

The geologic structure of the area reflects a complicated history of tectonic episodes during the late Oligocene and early Miocene periods. Tectonic warping is responsible for the general dip of the sandstone strata, and localised compression caused numerous small anticlines and synclines (Plate 2). Joints constitute an important structural feature, and they are a well-observable phenomenon in the study area. Two main sets of tectonic joints, rather than those "topographic" joint (Ollier, 1969), are included in this study. The first set is tension joints (Plate 3) which consist of two types: dip joints (DJ) and strike joints (ST), whilst the second comprises a conjugate set of oblique joints called shear joints (Sh).

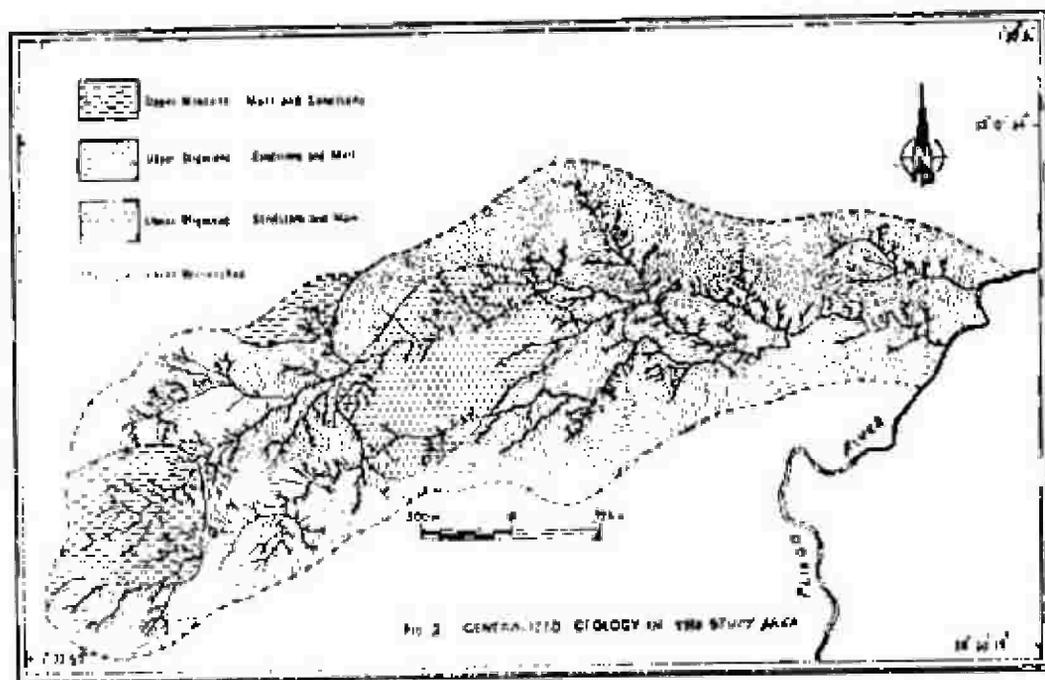
In the study area, the geometric pattern and genetic nature of the tectonic joints in Oligocene sandstone of the valley side slopes seem to be entirely dependent upon the nature of bedding. To study the orientational distribution of the joints in terms of their genetic types (tension and shear) and spatial variations, the area was divided into six separate study each consisting of beds whose strike orientation is almost similar. In each study joint data was grouped on the basis of bedding strike orientation, and plotted on Rose diagrams (Fig. 4) from which it is evident that dip tension joints are more common in the area, as compared to strike tension joints. Shear joints have the higher density in the area with major orientational trends of NNW-SSE, NW-SE and N-S.

1.1.2 Geomorphology

The area under investigation has distinct geomorphological characteristics. A valley system occupies the whole extent of the area, comprising two trunk lines with numerous tributary valleys occupied by gullies which are actively extended headwards. The tributary valleys are deep, narrowly confined and relatively youthful trenches. They are characterised by steep, V-shaped slopes (mean angles of valley-side slopes 46.4°), and have many "waterfalls", which may be described as "natural steps", cut-

Table 1. Stratigraphy of the area

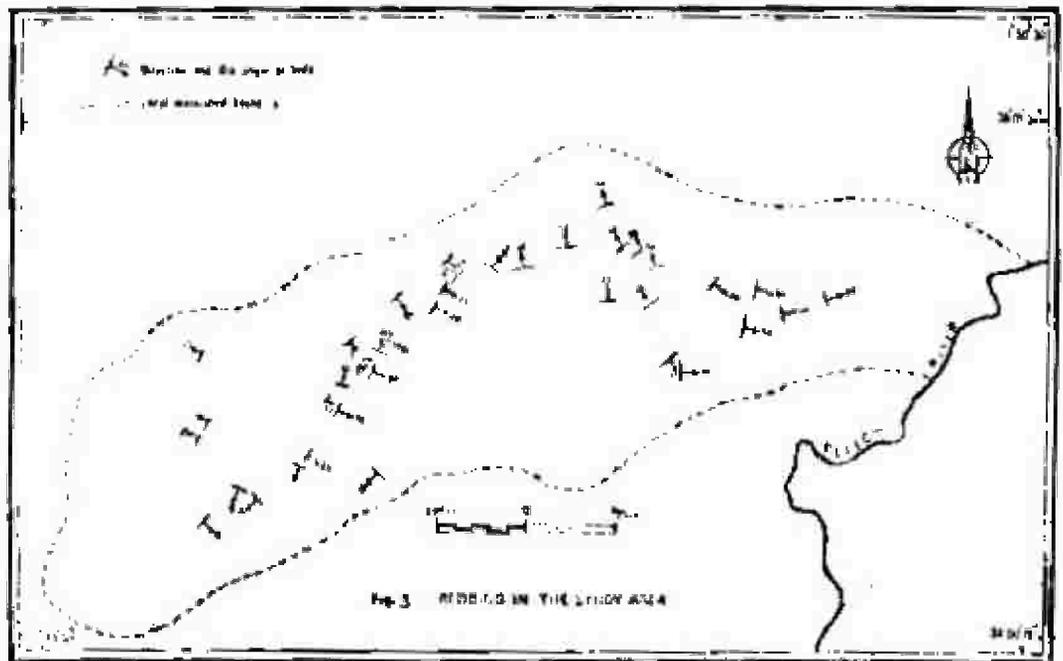
| Formation | Age | Lithology | Structural Features |
|--------------------|-----------------|---|--|
| Quaternary | Recent | Colluvial clays and flocs alluvial gravels, coarse sand. | |
| Yellowish marl | Upper Miocene | Dominant marl (distinguished by numerous gypsum veins), interbedded with sandstones (highly micaceous, fine-grained and well-cemented). | Dip 25°-30° NW, joints common, dominantly shear joints. |
| Reddish Marl | Upper Oligocene | Dominant marl (silty in texture and highly weathered), interbedded with sandstones (often distinguished by limonitic nodules - Plate 1 & 2) | Average thickness 10-30 m, sandstones maintain higher dips up to 75°E; SE. Locally folded. Joints common dominantly tension (dip and strike) joints. |
| Sandstone sequence | Lower Oligocene | Dominant sandstones (often coarse-grained and well-cemented by calcareous materials), subordinate marl | Moderate dips ranging from 18°-30° SE. Dominant bedding strike ENE-WSW (Fig. 3) Local folds with steep inclined limbs recylgnised. |



ing down through thick beds of sandstone. Most of these steps are up to 5 m. in height and at their base water commonly accumulates as pools.

Valley divides are well-defined in the area and generally occur at a low level. However, because of the present entrenched and actively developing valley system with waterfalls in many tributaries, the morphology of the area is remarkably similar to youthful dissected areas of high relief. It is possible that regional uplifting in this tectonically active area, climatic changes which are well-documented in comparable latitudes and relatively recent anthropogenic causal factors are possible factors for consideration in any explanation of the origin of the present morphology.

A variety of degradational and aggradational processes are active throughout the study area. Intensive rainfall storms (about 30% of total annual rainfall) on dry marly surfaces which have low infiltration rates give rise to vigorous denudational processes, such as rock collapses; rock flowage; sheetwash; rilling and gullying, on the valley-side slopes. Some other degradational processes, e.g. debris slide, debris fall and rock fall (Plate 4), are operating on the valley-sides throughout the year. This rock



fall process is common particularly when there is an undercutting of dipping beds wherever there are incompetent layers in the sequence. Consequently, tributary channels are often choked with debris which has moved by sheetwash, and by stumping from the steep adjacent slopes. On the other hand, extensive colluvial deposits mantled many footslopes, reflect the effect of the aggradation process in the study area.

2. The Concept

The geomorphic properties of a landform or a terrain type can be expressed in terms of its genetic relationships as follows :

$$G = f(l, s, c, b)$$

where G = any geomorphic property,

l-s = lithology and structure,

c = climatic conditions,

b = biotal factor

The advantage of this expression lies not only in its ready characterisation of the controlling factors of any geomorphic property, but also in its

flexibility to allow the study of each of these factors as an independent variable which would define the state of the geomorphic system. Thus we may isolate :

| | |
|--|--------------------------|
| (1) Lithology & structure function c, b | $G = f(I-s)$ constant |
| (2) Climofunction I-s, b | $G = f(c)$ constant |
| (3) Biofunction I-s, c | $G = f(b)$ constant |

All the three controlling functions, I-s, c, and b are multiple factors and produce sets of functions. Each individual landform has several properties, an assemblage of which defines the geomorphic complex. Thus,

$$\text{Geomorphic Complex} = G = f(I-s, c, b)$$

Variations in this ensemble give rise to the different levels in the characterisation of landforms.

3. Methods and Techniques

The methods and techniques which have been employed to achieve the objective of the present investigation were mainly those of planning the sampling design and measurement procedures in the field. The fieldwork lasted for a period of fifteen days during which all measurements were taken.

For the purpose of this study tributary valleys were restricted to those at least 20 m. long and 2 m. deep which formed part of an interconnected net of drainage lines. A special random method for obtaining representative data to reflect the properties of tributary valleys was designed and used.

This method was point sampling where grids were drawn over an enlarged aerial photograph of the area, at scale 1 : 8000, and the random points chosen were plotted on these grids. From each of these points a random orientation was drawn to contact the tributary valley channel in a point being used as a sample locality, whereas sample points which fell on valley heads as well as on the main drainage lines were rejected and replaced by others. The quantitative determination of sample size was not attempted before the field work. It was assumed, however, that not less than fifty sample points were probably sufficient for such a limited fieldwork time.

Accordingly, fifty two randomly selected locations were plotted on the

tributary valleys of the area (Fig. 5), and each locality was given a reference number.

The variables selected were assumed to be appropriate for the present investigation. Many structure and geomorphic properties of drainage network can be readily quantified, but the two groups of selected variables and their attributes considered in this study are listed and operationally defined in Table 2.

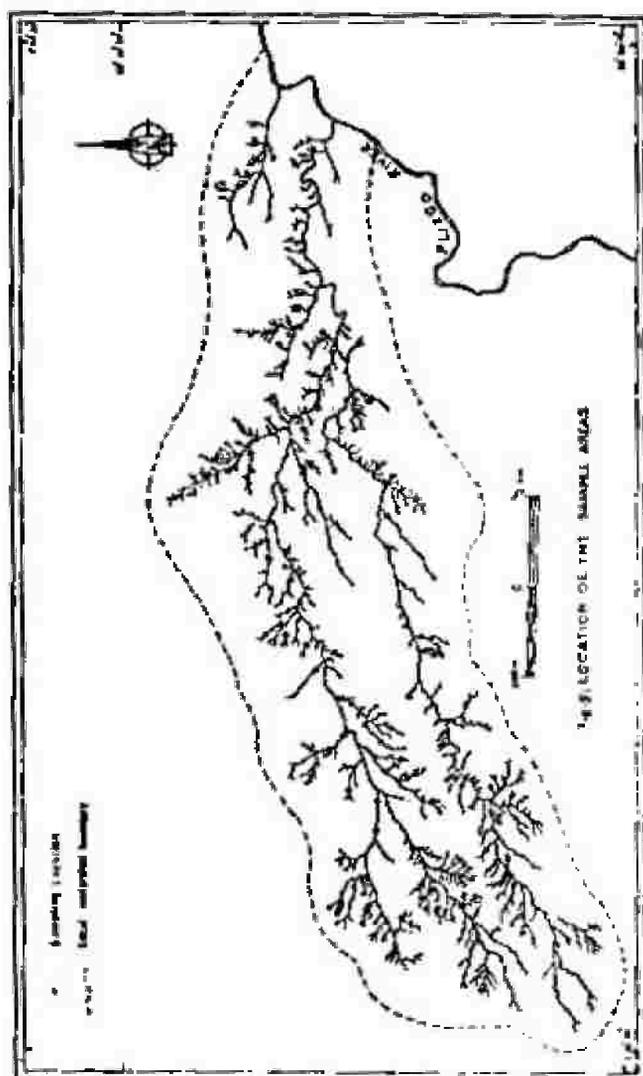


Table 2 : Geologic Structure and Geomorphic Variables

| Measured variables | symbol | Unit | Remarks |
|-------------------------------|----------|--------|---|
| Structure variables | | | |
| 1. Dip of bedrock | β | degree | Measured with a clinometer accurate to $\pm 1^\circ$. |
| 2. Bedding strike orientation | S_{10} | - | Measured with a prismatic compass to the nearest 1° . Always at 90° to true dip direction. Divided into 36 classes each with 10-degrees. |
| 3. Dip tension joints | DT | - | Measured with a prismatic compass to the nearest 1° with reference to the direction of true dip of beds. Divided into 36 classes each with 10-degrees. Characterised by rough irregular and mostly open planes. |
| 4. Strike tension joints | ST | - | Measurement and characterisation same as for dip tension joints (DT). |
| 5. Shear joints | Sh | - | Measurement same as for DT & ST. Distinguished by smooth, sharp and closed planes. |
| 6. Total joints | T_{10} | - | T_{10} is maximum frequency of any one type of joints. Originally based on 20 joint orientation readings obtained from the lower valley-side lopes using a prismatic compass. Divided into 36 classes each with 10-degrees. |

Geomorphic variables

| | H | degrees | |
|----------------------------------|--------|---------|---|
| 7. Lower valley-side slopes | | | Measured, above the concavity of the valley side to the major break of slope, with stunto clinometer calibrated to read to $\frac{1}{2}^{\circ}$. A maximum of ten random measurements, assumed to be sufficient to portray the range of variation within the sample locality, were taken from both sides of the valley looking down valley. |
| 8. Aspect | A_N | - | Measured with a prismatic compass at the randomly selected points where valley-side slope was also measured. Always at 90° to the trend of valley side. Divided into 8 classes, N, NE, E, SE, S, SW, W, NW. |
| 9. Orientation of valley segment | OV_s | - | Valley-floor segment is defined as a distance not less than one metre in length at the right angle to contour trend of basal portion of valley-side. 20 contiguous measured lengths form a longitudinal transect across a sample area. Orientation of each segment was measured using a prismatic compass and ranging poles. Represented by mode orientation (0-360 $^{\circ}$) of the most frequent valley segment. |

4. Statistical analysis

Data on the structure attributes and geomorphic properties (measured) has been grouped into classes before being fed to the Olivetti 10i desk top computer, by which much of the computation necessary for the analysis of the data was carried out. In addition, the orientation of bedding strike (S_{10}), joint types (DT, ST, Sh) and valley-floor segments (VO_2) has been corrected to true bearing (Magnetic variation, for this part of Spain, is $5^\circ W$).

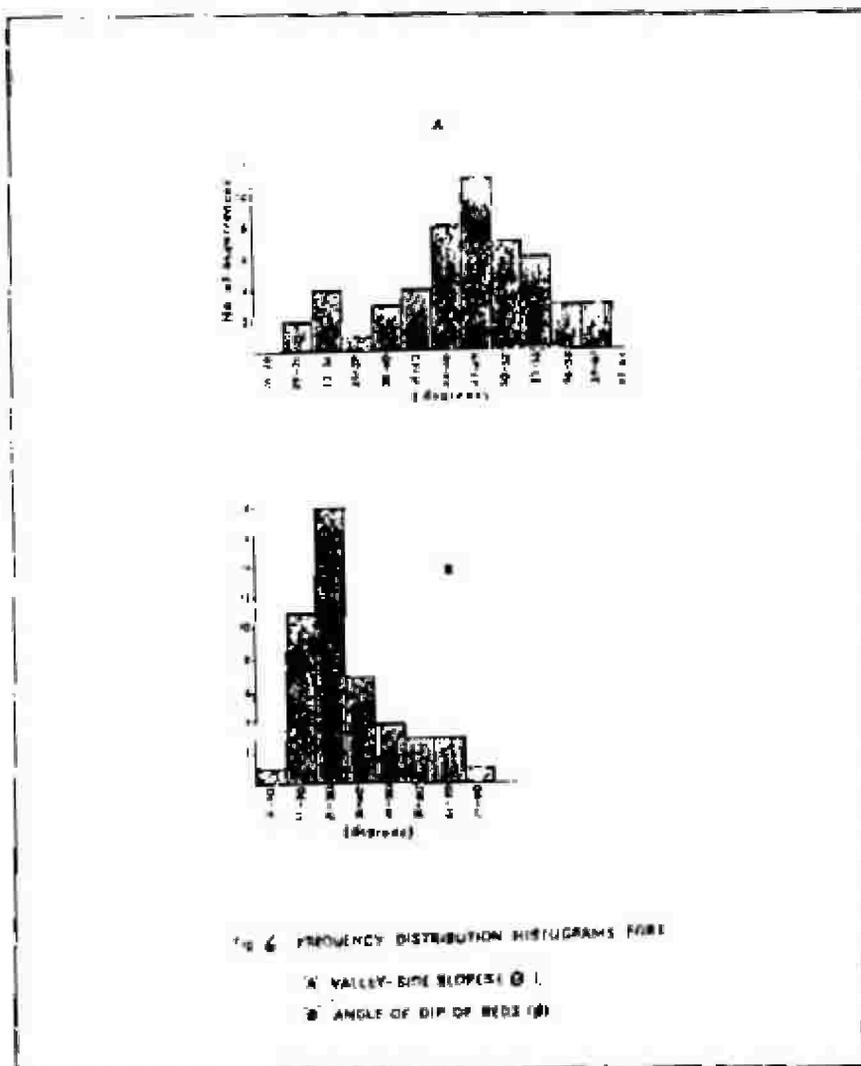
The primary statistics for dip of bedrocks (ϕ), valley-side slopes (θ) and Aspect (A_N) is summarised in Table 3.

Table 3 : Statistical data for measured geological and geomorphological properties

| Variables* | Mean (\bar{X}) | Standard deviation | Best estimate of S.D. (1-1) | Variance Z |
|------------|--------------------|--------------------|-----------------------------|--------------|
| ϕ | 31.00 | 15.00 | 15.16 | 229.82 |
| A_N | 43.07 | 8.00 | 8.08 | 65.28 |
| A_{NE} | 45.99 | 6.00 | 6.06 | 36.72 |
| A_E | 47.33 | 6.00 | 6.15 | 37.82 |
| A_{SE} | 50.20 | 7.20 | 7.28 | 52.99 |
| A_S | 47.16 | 10.00 | 10.13 | 102.61 |
| A_{SW} | 43.94 | 9.00 | 9.08 | 82.44 |
| A_W | 52.35 | 6.00 | 6.15 | 37.82 |
| A_{NW} | 45.09 | 9.00 | 9.12 | 83.17 |
| θ | 46.41 | 7.63 | 7.70 | 59.29 |

Prior to the application of the two adopted statistical techniques : Poisson distribution function and analysis of variance, the usual frequency distribution was only carried out for the measured variables : dip of bedrocks (ϕ) and valley-side slopes (θ). The frequency histograms (Fig. 6) show that the distribution of the bedding dip angles has a positive skewness as indicated by a preferential right handed symmetry. They also show that angles of the valley-side slopes are quite well distributed and approach

* Definition of variable symbols same as in Table 2.



normality. Therefore, the logtransformation method (Gregory, 1968) was used to normalize the data of dip of bedrocks (Fig. 7) so as to enable parametric tests to be carried out.

5. Orientational relationships between geologic structure and geomorphic variables

Two main methods, based only on comparing the orientational distribution of two variables, have been usually used to examine the relationship between the orientation of geological variables and orientation of valley

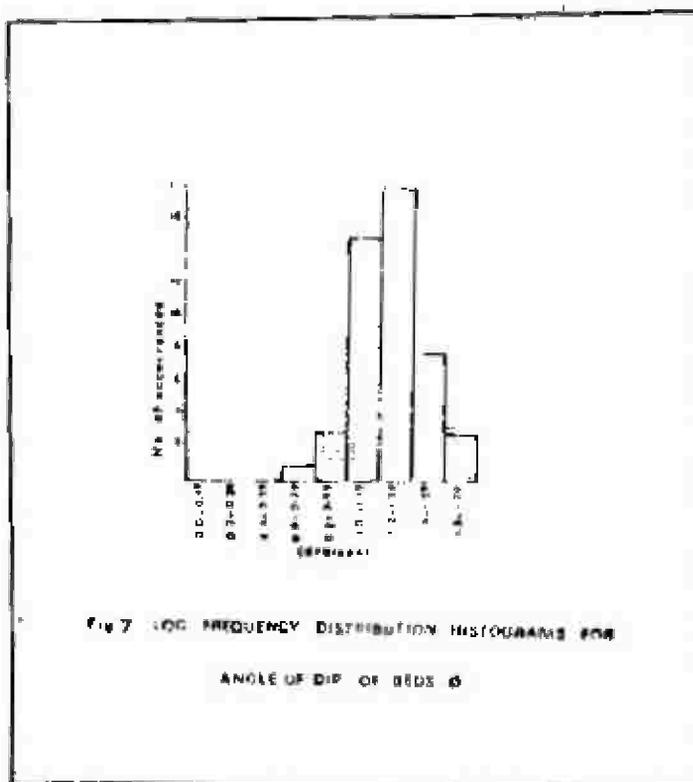


FIG 7 LOG FREQUENCY DISTRIBUTION HISTOGRAMS FOR ANGLE OF DIP OF BEDS (°)

form properties. The first method relies upon visual comparison and inspection of hemispherical frequency diagrams in order to point out the marked peaks and troughs in orientations of joints and valleys. The second method is to test statistically whether the relationship between joint and valley orientations is significant or not using the Chi-square test, or to determine the extent to which the joint and valley orientation frequencies are statistically correlated using the Spearman Rank Correlation method and Product Moment Correlation Coefficient method (Brown, 1969). The procedure in applying either method depends upon the overall joint pattern and not upon the detailed types of joints.

In the present investigation, an attempt is made to assess the degree to which valley-floor segment and valley-side slope orientations are related to joint orientations. The quantitative technique adopted is based on a statistical method which depends on analysing the overall frequency distributions of angular differences between the orientations of the variables, taking two at a time, as measured from various sample localities

in the area studied. Just as important, however, is the sense/rectar distribution (not direction) of the variables for this particular method.

5.1 Relationship between orientations of valley-floor segments and structure variables (Joint types and bedding strike)

For the purpose of demonstrating this relationship the angular differences between the modal class of total joints, dip tension joints, strike tension joints, shear joints and bedding strike as well as the maximum orientation of valley floor were calculated. Such angular differences between each two variables cannot exceed 90° and could be as small as zero.

The frequency of the differences of each pair of variables were calculated between nine (10-degree) angular differences classes from 0 - 90°. In so doing, an assumption was made that if there is no orientational relationship between any one structure attribute and valley floor the angular differences of orientation will have a random distribution.

Therefore it is important to test statistically whether the observed pattern of the angular differences in orientation between each pair of variables departs significantly from the expected pattern of randomness. In order

to achieve this test, the poisson distribution function, which is an approximation to binomial distribution when the number of observations is large and the probability is low (Cole and King, 1973), has been adopted to calculate the minimum limit, or permissible limit, within which all observations should fall with a 95% probability level. From the table of the poisson distribution (Landley and Miller, 1953) the value 11 was taken as the minimum frequency required for a significant peak at 95% level. This was based on the mean of sample areas for each two variables. In our case, the total number of sample localities was 49 ($50-1 = 49$), and the mean was $49 \div 9 = 5.5$. The resulting frequency of angular differences in orientation between valley-floor segment and geologic structure variables is given in Table 4, and illustrated in Figure 8.

Table 4 : Frequency distribution of angular differences in orientation between valley floor segment and geologic structure variables*

| Angular differences classes (degrees) | | OV _v & | OV _s & | OV _t & | OV _h & | OV _g & |
|---------------------------------------|--|-------------------|-------------------|-------------------|-------------------|-------------------|
| | | T ₁₀ | DT | ST | Sh | S ₁₀ |
| 0 - 10 | | 11 | - | 8 | 3 | 6 |
| 11 - 20 | | 6 | 5 | 6 | 9 | 8 |
| 21 - 30 | | 4 | 4 | 1 | 11 | 1 |
| 31 - 40 | | 2 | 5 | 2 | 3 | 2 |
| 41 - 50 | | 9 | 8 | 9 | 9 | 7 |
| 51 - 60 | | 9 | 5 | 8 | 5 | 9 |
| 61 - 70 | | 2 | 3 | 5 | 5 | 3 |
| 71 - 80 | | 5 | 4 | 8 | 3 | 3 |
| 81 - 90 | | 2 | 5 | 4 | 1 | 8 |

* Definition of variable symbols same as in Table 2.

A preliminary study of the data in the above table reveals the following outcomes :

- I. The similarity in orientation between the valley floor and other variables is significant only between valley floor and total joints (T₁₀). This can be explained as the peak class in the distribution approaching the permissible limit of "II-values" and since this peak class is in the class 0 - 10°, it is the best indication of significant similarities in orientation as it represents the minimum angular difference between these two variables.
- II. Another peak emerges between valley floor and shear joints (Sh), but this peak cannot be considered as an indicator of similarity in orientation between these two variables since it lies in the class 21 - 30° which reflects a high angular difference in orientation.
- III. The valley floor orientation and dip tension joints (DT), as well as strike tension joints (ST) and bedding strike (S₁₀), do not behave sympathetically with one another, and each pair of these variables

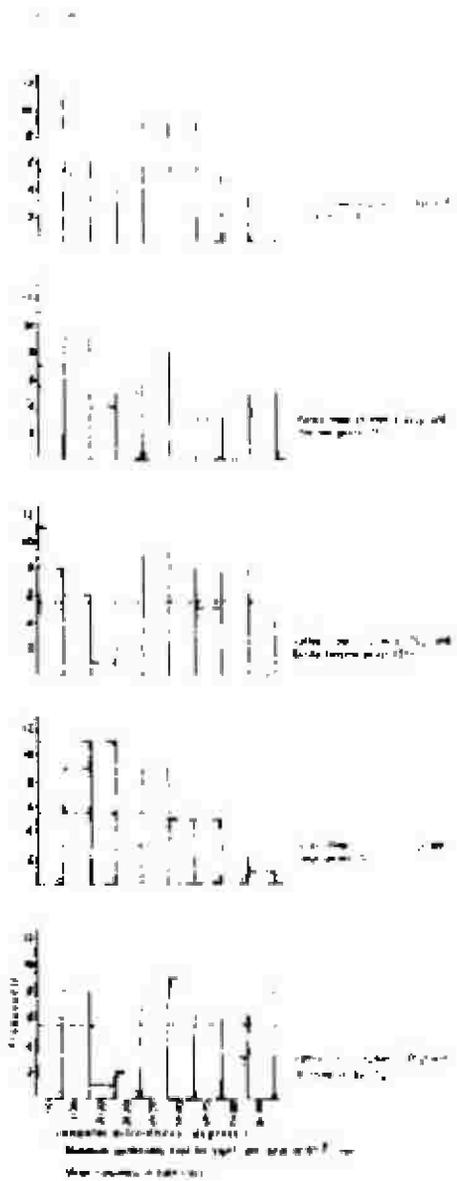


Fig. 5. QUANTITATIVE RELATIONSHIP BETWEEN PERCENTAGE NITROGEN FIXATION AND C/N RATIO. (a) C/N RATIO, (b) C/N RATIO, (c) C/N RATIO, (d) C/N RATIO, (e) C/N RATIO.

show no similarity i.e., the peaks were absent indicating that the pattern of orientation of valley floor may change randomly with the change in orientation of the other geologic structure variables.

It would appear from the above that the joints have exercised a relatively strong control over the orientation of the tributary valleys in the study area. In other words, as the joints represent the weaker alignments in rocks, they are planar structure along which water may penetrate into the rock mass thus facilitating the creation of valleys.

5.2 Relationship between orientations of valley-side slopes and structure variables (joint types and bedding strike)

The orientation of valley-side slopes ($v_{k,m}$) used in this analysis was defined by adding 90° to the slope aspect readings, as corrected to true bearing. The same method procedure, as applied above to the orientational analysis between valley floor and structure variables, has been adopted. The angular differences between the maximum orientation of slopes in each sample locality and the modal class of orientation of each joint type and bedding strike were calculated. As in the previous test, the mean of sample areas for each of the two variables is 5.5, and the permissible limit within which all observations should fall with 95% probability level, as taken from the table of poisson distribution, is the value of 11. The resulting frequency of the angular differences in the orientation of valley-side slopes and structure variables in nine (10-degree) classes is given in Table 5, and illustrated in Figure 9.

The results in the above table show that the angular difference between the orientations of valley-side slopes and geologic structure variables (joints and bedding strike) is only significant between valley-side slopes and shear joints. This can be explained as the peak class in the distribution approaches the minimum limit of "11 -values" and in as much as this peak class is in the class 0-10° it is the best expression of significant similarities in orientation since this class represents the minimum angular difference between these two variables. On the other hand, the orientation of valley-side slopes did not exhibit such a similarity with orientations of other joints and bedding strike i.e. the absence of peaks in the frequency indicates that the pattern of orientation of valley-side slopes changes randomly with the change in orientation of the other geologic structure variables. Another

Table 5 : Frequency distribution of angular differences in orientation between valley-side slopes and geologic structure variables.

| Angular differences classes (degrees) | $V_{N10\&}$ | $V_{N10\&}$ | $V_{N10\&}$ | $V_{N10\&}$ | $V_{N10\&}$ |
|---------------------------------------|-------------|-------------|-------------|-------------|-------------|
| | T_{10} | DT | ST | Sh | S_{10} |
| 0 - 10 | 10 | 8 | 9 | 11 | 7 |
| 11 - 20 | 7 | 8 | 6 | 8 | 4 |
| 21 - 30 | 2 | 1 | 5 | 4 | 6 |
| 31 - 40 | 6 | 7 | 3 | 5 | 2 |
| 41 - 50 | 2 | 4 | 3 | 3 | 5 |
| 51 - 60 | 9 | 4 | 8 | 5 | 5 |
| 61 - 70 | 4 | 6 | 3 | 3 | 7 |
| 71 - 80 | 4 | 6 | 6 | 5 | 3 |
| 81 - 90 | 3 | 2 | 4 | 3 | 5 |

explanation based on field examination might account for the result of this test. The shear joints are more common in the study area than tension joints (see Fig. 4), and most of valley-side slopes are oriented along these shear-joint planes.

6. Comparison of geological and geomorphological variables (True dip of bedding, valley-side slopes)

For the purpose of comparing various groups of sample mean values of true dip of bedding and valley-side slopes, the analysis of Variance test, has been adopted. Manipulating data of angle of dip and angle of slopes for this test involved the segregation of slope angles, as related to different amounts of dip, according to their position in relation to the direction of true dip within a narrow zone of 20° around the true dip. These slopes are called "Syn-dip slopes", and slopes which are inclined in a direction opposite to the direction of the true dip in the same narrow zone are called "anti-dip slopes" (Fig. 10). In addition, slopes were split up by reference to the orientation of bedding strike into two main groups. Slopes which are conformable with the direction of true dip are called "conformable slopes" and those against the true dip are called "inverse slopes".

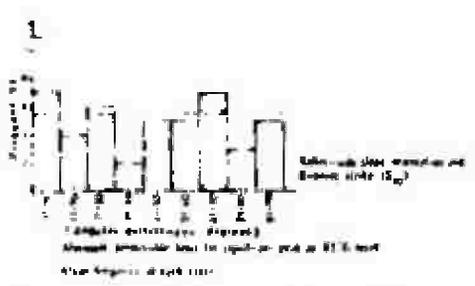
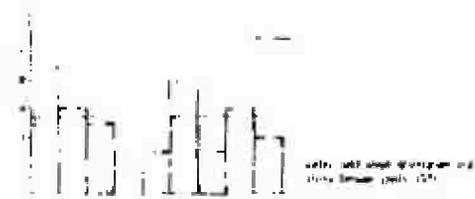
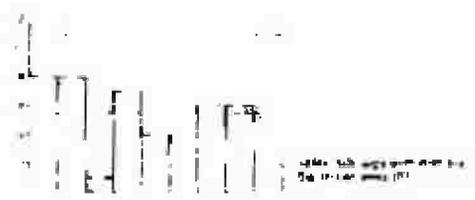
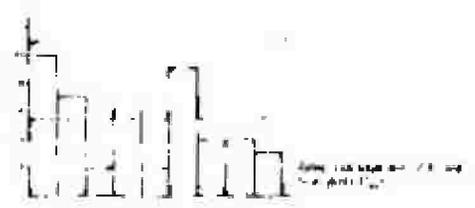


Fig. 9. ORIENTATION RELATIONSHIP BETWEEN DRAINAGE NETWORKS (values with slope) AND GEODINIC STRUCTURE (young and bedding strike variables)

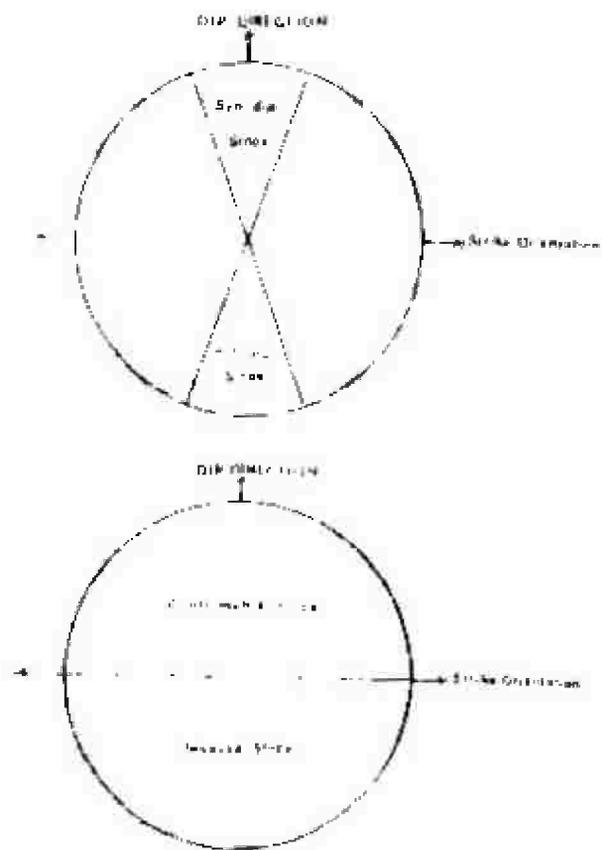


FIG 10 TYPES OF TREES IN RELATION TO THE DIP DIRECTION AND STRIKE ORIENTATION

The mean angles of the four types of slopes were subjected to the (one way) analysis of variance to see if there was a significant difference between the mean angles of valley-side slopes with particular reference to their relative position and orientation (i.e., along the direction of true dip against the direction of true dip, and along the strike of bedding). The Olivetti program 101, p. 203 desk top computer was programmed to carry out the test by programme No. ST 1003. The resulting statistics for individual dip class is summarised in Tables 6 and 7 for ready comparison.

Inspection of the output of the analysis of variance in Tables 6 & 7 indicates existence of significant differences in the mean angles of the four types of slopes only in "11 - 20° and 41 - 50°", and "21 - 30°", 41 - 50°" and 51 - 60° dip of bedding classes for "syn-dip and anti-dip", and "conformable" and "inverse slopes" respectively at 5% significance level. The immediate conclusion is that the samples do not come from the same population, hence that there is a significant difference in mean angles of valley-side slopes. On the other hand, the F-value calculated for the analysis of variance of the same types of slopes in most dip of bedding classes is less than the tabulated value at 5% level of variance ratio, which is definitely not significant. It is concluded, then, that there is no significant difference in mean angles of syn-dip and anti-dip slopes, and conformable and inverse slopes which cannot be attributed to change in dip of bedding. However, this in contrast to the known measurements of the relations between the dip of underlying bedding and angle of slopes (i.e., slopes dipping in the reverse direction of bedding are different from those paralleling the bedding (Leopold and et. al., 1964).

It seems that some other factor (s) other than dip of bedding has a controlling influence on slope-angle variations in the area under study.

Table 6 Analysis of Variance
syn-dip slopes and anti-dip slopes

| Dip Classes | 0-10° | 11-20 | 21-30 | 31-40 | 41-50° | 51-60 | 61-70° | 71-80° |
|----------------------------|-------|---------|---------|--------|--------|--------|--------|--------|
| X of syn-dip | - | 45.25 | 39.05 | 44.44 | 41.75 | 53.00 | 50.00 | - |
| X of anti-dip | - | 28.6 | 46.11 | 39.00 | 60.50 | 34.00 | 44.33 | - |
| Total of sum of squares | - | 2070.19 | 6745.54 | 870.30 | 814.87 | 945.50 | 450.10 | - |
| Sum of squares among sets | - | 3.546 | 385.52 | 82.08 | 707.12 | 541.50 | 67.43 | - |
| Sum of squares within sets | - | 1752.73 | 5760.01 | 788.22 | 111.75 | 404.00 | 382.66 | - |
| d.f. among sets | - | 1 | 1 | 1 | 1 | 1 | 1 | - |
| Mean squares among sets | - | 315.46 | 385.52 | 82.08 | 707.12 | 541.50 | 67.43 | - |
| d.f. within sets | - | 29 | 3 | 11 | 5 | 4 | 8 | - |
| Mean squares within sets | - | 60.50 | 170.54 | 71.65 | 18.62 | 101.00 | 47.83 | - |
| F-ratio | - | 5.21 | 2.20 | 1.12 | 37.75 | 5.367 | 1.41 | - |
| F-table 5% value | - | 4.12 | 10.13 | 4.84 | 5.95 | 7.71 | 5.32 | - |
| Significant or not | - | sig. | sig. | sig. | sig. | sig. | sig. | - |

X = Mean of slope angles d.f. = Degree of freedom

Table 7 Analysis of Variance
(Conformable Slopes & Inverse Slopes)

| Dip Classes | 0-10° | 11-20° | 21-30° | 31-40° | 41-50° | 51-60° | 61-70° | 71-80° |
|----------------------------|--------|----------|----------|----------|---------|---------|--------|--------|
| X of conformable slopes | 50.00 | 49.62 | 43.95 | 45.97 | 44.44 | 55.53 | 45.53 | 47.50 |
| X of inverse slopes | 48.50 | 46.41 | 48.62 | 50.00 | 51.28 | 38.28 | 43.25 | 52.66 |
| Total of sum of squares | 448.90 | 11912.70 | 21374.50 | 10763.54 | 1585.36 | 6430.75 | 610.00 | 336.40 |
| Sum of squares among sets | 5.40 | 17.41 | 957.39 | 280.57 | 294.85 | 2154.16 | 16.10 | 64.06 |
| sum of squares within sets | 943.50 | 11895.28 | 20417.11 | 10502.97 | 1290.50 | 4276.59 | 591.98 | 272.33 |
| d.f. among sets | 1 | 1 | 1 | 1 | 1 | 1 | 1 | 1 |
| Mean squares among sets | 5.40 | 17.41 | 957.39 | 280.57 | 2154.16 | 16.01 | 64.06 | - |
| d.f. within sets | 8 | 56 | 175 | 69 | 28 | 27 | 15 | 8 |
| Mean squares within sets | 117.93 | 123.90 | 116.66 | 152.21 | 46.08 | 158.39 | 39.59 | 34.04 |
| F-ratio | 0.40 | 0.14 | 8.20 | 1.84 | 6.39 | 13.60 | 0.40 | 1.88 |
| F-table 5% value | 239 | 253 | 3.89 | 3.98 | 4.20 | 4.21 | 245 | 5.32 |
| Significant or not | not | not | Sig. | not | Sig. | Sig. | not | not |

X = Mean of slope angles d.f. = Degree of freedom.

7. Conclusions

The main feature of the present investigation is the application of some numerical techniques of analysis to data of selected geologic and geomorphic variables obtained by field measurements. The Phlego River basins offered the opportunity to examine the relationship between these selected variables. The area under study is characterised by a distinct pattern of landform, i.e., a deeply incised valley system, in which geologic structure is consistently dominant feature influencing this pattern.

The statistical symbolisation of the genetic relationships of geomorphic forms is advantageous as it permits the study of the governing factors of their formation. The geologic structure control of various drainage and fluvial patterns has been demonstrated in the area under study. In this study, the orientational similarities between joints and valley floor segments were seen to fit, and valley side slopes, the "Poisson Distribution" was statistically found. This is an objective and comprehensive method of analysis as opposed to the visual inspection method of Chikara, both of which are conventional methods which have been commonly used in this study. The orientation of valley floor segments and the alignment of valley side slopes showed a distinct response to joint control, as it was noted that these valley form elements had significant similarities to the orientation of joints and to the most commonly distributed shear stress direction, respectively. Thus, it is now possible to conclude that joint patterns control the form of valley network in the present area. It was also concluded that it is possible to ascertain if valley side slopes varied significantly in their dip angle by bedding differences. Therefore, a comparison between the quantitative data of these variables was undertaken using the analysis of variance parametric test. In comparing the angle of valley side slopes with dip of bedding, it was found that there were no significant differences in the mean angle of the four types of slopes, syn dip, anti dip, conformable; and inverse slopes.

Acknowledgements

The author is greatly indebted to Prof. G.H. GOUDA, Department of Geography, University of Alexandria, for his useful suggestions and critical review of the manuscript. He wishes to acknowledge the directions given by Prof. A.A. Shahin, Department of Geography, Beirut Arab University. To Prof. H.S. Abou El-Enin, Department of Geography,

University of Alexandria for his kind advice and help, appreciation is expressed.

References

- AGHOSSY, JACOB (1970) : Jointing, Drainage, and Slopes in a West Africa Epireiogetic Savanna Landscape, Ann. Ass. Amer. Geog. Vol. 60, pp. 286-298.
- BROWN, E.H. (1969) : Jointing, Aspect and the Orientation of Scarp-face Dry Valley, Near Ivinghoe, Buckinghamshire, Trans. Inst. Brit. Geog. No. 48, pp. 61-74.
- COLE, J.P. & KING, C.A.M. (1970) : Quantitative Geography, Techniques and Theories in Geography, 3rd Ed., Wiley, London.
- DESJARDINS, LOUIS (1962) : Aerial Photo of Multiple Surface Faults may locate deep-seated Salt Domes, Oil and Gas Jour. August, pp. 82-84.
- GREGORY, S. (1968) : Statistical Methods and the Geographer, 2nd Ed., Longmans, London.
- HOBBS, W.H. (1905) : Examples of joint-Controlled Drainage from Wisconsin and New York, J. Geol. Vol. 13, pp. 363-374.
- HOWARD, A.D. (1967) : Drainage Analysis in geologic interpretation A Summation, Bull. Americ. Ass. Petrol. Geols. Vol. 51, pp. 2246-2259.
- LEGPOLD, L.B., WOLMAN, M.G., and MILLER, J.P. (1964) : Fluvial Processes in Geomorphology, W.H. Freeman, San Francisco.
- LINDLEY, D.V. & MILLER, J.C.P. (1953) : Cambridge Elementary Statistical Tables, Cambridge.
- MELTON, F.A. (1959) : Aerial Photographs and Structural Geomorphology, J. Geol. Vol. 67, pp. 355-370.
- OLLIER, C.B. (1969) : Weathering, Geomorph. Texts 2, Oliver and Boyd, Edinburgh.
- PARVIS, MERLE (1950) : Drainage Pattern Significance in Airphoto Identification of Soils and Bed rock, Photogramm. Eng. Vol. 16, pp. 387-409.
- TATOR, B.A., et. al. (1960) : Photo Interpretation in Geology, Manual of Photographic Interpretation, Washington, D.C., Amer. Soc. Photo., pp. 169-342.

**VER STEEG, KARI (1947) - The Influence of Geologic Structure on the
Drainage Pattern in the Northeastern Minnesota, U. Geol. Vol
35, pp. 353-367.**



Plate 1 : Limonitic nodules in the Upper Oligocene formations. Notice the recurrence of small oroidal shaped depressions in the sandstone bed.

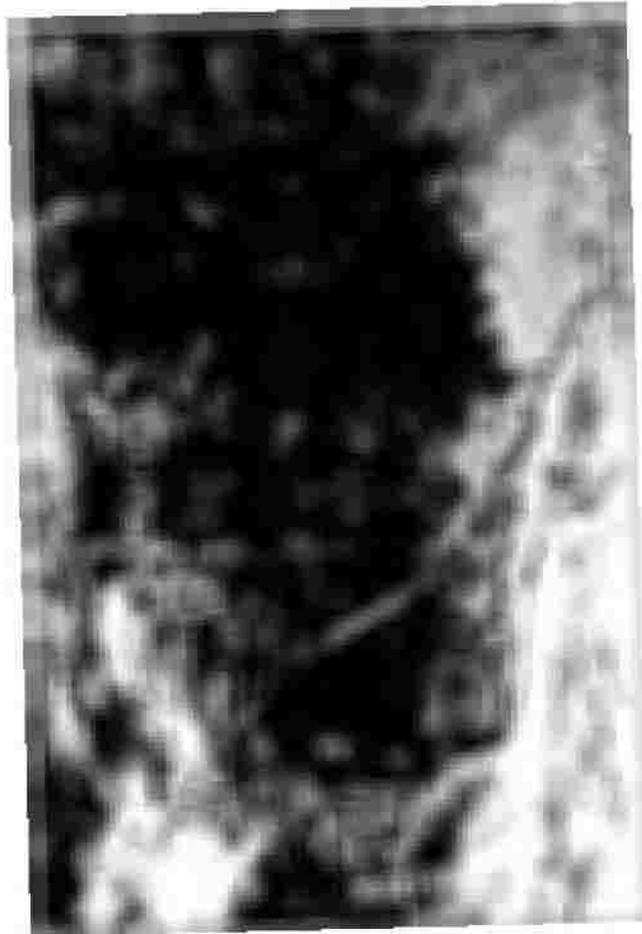


Plate 2 : A sandstone outcrop. Notice the deformation along the bedding plane of the thick sandstone beds.

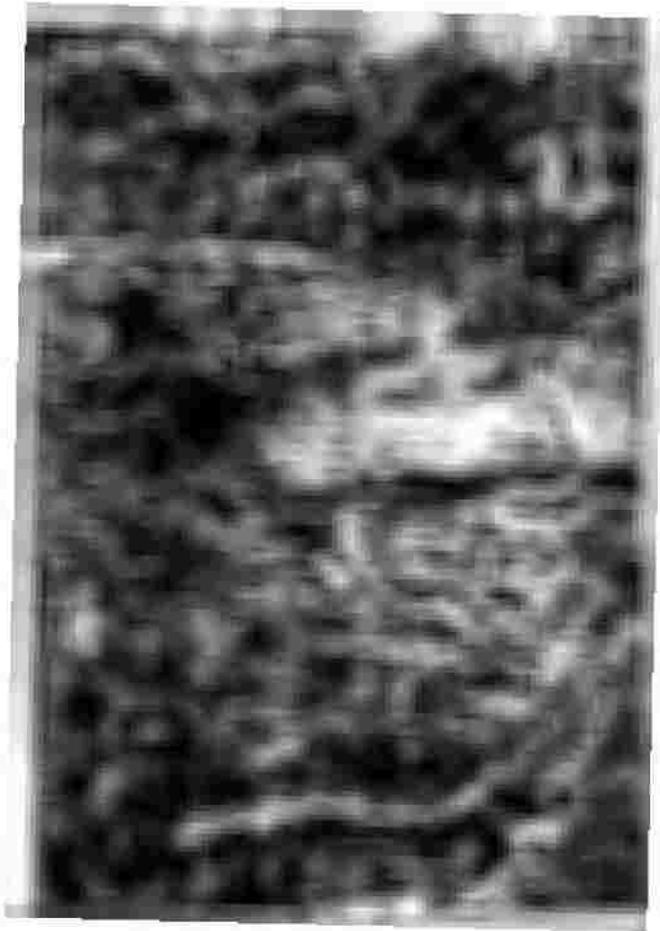


Plate 3 : Types of joints in the pliego area :

Dip tension joints (DT), Strike tension joints (ST), and Shear joints (Sh).

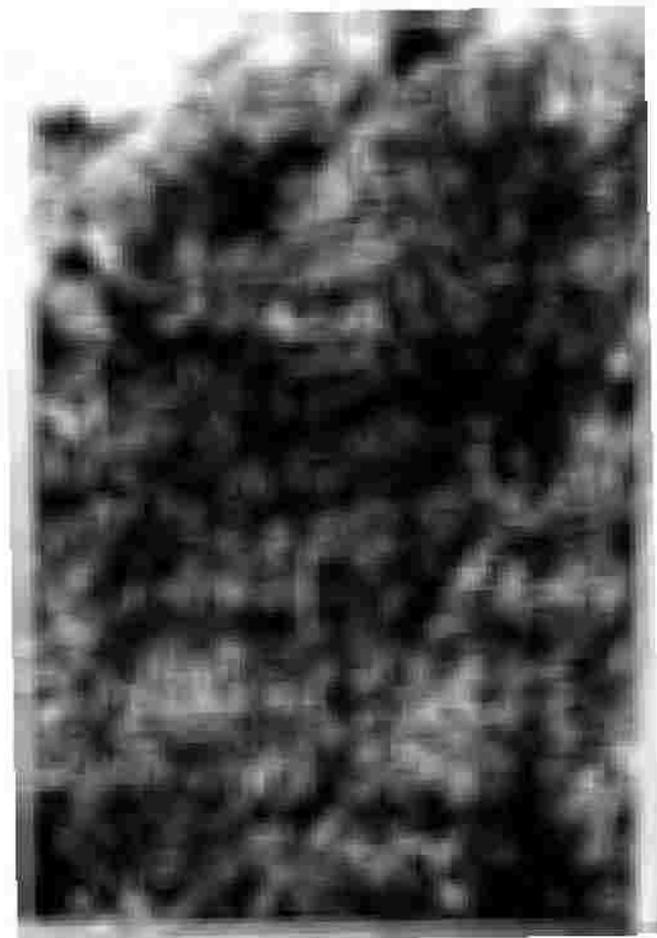


Plate 4 : Differential mass movements (rock fall, debris slides) along bedding planes of the Oligocene sandstone and marl.

**Agriculture and Water Resources
In Saudi Arabia**

By

Dr. Ali Ahmed Haroun

**Department of Geography,
Faculty of Social Studies,
The Islamic University of
Luzon Mohammed Ibn Saud
Saudi Arabia**

Agriculture and Water Resources In Saudi Arabia

Introduction :

Supplying food for a prospective world production will require in the near future a giant increase in cereals production. Production improvement can be achieved by increasing the total area of arable land utilized.

Irrigation is one means of improving the total volume or reliability of agricultural production by managing water for crops. Water continues to be a vital part of food. The requirement for water of plants cultivated for human nutrition are considerable. Not even the most progressive agrotechnical achievements can alter the fact that 400-500 litres of water or more are necessary for the production of one kilogram of organic dry matter.

World food may be sufficient in total, but this does not solve the problem, for it cannot be distributed in the required manner due to political, economic and social problems.

Food production must be safeguarded in the area of consumption, and this arises demands on water resources, especially in arid regions as in Saudi Arabia, since water is a major factor limiting the agricultural development.

The aim of this paper is to show how Saudi Arabia tries to face the problem of food supply by having attention to agriculture.

The main objectives of agricultural development are : 1) to raise per capita income and improve the welfare of rural people, 2) to minimize the country's dependence on imported food, 3) to release surplus labour for employment on other sectors, 4) to increase the resources of the country, not to depend on oil resources only as a main sector.

These objectives will be raising productivity in agriculture and bringing more land into production where water resource permit in accordance with a balanced programme of regional development.

The last figures of area cultivated, production, imports and exports are very important to the sandy, since the agricultural development is going fast in the last years, but to obtain these figures is very difficult and mostly not exist.

1 – Geographical Features of Saudi Arabia

Saudi Arabia occupies four fifths of the Arabian Peninsula. It is one of the largest and most arid countries of the Middle East. It covers an area of 2,240 km². It extends about 1200 km from north to south, and a similar distance from east to west. It is bordered to the west by the Red Sea, to the east by the Arabian Gulf, to the north by Jordan, Iraq and Kuwait, and to the south by the Yemen Arab Republic, the People's Democratic Republic of Yemen and Oman.

Its topography has been created by regional tilting and uplift of the western margins of the Arabian Peninsula (Fig.1).

Along the Red Sea lies a narrow plain whose width varies from one place to another. The coastal plains which are characterized by extensive marshland and lava fields are called «Tehama». East of these coastal plains runs a range of high mountains broken by great valleys of which the most important are Wadi Al-hind, Wadi Yanbo and Wadi Fatma.

In Asir, Wadi Atud and Eisha are the most important Wadies. The decline of this range of mountains is nearly vertical towards the west. Consequently the flood waters wash most of the silt on the coast plains and as a result, the land of these plains becomes more fertile.

The highest mountains are in Asir where peaks rise to over 9000 feet. East of this range of mountains lies the Najd plateau with an average height of 4000 to 6000 feet. The elevation drops to 2000 feet at the Al-dhna which faces the Arabian Gulf. The najd plateau extends south-ward to Wadi Al-dawaser, then runs parallel to the Rub Al-khali (the empty quarter).

To the north, the plains of Najd extends for nearly 900 miles past had until they join the Iraqi and Jordanian borders.

There are number of mountains areas in Najd which run from south-west to north-west into the Nofud. The Nofud are sandy hills, characterised by the fact that it remains dry without vegetation until rain falls, the area is then transformed into fertile pastures suitable for grazing.

A great number of marshes are scattered through out the Najd. These are considered remnants of inland seas which existed in ancient geological times.

On the eastern side of Al-dahna, the land gradually declines towards sea level along the Arabian Gulf where the oil fields are situated. The region is termed «Al-Hasa». This is an area underlain by extensive water-tables, some of which appear to be recharged from infrequent local rainfall. Most, however, are not.

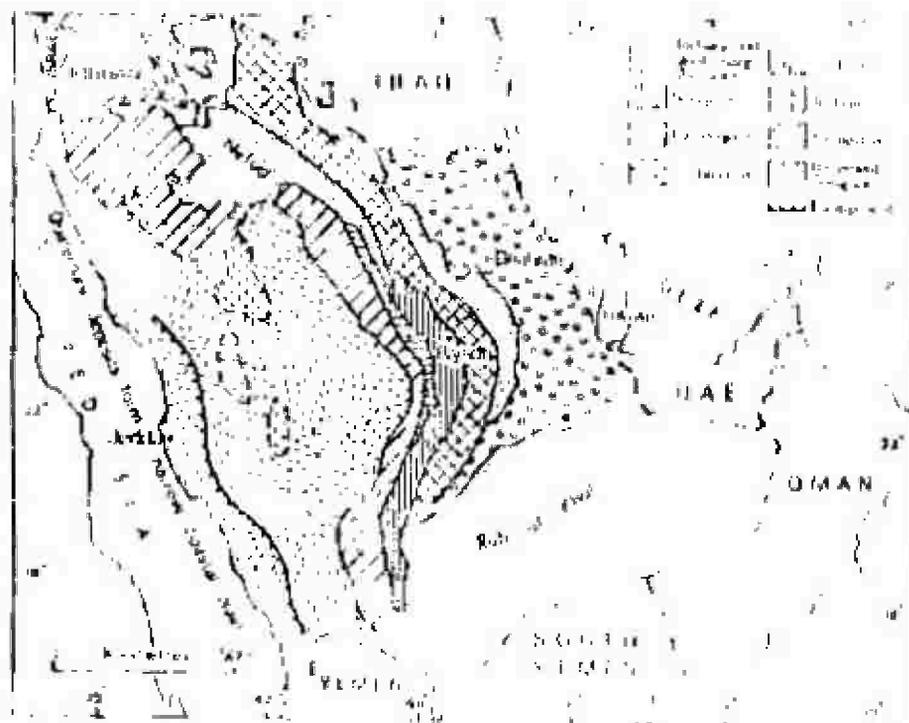


Fig. 1 : Geological map of Saudi Arabia.

Source: Perce Beaumont,

Water development in Saudi Arabia,
The Geographical Journal,
Vol. 143, part 1, March 1977, p. 46.

The coast itself is extremely irregular as sandy plains, marshes and salt flats merge almost imperceptibly with the sea. As a result, the land surface is unstable with water rising in places almost to the surface, while the sea is shallow and full of shoals and reefs for an extended distance offshore.

The south and east of Saudi Arabia are occupied by one of the largest sand deserts in the world (the empty quarter), covering over 500,000 km², and measuring over 1200 km by 500 km. The area to which perhaps not always accurately, the name Rub Al-khali (the empty quarter) is given, is far from uniform, but consists of an irregular tilted basin that lies at an altitude of about 1000 m in the west to very little above sea-level in the east and south-east⁽¹⁾.

2 - Climate

Except in Asir, the country has a desert climate. Over the country as a whole, mean precipitation is thought to be about 50 mm per annum. In some parts of the empty quarter rainless conditions may prevail for a number of years, while in contrast parts of the highland areas of the south-west may receive more than 800 mm in a single season as a result of the influence of the monsoon (table 1).

Precipitation in the northern part of the country is generally the result of cyclonic lifting associated with the eastward passage of depressions from the Mediterranean region, the incidence of these weather systems is normally confined to the winter months and it is at this time that maximum precipitation totals are recorded. The portion of Saudi Arabia south of a line from approximately Madina to Riyadh comes under the influence of the summer south-west monsoon⁽²⁾. The northwards penetration of this system is highly variable year to year, making it difficult to assess the effects on precipitation with any accuracy, but in general, summer (monsoon) precipitation increases as a proportion of the total in a southerly direction. For example, at Taif about 40 percent of annual precipitation occurs in the six month period April to September compared with only 30 percent at Madina.

(1) W.B. Fisher, *The Middle East*, London, 1976. p. 477.

(2) Peter Beaumont, *Water and development in Saudi Arabia*,
The Geographical journal, London, Vol. 143, part 1, 1977.

Table 1
Amounts of Rainfall in Different Places
in Saudi Arabia
(1969 - 1978 in mm)

| Year | Riyadh | Jeddah | Dhahran | Medina | Taif | Qadim | Bahamir Mushait |
|------|--------|--------|---------|--------|-------|-------|--------------------|
| 1969 | 172,5 | 129,2 | 174,1 | 82,9 | 28,9 | 114,4 | 342,9 |
| 1970 | 14,8 | 67,5 | 4,4 | 14,3 | 108,7 | 113,6 | 216,4 |
| 1971 | 131,7 | 106,3 | 47,2 | 107,8 | 260,3 | 98,8 | 173,9 |
| 1972 | 229,7 | 105,0 | 77,1 | 39,5 | 213,0 | 215,0 | 97,1 |
| 1973 | 69,3 | 26,6 | 13,9 | 0,7 | 104,7 | 117,3 | 163,7 |
| 1974 | 74,1 | 24,8 | 136,2 | 77,9 | 74,8 | 116,5 | 361,3 |
| 1975 | 177,0 | 25,0 | 32,6 | 20,2 | 182,9 | 38,4 | 263,5 |
| 1976 | 257,7 | 31,0 | 235,9 | 45,6 | 125,7 | 176,8 | 215,8 |
| 1977 | 61,6 | 57,0 | 88,7 | 17,0 | 108,2 | 49,6 | 158,4 |
| 1978 | 16,2 | 80,0 | 19,6 | 27,8 | 101,0 | 125,7 | 216,4 |

Source: General Meteorological Department, Saudi Arabia

During the summer months temperatures are always high, rising to between 40° C to 50° C in the central and eastern parts of the country. As a result of the intense summer heat, evaporation figures for Saudi Arabia are high, reaching values of 3000 mm. per annum from open water surfaces. At this time of the year, cooler conditions are found only in the highland regions running parallel to the Red Sea Coastline. In contrast, temperatures in winter moderate considerably almost every where and in the interior deserts of the north and in the highlands, freezing conditions can be experienced.

3 - Soil

Much of the soil is fertile when irrigated. Inproper irrigation, however, exacerbated the problem of salination, which presents a grave threat to land use, particularly in eastern Arabia. It results primarily from leaching of the soil and from the deposit of salts, lime and potassium on the surface by the percolative effect produced by extreme surface heat. Saline soils,

known as desert marls, permit limited agricultural production with salt resistant crops, such as date palms, when the surface is not crusted in surface salt pans. These marls are most prominent in Hegaz and in eastern Arabia. In extreme cases no vegetation can grow on the crusty salt pans or limestone pans⁽¹⁾.

Sand-covered areas are suitable for agriculture if sufficiently watered. One of the most serious limiting factors in their use is the susceptibility of dunes to shifting according to the wind. This mobility, often reaching 40 feet a year, has made the dunes a grave threat to oasis, particularly to those in Al-Hasa. The government has undertaken countermeasures, such as planting over 6,000,000 tamarisk and eucalyptus trees against the dunes, erecting sand fences and spraying the windward side of the dunes with asphalt to stabilize them.

A heavy sand-gravel soil is found mainly in Najd and also in Al-Hasa, not suitable for cultivation. It produces a luxuriant, but ephemeral vegetation following desert rains which is excellent for grazing.

Loam soils, which have good agricultural potential when properly irrigated are found predominantly in the Najd highlands. These soils are clayey and basically not cultivable, but when mixed with sand, they are highly productive.

The best soils are the alluvial soils of the wadi banks. Rich and fertile sandy-loam soils, they are intensively cultivated, mainly for cereals.

4 - Water Resources

A - Surface water

Water in Saudi Arabia is a limiting constraint for agricultural development. The country has no permanent rivers or bodies of water. The wadis contain water only after rains and then for only a short period, but water which seeps through the porous surface is trapped above impervious rock layers underground.

(1) Norman C. Walpole,

Area Handbook for Saudi Arabia,
New York, 1971, p. 18.

As a country of desert climate, the distinctive trait of the land is of course insufficient precipitation. The average amount of rainfall is never great, though heavy showers may occur occasionally. High rainfalls only wet the soil surface and usually evaporate without having any appreciable effect. The concept of effective rainfall has been proposed, this is the minimum amount of rainfall, occurring on a single occasion that ensures at least some water storage under favourable soil conditions. To be reasonably safe from evaporation, the rain must penetrate to a depth of at least 10-12 cm⁽¹⁾. The amount needed for this has been estimated at 15 to 20 mm for a single rainfall. The annual effective rainfall accordingly amounts to about one-third of the total rainfall.

The distribution of the rainfall and coincidence or otherwise of a plentiful supply of soil moisture at periods of maximum crop requirement, also have a bearing on yield levels. A period of drought at the time of earing of cereals will have more adverse effect on yields than if it occurs earlier or later in the growing period.

Excess moisture after sowing may reduce germination, and heavy rainfall during sowing may cause lodging and fungal pollution.

In Saudi Arabia, the rainy season is between December and March. Runoff is irregular and most of it occurs in south Yemen. The distribution of precipitation divides the country into two zones :

A. The South-west region which includes Asir and South Yhama. Rainfall is moderate and falls as monsoon summer rains as well as winter rain. Although precipitation is considerable (over 300 mm. in Asir), it is uneven in distribution which makes the area suitable mainly for grazing lands⁽²⁾. Agricultural development depends on surface water control.

(1) L. Arnon,

Crop Production in Arid Regions,
London 1972, p. 26.

(2) Ministry of Agriculture and Water,

A Guide to Agricultural Investment in Saudi Arabia,
S.A. 1079, p. 34.

- B. The other parts of the country where precipitation is low. Agricultural development is possible where underground water resources are available and their utilization is feasible.

Since agricultural development was taken in consideration, the use of water improved. With the capital readily available from oil, Saudi Arabia has initiated a number of further developments, 51 dams have already built over the last ten years⁽¹⁾.

The 5 dams serve several purposes, mainly providing drinking water, irrigating agricultural land, and increasing infiltration so as to recharge ground water aquifers and for flood control.

The most spectacular to date has been the completion of the large dam near Jizan in Asir in 1970 (51 million m³) to provide irrigation water for some 4000 to 6000 hectares⁽²⁾. The Nagran dam is the largest with a capacity of 25 million m³. Other important dams are Hjar, Dariyah, Abha, Rowdat Sadair, Laban, Thadek and Hanifeh (table 2).

B - Ground Water

The water table accumulates in porous zones, situated at a moderate depth below the soil surface is known as ground water. The upper surface of the saturated zone is called the water-table. Water that is held above the water-table by capillary force is called the capillary fringe (Fig. 2). The thickness of the capillary fringe, and the amount of water held depend on soil texture. The lower limit of the saturated zone is the level at which the underlying rock is practically impermeable to water.

(1) Saudi Arabia Monetary Agency. Annual report 1981, p. 66.

(2) Peter Benumot,

The Middle East, Bristol, 1977, p. 320.

Table 2
Main dams in Saudi Arabia

| Name | Length in metres | High in metres | Storage capacity Million m. |
|---------------|---------------------|-------------------|--------------------------------|
| Jizan | 35 | 51 | |
| Najran | 250 | 6 | 85 |
| Rear | 400 | 14 | 3,8 |
| Dariyah | 380 | 9,5 | 7 |
| Rawdat Sudair | 554 | 14 | 3 |
| Abha | 350 | 33 | 2,4 |
| Lahat | 500 | 12 | 2 |
| Thack | 850 | 7 | 2 |
| Ranfifoh | 390 | 9,5 | 1,3 |
| Turba | 380 | 21 | 20 |
| Lia | 190 | 45 | 10 |
| Agat | 450 | 11 | 7 |

Source : Ministry of Agriculture and Water of Saudi Arabia.

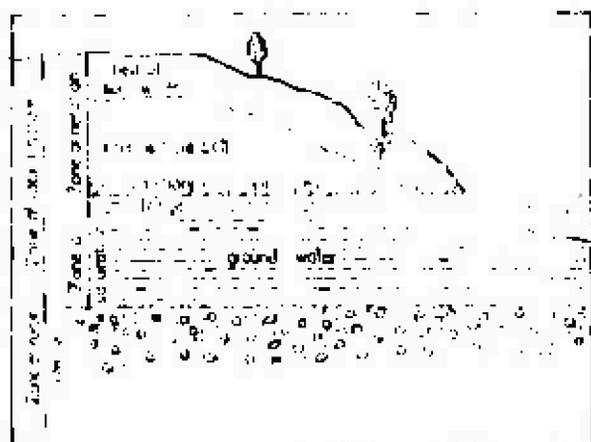


Fig 2. Ground water zones and belts

Source, L. Arnon,

Crop production in Arid Regions,
London 1972, p. 147.

During wet periods, or following continuous irrigations, the water-table rises, where as during dry periods, heavy withdrawals will cause the water-table to fall. If there is no impervious layer between the ground-water and the soil surface, the former is known as "phreatic" or "free" ground-water¹¹.

The ground-water reservoir or aquifer consists of saturated porous rock materials that are sufficiently permeable for the water to move through them by gravity and yield water freely to wells (Fig. 3).

Ground-water that is relatively near the surface can be used by plants. As a large concentration of roots develops in the capillary fringe above the water-table, even a temporary rise in the water-table may cause considerable damage by asphyxiating the roots.

The ground-water reservoirs are the source of water in wells and springs and the flow of streams during rainless periods. Ground-water is the main source of water supply in dry regions. Ground-water reservoirs are in dynamic balance with precipitation, evaporation and drainage to the sea.

Table J
Main Aquifers in Saudi Arabia

| Aquifer | Surveyed area | Average thickness (meters) | Size |
|-------------|---------------|----------------------------|----------------------------|
| Saq | 1 | 300 - 600 | 1500 x 240 km |
| Wajid | 2 | 950 | 300 x 250 km |
| Tahuk | 1 | 150 - 170 | 900 x 150 km |
| Minjar | 5 | 500 | 800 x 600 km |
| Al-Sayyad | 5 | 600 | 600 km |
| Al-Masi | 4 | 500 | 1450 x 900 km ^x |
| Um-Suddhuma | 4 | 240 | 1000 km ^x |
| Damam | 4 | 35 | n.a |
| Neojene | 4 | 300 | n.a |

Source : Ministry of Agriculture and Water.

A guide to agricultural investment in S.A., 1975.

x Extends into Kuwait, Iraq, and Bahrain.

¹¹L. Arnon, crop production in Arid Regions

London 1972, vol. 1 p. 146.

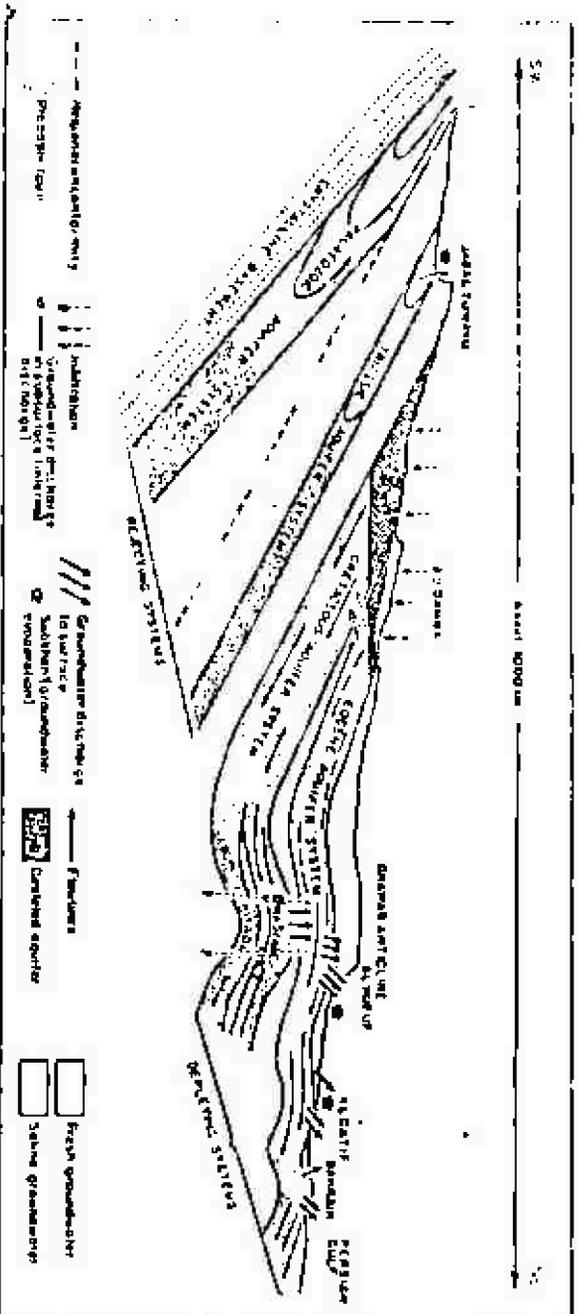


Fig. 3 : Major aquifer Systems in Saudi Arabia.
 Source, Peter Beaumont,

Water development in Saudi Arabia.
 The Geographical Journal,
 Vol. 143, part 1, March 1977, p. 48.

In contrast to surface supplies, the development of ground-water resources is relatively fast and inexpensive, and is therefore a major factor in the economic development of arid regions as in Saudi Arabia.

In Saudi Arabia, ground-water is the main source of water for agriculture and urban uses. Many aquifers have been located, the most important are listed in table 5 in the areas surveyed (Fig. 4).

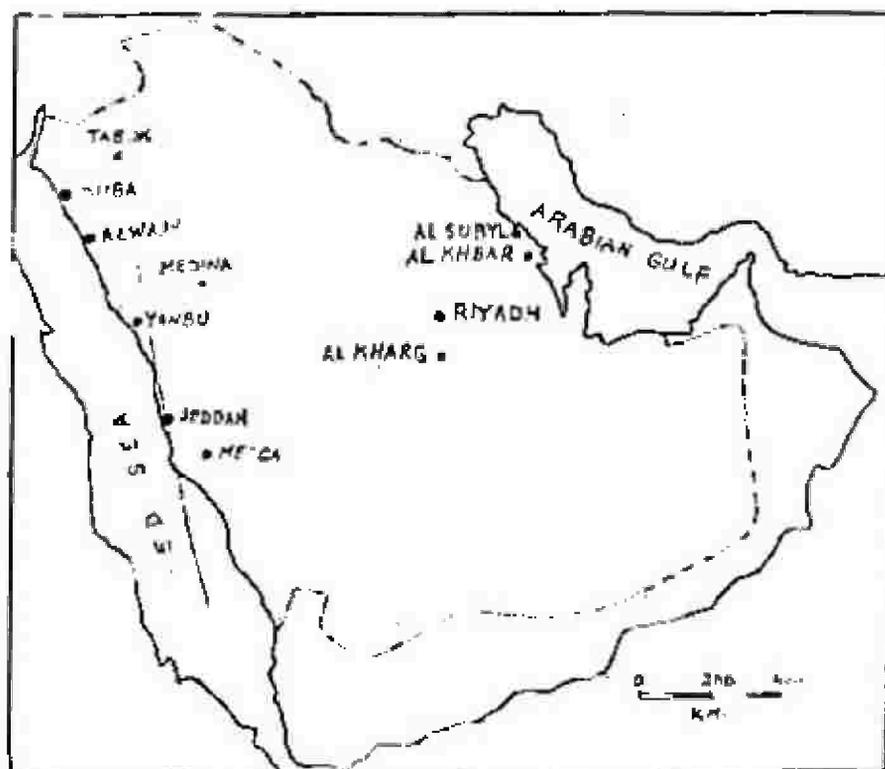


Fig. 4 : Delimitation of Various Areas of Saudi Arabia

The saq aquifer in the north supplies water to Qassim and Tabuk areas, and about 315 million m³ could be pumped annually without affecting the water level. In Qassim, some wells have a discharge capacity of 1500 gallons/minute. Water quality is excellent and soluble salts range between 450 and 800 parts per million (ppm).

The Tabuk aquifer is also important for agriculture in the Qassim and Tabuk areas. It is estimated that 70 million m³ can be used annually without detrimental effects. Water quality is good and soluble to not usually exceed 800 ppm.

Agriculture in Wadi Dawaser area depends on the Wajid aquifer for ground water. Water discharge reaches 800 gallons/minute in some cases, and water quality is good (400 to 600 ppm).

The Minjur aquifer in the central region is recharged with about 70 million m³ per year. It is used for agriculture in the khari region and for the capital Riyadh. Water quality is medium and reaches 1200 ppm.

The Um-Brrdhuma aquifer is an important source of water for the eastern region. It is utilized for agriculture in Wadi Al-miyah and the Naradh project. Wells dug in this aquifer can discharge up to 3000 gallons/minute.

The Al-Hasa region utilizes water from Neojene aquifer for agricultural purposes and water quality is medium.

In Qatif, Dammam and Al-Khoobar, agriculture depends on the Danam aquifer. Water quality does not exceed 1300 ppm, and discharge of wells does not exceed 100 gallons/minute.

Many wells have been dug in various parts of the country over the years. In certain areas, the pressure on water use has been very high, and the extractin has depleted ground water supplies. Consequently, the drilling of new wells must be approved by the Ministry of Agriculture an Water. In other areas, water reserves are huge, and the potential for agricultural development is considerable. The important wells dug in the aquifer areas are given in table 4.

5. Agriculture in Saudi Arabia

A. Evolution of Agriculture

Because of the scarcity of available water resources, vast areas of the country are utilized only by nomads who travel long distances with their Herds in search of the grass which springs up after the erratic rains. Pastoralism, therefore has been traditionally the most important source of agricultural income.

Table 4
Main wells dug in various regions of Saudi Arabia

| Location | Aquifer | Depth of well (meters) | Discharge gallons/minute | Water quality ppm soluble salts |
|-----------|------------|------------------------|--------------------------|---------------------------------|
| Fahid | Saq | 1,500 | 1,000 | 650 |
| Qassim | Saq | 850 | 500 | 700 |
| Arar | Aba-Rawath | 1,400 | 400 | 650 |
| Tabuk | Tabuk | 250 | 250 | 650 |
| Kamda | Wajid | 799 | 1,618 | 710 |
| Sulayl | Wajid | 1,318 | 1,200 | 490 |
| Salboukh | Minjur | 1,760 | 1,000 | 1,270 |
| Bweib | Minjur | 1,983 | 955 | 1,536 |
| Nisah | Al-Bayyad | 220 | 950 | 390 |
| Hafuf | Neojene | 100 | 2,000 | 1,200 |
| Sharourah | Wajid | 1,150 | 560 | 800 |

Source : Ministry of Agriculture and Water of Saudi Arabia.

Agricultural development was taken a stage further in 1937 when Ibn Saud's finance minister Sheikh Abdullah Suliman installed a number of pumps, an Iraqi farmer and a palestinian vegetable grower in the oasis of Al-kharj, east of Riyadh. From small beginnings, the project blossomed into a large-scale experimental farm with the assistance of Aramco and successive American agricultural missions⁽¹⁾. About 12 km² are being cultivated at Al-kharj and an additional 3 km² at neighbouring khafs Daghra, largely with the help of machines and primarily for the Riyadh market.

(1) Peter Beaumont,

The Middle East, Pristol 1977, p. 319.

The Al-kharj project was followed in the late 1940's by the establishment of experimental farms in different parts of the country, and an attack was launched on the problems of Saudi Arabia's largest oasis Al-Hasa. Al-Hasa had been suffering from severe depression. Population pressure had become extreme and was increasing, while the cultivated area was continually being diminished by drifting sand and salinity. Date palms, the main crop, were low yielding, partly because of their age and partly because of a high water table. Water though abundant, was inefficiently used.

Attempts to improve the situation began in 1949. Crop diversification was introduced, improved strains were employed and the use of water improved. Pumps allowed the extension of irrigation, while the construction of the Al-dammam to Riyadh railway, and the subsequent completion of modern roads, has solved the marketing problem by allowing export to the capital, on one hand, and to the thriving oil settlements on the other.

The government has, especially since 1962 increased its attention and allocations to agriculture in an effort to increase agricultural production. It has done this through land reclamation, the introduction of knowledge and technique of modern farming practices, to increase numbers of farmers, the distribution of imported seeds at low cost, and the establishment of production and distribution cooperatives and an agricultural credit bank. The result was an increase of agriculture in the national income from 1% in 1976 to 1.7% in year 1980.

The success of land reclamation and water development projects would permit not only an increase in the production of farm crops for human consumption, but also the possibility of devoting a larger portion of the irrigated lands to the production of fodder crops for livestock. These fodder crops could then be utilized to supplement the inadequate supplies of natural vegetation upon which most of the livestock in the country depend.

The identification of hydroagricultural resources in the country started as early as 1964. The country was sectioned into eight areas (Fig. 4) plus Jeddah Mecca-Taif region. Primary surveys for the first six covering an area of about 1.3 million km² were completed in 1970, the survey of the Arabian shield about 204 km² of area eight, is in progress while that of the seventh (Rub Al-khali) empty quarter has not been conducted because of its negligible population.

The six studied areas are the following⁽¹⁾ :

Area 1 (the great Nafud basin) :

A large area suitable for a wide variety of crops. The main regions of this basin are Qassim, Wadi Sirhan, Al-Jowf, Sakakah, Tabuk, Al-ula, Al-khayfiyah, and Wadi Al-khuwayer.

Qassim is one of most important agricultural regions of the country, and it is expected to contribute about 30% of the total agricultural production of Saudi Arabia in the near future. It's climate and water resources make it suitable for producing a variety of crops all year round. The main crops are wheat, barley, alfafa, vegetables and fruits, particularly dates, grapes and citrus.

Area 2 and 3 (South - West region) :

This region, plus the Jeddah - Mecca - Taif, extends from Tihama in the west to the borders of Rub-al-khali (the empty quarter) in the east covering Asir, Hijaz plateau and Najd plain. It is one of the two regions in Saudi Arabia where rainfall is rather moderate and where rainfed agriculture is common, particularly in the Asir mountains. About 108,000 hectares are cultivated, and an additional 909,000 hectares are arable lands. The major region is Wadi Dawaser which has a good agricultural potential. The government has already contracted a turn-key project of 300 hectares for complete development and in the meantime is experimenting with crops most suited for the region.

Area 4 (Eastern Region) :

Large areas in this region are arable, and 20,000 hectares are under cultivation. The main agricultural areas are Al-Hasa and Qatif oasis, Haradh, Wadi Al-Miyah, and Yabrin are also important agricultural regions.

In order to develop Al-Hasa and Qatif, sand dunes and soil salinity have required special solutions. For example, the Al-Hasa irrigation and drainage project was completed in 1971. It is the largest one-block ir-

(1) Ministry of Agriculture and Water,

Agricultural investment in Saudi Arabia, Riyadh, 1979.

rigated area in the country. The presently irrigated area is about 12,000 hectares and could be increased to 20,000 hectares after land reclamation.

Haradh and Wadi Al-Miyah have good agricultural potential because of the availability of water in Umm-Erradhma aquifer. About 350,000 km² in the Umm-Erradhma area are presently under detailed study to identify water potentialities for the development of suitable agricultural areas. The major crops in this region are dates, alfalfa, and vegetables. About 3,2 million date-palm trees are planted in Al-hasa and Qatif oasis.

Area 5 (Riyadh Region) :

This region covers an area of about 108,000 km² surrounding Riyadh. The main agricultural region is the Al-kharj plain with about 18,000 hectares of arable land which has suitable water resources. Al-kharj aquifer is estimated to contain about 10,000 million m³ and the surrounding limestone contains additional water reserves.

The Aflaj plain is the second area in importance with a good potential for agricultural development. Six other regions with about 17,000 hectares of arable land also have a good agricultural potential.

Area 6 (The Red Sea Coast) :

This region extends on the Red Sea coast from the Jordan borders in the north of Yemen in the south and is divided into two sub-regions of different climates part covers an area of 140,000 km² with an estimated 3,225 hectares of arable land. Agricultural development is limited because of low water reserves and light precipitation. The southern part covers an area of 54,000 km² forms a part of the Asir province, and has a great potential for agriculture, especially in the south and north. Tihama surface water constitutes the major source of irrigation water and amounts to more than 1,000 million m³. Sorghum and millets are the main crops in Jizan region.

Agricultural labour is a main constraint on agricultural development in Saudi Arabia. According to the 1974 population census, 40 percent of the total manpower was employed in agriculture and fisheries (table 5). Because this figure includes bedouins who live mainly on livestock production and fisheries, the number of agricultural workers may be overestimated. But it was a problem to find census including manpower employed in agriculture only, even in the last ones.

The shortage in skilled labour has been partially alleviated by the hiring of foreigners especially from Egypt. Many private agricultural enterprises are owned by non-Saudi nationals. The government recognized the importance of developing the quality of human resources, so training programs, and agricultural colleges are established to fill the gap of the shortage in quantity and quality of agricultural labour.

Table 5
Manpower by Occupational Groups
(1974/75 in thousands)

| Occupation | Saudi | Non-Saudi | Total |
|-------------------------|--------------|--------------|----------------|
| Agriculture and fishing | 655.2 | 27.5 | 682.7 |
| Professionals | 135.4 | 104.4 | 239.8 |
| Craftsmen and labourers | 222.7 | 122.9 | 345.6 |
| Clerical / personnel | 109.1 | 11.8 | 120.9 |
| Commercial | 66.2 | 41.1 | 107.3 |
| Services | 117.8 | 66.3 | 184.1 |
| Managerial | 18.6 | 4.2 | 22.8 |
| Total | 1,325 | 378.2 | 1,703.2 |

Source : Central Department of Statistics of Saudi Arabia, 1975.

B - Irrigation :

Irrigation is almost entirely by flooding the fields. The way in which the land is flooded depends on the source of water supply in the various agricultural regions.

On the Tihama coastal plain, cultivation depends almost entirely on monsoon floods in June through September, although winter rains from December to February permit dry farming to limited extent. Wadis are dammed partially or completely to divert the floodwater to the cultivated basins. The basins, which are surrounded by dikes, are soaked one by one, starting with the upper lands.

Dry farming is practiced to a greater extent on the higher elevation in the Asir mountains, where terrace farming is highly developed. To supplement the meager rainfall the rain falling on uncultivated slopes is collected and

diverted to the walled terraces by channels which are often cemented to prevent seepage. The waters are allowed to descend from terrace to terrace. It is generally considered that between two to four hectares of un-cultivated land must be used as a catch basin for every hectare of land under cultivation⁽¹⁾

In Eastern Region, irrigation of the larger fields, which are mainly devoted to dates and rice, is done by diversion of water from artesian springs by gravity through canals to the fields. The fields are irrigated at specified times, and then the farmer allows the surplus water to drain into a secondary canal which leads the water to a lower field. The saline content of the water increases as it passes through each field. When it has become too salty to be usable, the remaining water is allowed to evaporate, forming a "Sabkha" (salt flat) at the far end of the cultivated area.

To irrigate the smaller fields in Eastern Region devoted mainly to alfafa and vegetables, water is lifted from springs and wells by animal power or mechanized pumps into irrigation ditches running along the sides of the fields or into a reservoir from which it is diverted at will. If only small amounts are needed, the water from the irrigation ditches is lifted by a simple hand-operated lift.

Wells and pits provide the water for the oasis agriculture throughout the country, particularly in the interior and in the Hejaz. Lifting is done by pumps.

With agriculture so dependent on scarce water resources, it is essential that water be efficiently tapped from its sources and carefully preserved. Much water has been wasted because of a lack of knowledge about water requirements for different crops in different environments. Water facilities are generally aimed at immediate water distribution.

In recent years, the Ministry of Agriculture and Water has been active in the development of a number of irrigation projects. The Al-Hasa Irrigation and Drainage Project is an excellent example. The introduction of large scale farming and the establishment of the Saudi Arabian

(1) Norman G. Walpole,
Area handbook for Saudi Arabia,
London, 1971, p. 217.

Agricultural Bank in 1964 1964 have prompted farmers to adopt modern irrigation system which are mechanized and save labour. Irrigation systems and equipment were the largest recipients of loans from the agricultural Bank in 1977.

New projects primarily use either the drip or sprinkler irrigation method. The drip system is more widely used for irrigating vegetables and orchards and its use is being encouraged by the government. The center pivot irrigation system was introduced in 1977 with only one such system. At present (1983), are over 30 systems in operation, and each is capable of irrigating up to 50 hectares.

C - Water Rights

Most landownership is valueless accompanied by the possession of water. Regulations covering the ownership, distribution use of water are therefore of primary importance. Community rights seem to apply only to the unowned water resources such as rain water falling on unowned cultivated land.

Most water rights can be sold, purchased, rented and inherited independently of land. Thus, those who acquire land in excess of that which they can sufficiently irrigate have the possibility of purchasing or renting additional water rights from those who own more water rights than they need for their plot of land. Only in Asir and on the coastal plain of the Red Sea where precipitation is relatively plentiful, are water rights bound to the land and not to the individual.

Water regulations among the settled farmers are highly developed and complex, covering the rotation of use of water which correspond to the water rights. The distribution of water is often supervised and controlled by officials appointed and paid by water owners and users.

Water from wells, pits and springs is considered private water and the rights to it are assigned to individuals. The person or persons who contribute to the construction of the water equipment own the water and have exclusive rights to use or sell it.

Usually a property owner holds the rights to all the water sources on his land. No permit is necessary for constructing a well on one's own proper-

ty, but a permit from the district Amir is required if the well is to be built on previously undrilled land. Wells which are dug by nomads belong to the tribe as long as it remains in the area. Once it leaves, the well becomes public property.

The water for artesian springs which are found in Mestern province depend on the original owner's contribution to the construction of spring casings, reservoirs and the distribution mechanism, and on the inheritance or purchase of these rights. They are registered with the village administration, and a "water responsible" supervises the water distribution, which is done on a time basis.

Water rights which are bound to the land as they are in Asir are rights to the floodwaters derived from the wells which are dammed to divert the water to the cultivated fields by means of canals. Each canal irrigates a plot of land which carries the water rights. Upper lands are irrigated before the water is let through to the lower lands before the upper ones have been thoroughly soaked.

Primary water rights are limited to the lands which have traditionally held the rights. Lands which have been brought into cultivation since the original water rights were distributed have secondary rights that is they are irrigated only if there is surplus water. Some lands have no rights at all and only occasionally receive surplus water. The traditional regulations are so strong that they effectively prevent landowners from increasing their water rights by the construction of new dams, even if new "wells" have been formed.

The contribution toward the upkeep of the canal depends on the size of the field being irrigated. Moreover, the farmer working the lands which have only secondary rights pay *Ualt* as much as those with land with primary rights.

Rainwater belongs to the owner of the land on which it falls. He cannot, however, refuse this water for the irrigation of land where crops are in danger. Rainwater falling on lands owned by the state can be used by any one of a series of the cultivated land nearest the rainwater usually has priority.

D - Crop Production :

The cropping pattern which will develop with irrigation depends on the agricultural productivity of the land. About 331,000 hectares of land are under cultivation of winter crops in the country (table 6). Of this area 72 percent of the land is not irrigated, While 23 percent is irrigated. In addition, about 72,000 hectares are planted with permanent crops.

Cereal crops constitute the largest group of crops in Saudi Arabia (table 7). Among these, sorghum constitutes the leading crop. It is grown both as a winter and summer crop mainly in the south-west region around Jizan. The area allocated to this crop has increased steadily over the years. Millet is another important crop grown in the same region. It should be noted that estimates for all crops vary considerably from one source to another.

Wheat is another important crop. It is grown mainly in the Asir, Riyadh, Mecca and Qussim region. The area planted with wheat has been increasing steadily and new high-yielding varieties have been introduced into the country. This we can learn from the increase of area cultivated. It was 62,000 hectares in year 1974 increased to 80,000 hectares in 1977 (table 7), and to 85,000 hectares in 1980⁽¹⁾.

Tomatoes among the vegetables rank (table 8) and are grown as winter and summer crops in most regions of the country especially in Riyadh, Mecca and Esatern Region. Other vegetables include dry onions, eggplant, squash and okra. Watermelons constitute another important crop.

The permanent crops of the country are mainly dates, grapes, and citrus with the first being the most important. There are about 11 million date palms.

(1) F.A.O. Production Yearbook, Vol. 55, 1981.

Table 6
Cultivated areas of winter and Permanent Crops
in the various regions of Saudi Arabia
(1975/76 in hectares)

| Region | Winter Irrigated | Temporary Crops ^x Not Irrigated | Total | Permanent Crops |
|---------------|------------------|--|---------------|-----------------|
| Eastern | 1,949 | | 1,949 | 10,241 |
| Riyadh, Afl. | | | | |
| Al-Khasira | 21,847 | 123 | 21,970 | 19,345 |
| Qassim | 17,186 | | 17,186 | 4,818 |
| Hail | 4,885 | | 4,885 | 5,817 |
| Jouf, Quraysh | | | | |
| Tabuk | 61 | 151 | 212 | 2,360 |
| Medina | 1,867 | 1 | 1,868 | 4,301 |
| Mecca | 18,780 | 42,320 | 61,100 | 13,246 |
| Asir | 15,309 | 16,582 | 32,291 | 7,833 |
| Al-Bahah | 1,563 | 5,202 | 6,765 | 560 |
| Jizan | 3,337 | 175,623 | 178,960 | 1,383 |
| Nijran | 3,949 | | 3,949 | 1,688 |
| Total | 240,002 | 331,135 | 71,592 | |

x Includes alfalfa.

Source, Ministry of Agriculture and Water of Saudi Arabia.

Table 7

Estimated Area of main crops in principal Regions
in Saudi Arabia (1977 - 78) in Hectares¹

| Region | Winter temporary crops | | | | | Summer temporary crops | | | | |
|-----------------------|------------------------|----------|------------|--------|---------|------------------------|------------|--------|-------|--|
| | Wheat | Millet | Sorghum | Maize | Barley | Millet | Sorghum | Maize | Maize | |
| Eastern | 2 09,0 | - | - | - | 5,9 | - | - | - | - | |
| Riyadh, Araf, Khasra | 150 01,3 | 20,0 | 2 79,0 | 86,3 | 4 45,7 | 1 66,1 | 7 58,6 | - | - | |
| Qassim | 109 70,4 | - | - | - | 13 08,3 | - | 23 97,3 | 5,0 | - | |
| Hail | 11 28,8 | - | - | - | 88,8 | - | - | - | - | |
| Jouf, Qurayah, Tabouk | 2 16,0 | - | - | - | 59,2 | - | - | - | 1,1 | |
| Medina | 14 21,0 | 20,8 | - | - | 2 01,1 | 6,5 | 1,7 | 7,5 | - | |
| Mecca | 75 33,8 | 32 28,2 | 187 58,8 | 8,0 | 10 55,2 | 24 80,6 | 561 81,5 | 2 41,8 | - | |
| Asir | 166 37,0 | 11 48,3 | 67 73,0 | 41,6 | 37 80,2 | 54,2 | 184 88,4 | 19,0 | - | |
| Al-Baha | 45 69,2 | 4 08,3 | 20 95,9 | 1,9 | 10 72,3 | 1 57,4 | 15 07,5 | 1 86,2 | - | |
| Jizaf | - | 191 85,6 | 1 541 61,4 | 2 13,5 | - | 66 75,1 | 408 90,9 | - | - | |
| Nairan | 22 31,8 | - | - | - | 4,8 | - | 1 63,4 | - | - | |
| Total : | 599 12,3 | 240 11,2 | 1 820 68,1 | 3 51,3 | 80 21,5 | 95 39,9 | 1 203 99,3 | 4 60,6 | - | |

1 Donum = one hectare = 2,379 Feddan.

Source : 1. Central Department of Statistics, statistical yearbook 1979, (S.A.).

2. Ministry of Agriculture and Water of Saudi Arabia.

3. Personal work (The table is a rework from different tables, and the areas are changed from donums to hectares).

Table 8

Estimates of permanent crops, and some other
important crops in S.A.
(Production by ton 1977 / 78)

| Region | Permanent Crops | | | | | FodderCrops | | | |
|------------------------|-----------------|---------------|---------------|--------------|----------------|--------------|---------------|----------------|----------------|
| | Dates | Grapes | Citrus | Sesame | Tomatoes | Potatoes | Onions | Winter | Summer |
| | | | | (1) | (1) | | (2) | (2) | (2) |
| Eastern | 113,240 | 2,298 | 982 | - | 28,115 | 16 | 6,706 | 548 | 19,845 |
| Riyadh, Al-Bah, Khasra | 100,709 | 13,682 | 3,893 | - | 70,999 | 9 | 11,314 | 8,828 | 62,212 |
| Qassim | 85,569 | 4,620 | 4,975 | - | 15,961 | - | 73,348 | 18,842 | 45,744 |
| Hail | 3,112 | 1,788 | 123 | - | 1,815 | - | 717 | 1,893 | 6,608 |
| Jouf, Qurayah, Tabuk | 3,266 | 4,027 | - | - | 2,226 | - | 1,207 | 16 | 2,120 |
| Medina | 19,356 | 6,595 | 308 | - | 3,369 | 2 | 153 | 12,174 | 6,328 |
| Mekka | 57,516 | 3,119 | 1,377 | 121 | 28,113 | 1,120 | 300 | 15,624 | 7,167 |
| Asir | 21,962 | 8,863 | 5,406 | 1,193 | 5,758 | 3,353 | 1,302 | 10,823 | 43,407 |
| Y-Bana | 364 | 5,476 | - | - | 2,077 | 51 | 3 | 5,663 | 18,623 |
| Bah | - | - | 212 | 15 | 212 | 13 | - | 94,607 | 12,151 |
| Najran | 5,234 | 1,420 | 1,591 | - | 10,880 | 61 | - | 7,049 | 14,686 |
| Total : | 411,388 | 55,677 | 28,867 | 1,129 | 169,525 | 4,625 | 95,032 | 175,707 | 226,983 |

(1) Winter and Summer crops.

(2) Area by seasons including Alfalfa.

Source : (1) Ministry of Agriculture and Water of S.A.

(2) Central department of Statistics, Statistical yearbook 1979, S.A.

(3) Personnel work (The table is a rework from different sources)

More areas are planted with citrus trees. There were more than one million trees in 1975-76 of which more than 600,000 are in production stage.

In terms of area under field crop cultivation, the central Region comes the first, followed by the southern region, Qassim, Taif and Al-Hasa (Fig. 5)

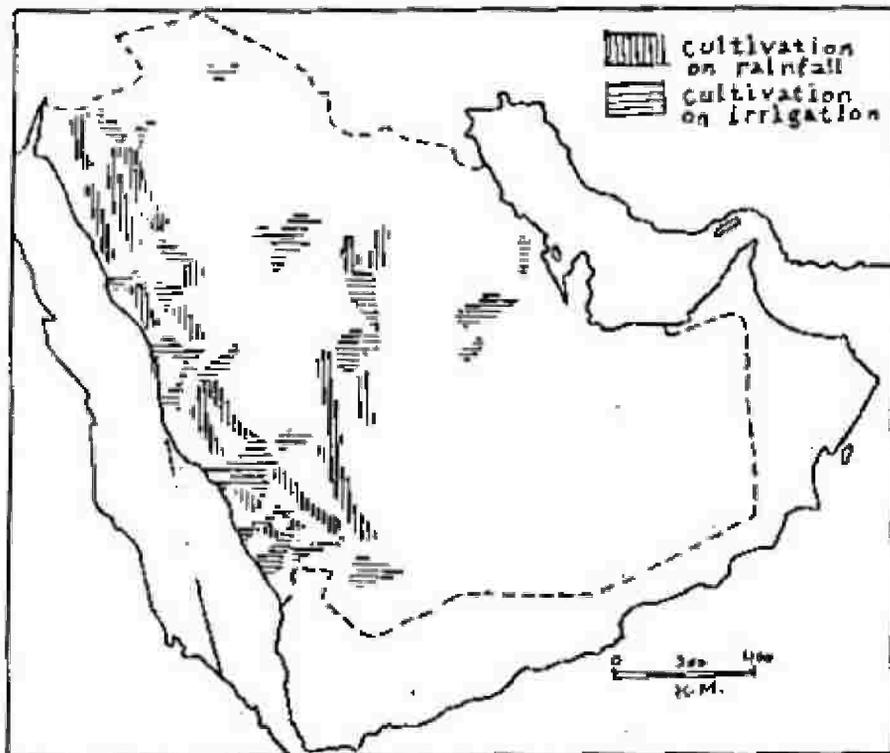


Fig. 5 : Main Agriculture Areas of Saudi Arabia.

We can learn the importance of agriculture from the decrease of imports of wheat, barley and millet (table 9).

Table 9
Quantity of Principal Imports to S.A.
(1976 - 1978 in m.tons)

| Item | 1976 | 1978 |
|--------------|--------|--------|
| Wheat | 36940 | 29307 |
| Barley | 118991 | 53389 |
| Maize | 196487 | 304732 |
| Rice | 243983 | 404070 |
| Millet | 10299 | 4082 |
| Wheat flower | 336770 | 380311 |

Source : Central Department of Statistics, S.A.
 Statistical Yearbook, 1970/1979.

E Farm units :

Agricultural holdings in Saudi Arabia have different characteristics in different parts of the country. While the smallest holdings are found in the mountainous regions of Asir, Al-Baha and in the Eastern region (2.5 hectare). In Najd farm units ranged between 6-20 hectares, while in Hejaz farm units ranges between 10-30 hectares. The largest are in Qassim and in Riyadh-Arif. There are farms of as much as 100 hectares and a few even larger.

The Ministry of Agriculture and Water is at present encouraging large-scale farming and business type farm enterprises. This should lead to a reduction in high fixed investment costs per unit of land and may lower final production costs.

The size of land distributed depends on whether the beneficiary is an individual or a company, and on other factors such as the total of virgin land to be distributed under the programme relative to the number of applications, the fertility of the land, availability of water, the applicant's qualifications and experience in agriculture. The area distributed to in-

dividuels normally ranges between 5 – 20 hectares. The maximum area per company is 100 hectares.

3 - Crop rotation :

Crop rotation is practiced in all agricultural areas. On irrigated fields of Asir there is usually a triennial rotation of wheat, sorghum and favales or wheat, barley and lentils. Both sets of rotations are planted early in March and harvested in July.

A second growing season applies when the monsoon rains are utilized, the planting is in late May, the harvesting in October. The land remains fallow in the infrequent cases of insufficient rain. In the Tihama coastal plain there is a triennial rotation of sorghum, millet and sesame. On the inland lowland, the crops are planted in late May and are harvested in October. Under dry-farming conditions, they are planted in November and are harvested in July.

Periodically irrigated land is cultivated every year. In Majd and northern Mejaz a biannual rotation of wheat and barley or barley and occasionally, favales is practiced. Planting is in late February or early March, harvesting is in July. The land is left fallow the rest of the year. In truck farming areas such as Wadi Fatma, two crops are usually grown each year. In Al-kharj, three crops are grown each year. In the low-lying of Al-Hasa and Qatif in Eastern Region, where the availability of water from ancient wells and springs favors agriculture, crops are grown the year round.

4 - Problems of Agriculture In Saudi Arabia

Despite the low precipitation totals prevailing over much of the country, Saudi Arabia is fortunate in possessing large volumes of ground water contained in eleven major aquifers. The government over the last decade has initiated a number of large water resource projects. But despite these projects and the remarkable efforts to assure water resources for agriculture, there are some problems facing the development of agriculture as :

The increasing urbanization led to an increases in water consumption needed for agriculture. The government has decided upon desalination methods as a solution to the problem. The government established a number of large desalination plants on the Red Sea and Gulf coast

(fig. 6), but still not enough, since there are big towns still depend on ground water as Riyadh, Qassim and Hail.

- The most glaring need in dealing with arid land irrigation as in Saudi Arabia is to apply the scientific knowledge. The Government must get to the farmers and show them what should be done, since farming practices are in general, ones that have been used for centuries.
- Soil evision by surface water and wind presents a serious problem cultivated land.

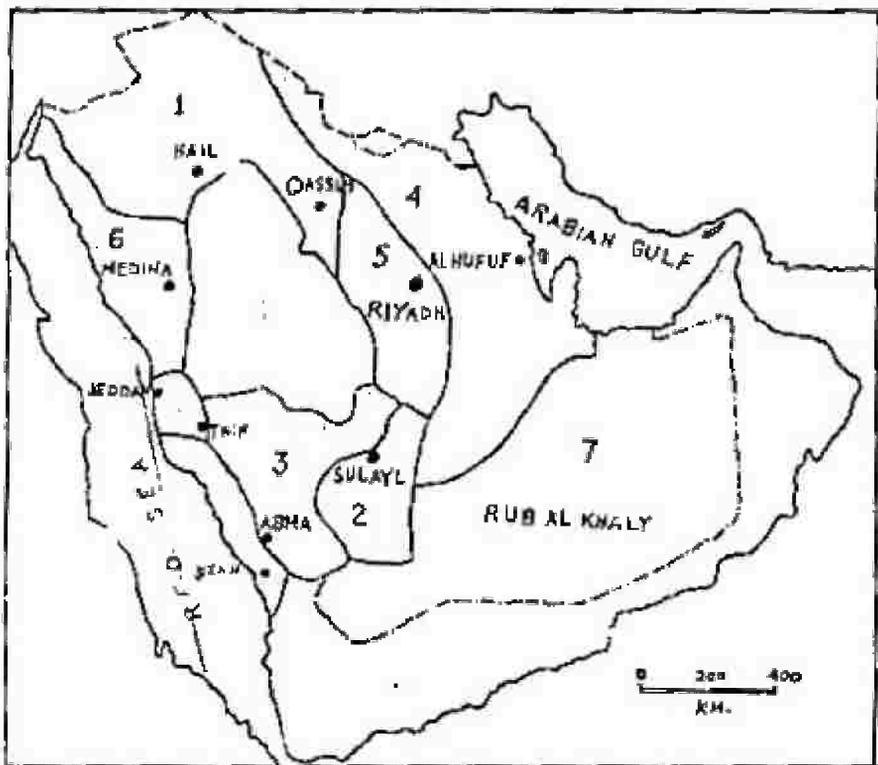


Fig. 6 : Location of Main Desalination Plants in Saudi Arabia.

- Except the alluvial soils in the wadi valleys, the soils are seriously deficient in nitrogen and phosphates. This we can learn from the increased imports of fertilizers which increased from about seven million tons in 1979 to about 13 million tons in 1980.

The possibility of population must be taken into account, since a great part of labour needed for agriculture (table 5) are foreigners, some are not well experienced, Others are from countries differ in the method of agriculture compared to Saudi Arabia. All these factors have their influence on the production.

- Inadequate training of farmers is one of the main causes of the misuse of water and reduced efficiency, unless the farmer understands the value of water.

One of the great problems facing agriculture in Saudi Arabia is salinity as in the Eastern Region. Salinity is due to the presence of high-water table caused by the excessive seepage. To improve such situation, the first step should be to provide suitable drainage which allows for the lowering of water table below the critical level of capillary action.

- Design and operation of water supply systems should provide the required amounts of water at the time needed together with measuring devices which maintain uniform flows at the farm level to cope with the water requirements of crops.
- Agriculture in Saudi Arabia depends mainly on the limited ground water resources of varying salinity, and irrigation under such arid conditions leads to increased soil salinity. The overuse of ground water resources results in deterioration in water quality which in turn aggravates the salinity problem, particularly where the water quantity is insufficient for adequate leaching alfalfa, being relatively salt tolerant constitutes one of the main crops in the country.
- The extraction of water from underground aquifers may induce undesirable intrusion of sea water or connate brines into the aquifer which over a period of time can cause the quality of the water in the wells in the intrusion path to deteriorate and become unsuitable for irrigation. The deterioration usually is gradual occurring first in the

wells nearest the source of the brines of remedial action is not taken substantial portions of the aquifer may become unusable or several decades or longer. Reduction in pumping drafts artificial recharge of imported water by spreading grounds or injection wells, or the use of water or injection or withdrawal wells, are methods which have been used successfully to halt, and in some cases to reverse the intrusion⁽¹⁾.

Saline intrusion into well fields in coastal areas near saline bodies of water should always be expected to occur sooner or later. The reasons for sustained increases in salinity of any wells should be investigated promptly, regardless of well field location, so that remedial action can be taken, if necessary before irreparable damage is done to the aquifers.

The wide scale irrigation programmes in the country bring about some serious dangers in the field of health. The health problems that arise are of course those of water transmissible diseases, such as schistosomiasis, but also those connected with the immigration of new populations, the creation new rural communities, and new habitats and housing. All these phenomena cause a potential aggravation to the environment. To achieve this target, action in the field of health should begin as early as the planning phase of an irrigation project, in view of the evolution of the situation, the forecast of the dangers, the discussions of the choice of the measures to be taken. This action has to be continued during the implementation phase during the execution of the project and long after the irrigation system has been built and put into operation, so as to assume the surveillance of the health situation and the maintenance and the improvement of the results that have already been achieved.

- The health service can be efficient only if integrated in the project as part of a whole, financially administratively, and only if sincerely accepted by those responsible for the programme⁽²⁾.

(1) Fredrick L. Hotes,

Arid land Irrigation in Developing Countries, London 1978, p. 149.

(2) Alexis Courtharas,

Arid and Irrigation in Developing Countries,
London 1979, p. 345.

Saudi Arabia has large areas of sandy soils. Such soils have very low water-holding capacity and the efficiency of water use is exceedingly low under the traditional irrigation methods. It is very costly to develop such lands.

Sand dunes represent a great problem in Najd and in Eastern Region. The hedges are important for protection of land from the drifting sand dunes.

Conclusion :

Saudi Arabia is going fast in economic development, especially in agriculture to face the problem of food demand. As a consequence, demands on water resources are growing, since water is a major factor limiting the agricultural development in Saudi Arabia.

Despite the low precipitation totals prevailing over much of the country, Saudi Arabia has a huge volumes of groundwater in eleven aquifers. These have been developed in the Eastern region mainly for irrigation purposes.

Saudi Arabia, to have advantages of the existence of water resources, it has established the dams, wells, loans to the farmers, facilitate the means of transportation, training, import fertilizers, the new technology began to replace the old that have been used for centuries, and a reorganization of the entire production sector began to occur.

Saudi Arabia began to make use of its coastal waters by means of desalination techniques to face the problem of towns situated in areas where groundwater resources cannot be easily tapped, also to keep on groundwater for agricultural use.

Though Saudi Arabia has succeeded to have good results, there are some problems facing the agricultural development as : 1) the problem of salinity in irrigated areas which exists in the soil if water is applied excessively, or in the absence of drainage. 2) the sandy soil areas which have a very low water holding capacity. 3) inadequate training of farmers and the shortage of Saudian agricultural labour, 4) soil erosion by surface water and wind, 5) the drifting sand dunes as in the Eastern region and Najd, 6) the soils except in the wadi vallays are seriously deficient in nitrogen and

phosphates, 7) the misuse of water resources, since the improved water use and soil management practices are needed.

The above problems must be in mind in the agricultural policy, to obtain the benefits of any efforts done in this field, and to have the advantages of the water resources existence in an arid area as in Saudi Arabia.

REFERENCES

1. Alexis Coumberas,
Arid land irrigation in Developing Countries,
London 1978.
2. A.P.A. Vink,
Land Use in advancing Agriculture,
Berlin 1975
3. Central Department of Statistics of Saudi Arabia,
Riyadh 1974
4. Central Department of Statistics, Statistical Yearbook of Saudi Arabia,
Riyadh 1979.
5. Chamber of Commerce,
Bourida, Qassim, unpublished reports.
6. Charles R. Goldman and others,
Environment Quality and Water Development,
San Francisco 1973.
7. Fredrick L. Motes,
Arid Land Irrigation in Developing Countries,
London 1978.
8. Reinrich Walter,
Vegetation of the Earth,
New York 1977.
9. John W. Goodwin,
Agricultural Economics,
Reston, Virginia 1977,
10. L. Arnon,
Crop production in Arid Regions.
London 1972.
11. L. Douglas James and Robert R. Lee,
Economics of Water Resources,
New Delhi 1971.
12. Ministry of Agricultural and Water,
A grade to Agricultural Investment in Saudi Arabia,
Riyadh 1979.

13. K. Holy,
Arid Land Irrigation in Developing Countries,
London 1979.
14. Marren J. Chrispeels and David Sadava,
Plants, Food, and people,
San Francisco 1977
15. Norman C. Walpole,
Aren Handbook for Saudi Arabia,
New York 1971
16. Beter van den Broek and others,
The Middle East,
Bristol 1977.
17. Peter Reardon,
Water Development in Saudi Arabia,
The Geographical Journal,
Vol. 145, part 1, March 1977
18. Ranton Knauerhase,
The Saudi Arabia Economy,
New York 1977
19. Saudi Arabia Monetary Agency,
Annual report 1981.
20. W. N. Fisher,
The Middle East,
London 1970



.

.

**AL - HARRA'AT AND LIKE PHENOMENA IN
SAUDI ARABIA AND YEMEN TERRITORIES**

M.R. MOHAMMAD

**Department of Geology, Faculty of Science,
Alexandria University, Moharram-Beh, Alexandria,
Egypt.**

ABSTRACT

This paper deals with the planimetric shapes and areas of the occurrences forming Al-Harrat and like phenomena, together with their distribution and orientation. The arabic name «Harrat», «Harrat», or «Harrat», plural «Al-Harrat» is referred to the nearly flat area covered by black to dark grey volcanic eruptions mostly of late Tertiary to Quaternary periods. They occupy a total area of about 101, 127.8 km² throughout the territories of Saudi Arabia and Yemen, concentrated mainly near the Red Sea coast. The axes of occurrences predominate by length and number in directions parallel to the axis of the Red Sea and in direction inclined by acute angles, up to about 40°, to the east and west of it.

The occurrences range, in planimetric area, from few to more than 20,000 km², accordingly they are classified into six size categories; huge occurrences of 10,000 km² and more), big (less than 10,000 to 5,000 km²), medium (less than 5,000 to 1,000 km²), small (less than 1,000 to 100 km²), minor (less than 100 to 10 km²), and the fine category (less than 10 km²). Occurrences are also differentiated according to their planimetric shapes into three main types, longitudinal; in which the length is more than 3.5 times the breadth, rectangular; length between 1.5 and 3.5 times breadth, and equidimensional. Other two shapes, stellar and fan shaped, are also distinguished. Most of the occurrences belong to the rectangular type.

Two extensive areas of intensive regional Tertiary-Quaternary volcanic activity are outlined throughout Arabian Peninsula; one covering more than 66,000 km² in the provinces of Al-Madinah, Makkah, and Ha'il (Saudi Arabia), and the second spreading over more than 45,000 km² in northern Saudi Arabia and neighbouring countries.

Few occurrences are found within the extreme southwest of Saudi Arabia. Many occurrences are scattered through Northern Yemen and the western part of Southern Yemen. Along the Gulf of Aden coast, occurrences are concentrated within four areas from Bab El-Mandab until Jibal Assud to the east.

The axes of occurrences in Yemen territory as a whole do not exceed the medium size while those in Saudi Arabia reach up to the huge size.

INTRODUCTION

Volcanic activity in the Arabian Peninsula had increased through the Tertiary and Quaternary periods (Beydoun 1966, Brown 1970, and Coleman et al . 1970-75) covering vast areas especially in western parts of the peninsula near the Red Sea . Historic eruptions has also been reported in south western Syria, in western Saudi Arabia, in Yemen, and in Palestine . Tertiary and Quaternary eruptions constitute mostly Al-Harra'at and like phenomena in Saudi Arabia and Yemen (northern and southern) . About sixteen names of Al-Harra'at are written in the regional maps of the studied territories (Figs. 1 & 2), but too much local names are mentioned in the historical and geographical arabic books and dictionaries (Al-Andalusy 1947, Al-Hamawy 1956, Al-Balady 1978, Al-Gasir 1981 . etc) in which more than eighty local names are mentioned just with their arbitrary locations . The same Harra may have more than one name and/or several names for each part of it in such publication.

Alkaline basaltic rocks, especially alkali olivine basalt, are the main constituents of Al-Harra'at and like phenomena (Coleman et al. 1970-75, Abed 1977, Al-Sayari and Zotte 1978), they are almost fresh to weakly altered dark fine grained volcanic rocks. The original rugged surfaces of eruptions are maintained in some exposures (Abo-Al-Haggag 1982).

This paper deals with general distribution, orientation, area, and shape of Al-Harra'at and like phenomena. The "like phenomena" comprise such occurrences that are similar to Al-Harra'at, as shown in the regional geologic maps, but are either nameless or with other names than "Harrah". The term "Al-Harra'at" will be used here as including such occurrences. Hundred and thirty nine occurrences are traced from the regional maps of the peninsula, mainly that of 1 : 2,000,000 (Brown and others 1963). They are numbered serially as shown in figures 1 & 2 and table I. The leitz A.S.M. "Image Analysis System" is used for measuring the areas of occurrences.

DISTRIBUTION AND ORIENTATION

Al-Harra'at occur mostly in the western sector of the studied regions near the Red Sea coast (Figs. 1 & 2). Most of the bigger occurrences exist in

the basement complex of the Arabian shield especially of Saudi Arabia, of which about 79,000 km² are covered by Al-Harra'at.

This area represents about 83% from the sum area of Al-Harra'at in Saudi Arabia and Yemen. The rest 17% is scattered mainly through the northwestern and southeastern parts of the studied territories, where they overlay Eocene and Miocene sedimentary rocks (Brown and others 1963). Smaller occurrences are almost scattered around or between the bigger ones as in Saudi Arabia (Fig. 1), occasionally they are concentrated in separated areas like that of Jibal Assud that contain 22 occurrences and Jibal As-Sawda that contain 5 occurrences, both areas occur in Yemen territory (Fig. 2).

The central parts of the Arabian shield comprise vast areas of Al-Harra'at, (about 70% from the sum), forming occurrences more or less close together. They may have been originally bigger or even twice their present areas and most probably connected together. This indicates an intensive Tertiary-Quaternary volcanic activity in this sector which includes the regions of Al-Madinah, Makkah, and parts of Ha'il (Fig. 6). Arab historians reported also a volcanic historic eruption in the extreme northern part of Rahat Harra at the eastern part of Al-Madinah (P. 1. 1). This eruption took place during 1250 A.D. (Abed 1977). Another area of intensive Tertiary-Quaternary volcanic eruptions is that occupied by Al-Harrah; a huge occurrence covering the extreme northern part of Saudi Arabia (Fig. 6) and extending through Jordan (Abed 1982) and Syria (Al-Egl 1974) with a total area of more than 45,000 km². This Harra is shown in few regional maps (Sir Julian Huxley 1978) as extending also into western Iraq.

Most of Al-Harra'at are in the plan view of longitudinal and rectangular types (Fig. 7-a & -b) with their long axes parallel to subparallel to the axis of the Red Sea. The lengths and directions of eighteen principal axes (the longest axis of each occurrence) (Figs. 1 & 2), are measured and plotted in azimuthal frequency diagrams (Fig. 3-a & -c). Average length of such axes is about 105 km. The linear trends developed by the arrangement of the volcanic peaks, plotted on the topographic and geologic maps of the peninsula inside Al-Harra'at, are considered as structural axes or lineaments (Figs. 1 & 2). Sixteen of such axes with average length of about 95 km are identified measured and plotted by the same way (Fig. 3-b & -c). Considering, as detected from the azimuthal diagrams of figure 3, that

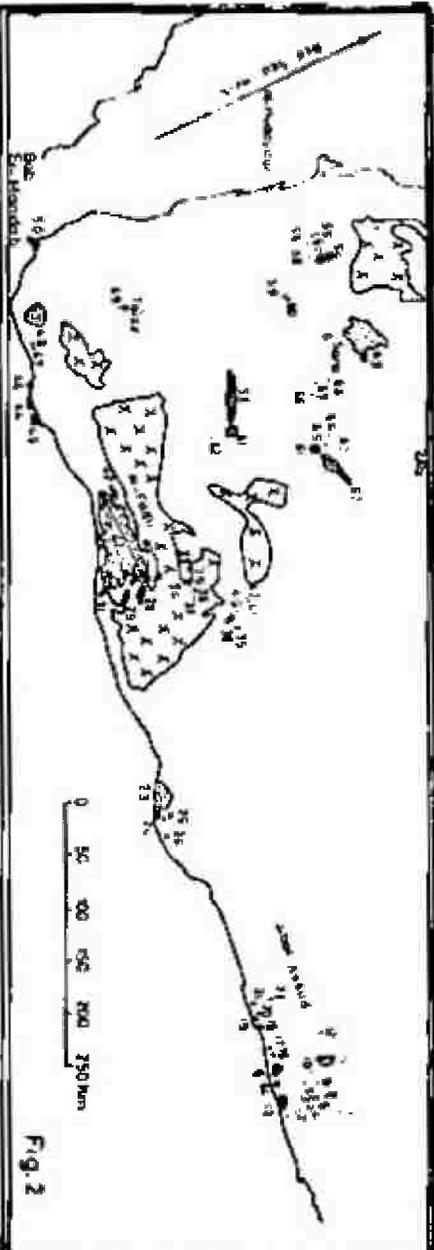


Fig. 2

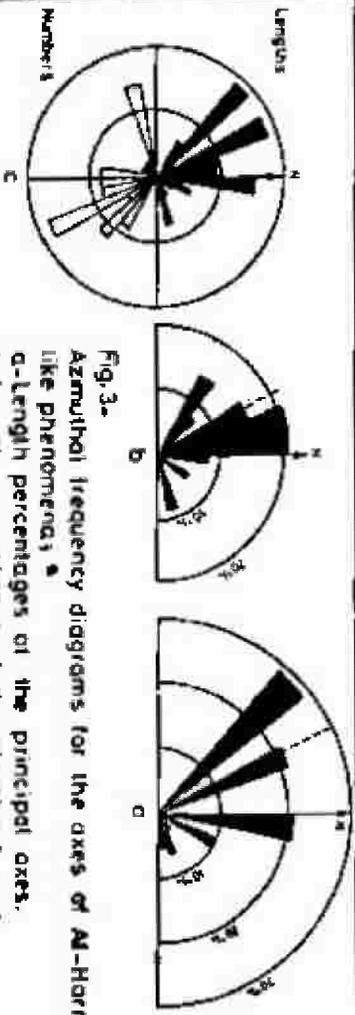


Fig. 3-
Azimuthal frequency diagrams for the axes of Al-Horriyat and like phenomena:
a- Length percentages of the principal axes.
b- Length percentages of the structural axes.
c- Length and number percentages of both principal and structural axes.

peaks of more than 10% may indicate local and/or regional significance, it is observed that :

- a) Peaks of about 15% to 18% of length and number are developed parallel or nearly parallel to the axis of the Red Sea.
- b) Peaks of about 15% to more than 20% are developed in directions (N-N 10°E) & (N-N 20°W) which are inclined to the axis of the Red Sea by acute angles up to 40°, or little more, to the east.
- c) Peaks inclined to the west of the Red Sea axis, by acute angle up to about 32°, are developed in directions (N 40° - 50° W) with length percent of about 18% to 28% and in (N 50° - 60° W) with about 15% length percent.
- d) A transverse number percent peak, approximately normal to the axis of the Red Sea, is developed in NEE direction (N 70° - 80°E) as shown in figure 3-c with smaller length percent peak, thus reflecting a relatively higher number of small elongated occurrences.
- e) The two peaks: (N-N10°E) and (N 40° - 50°W) forming conjugate directions enclosing acute angle of maximum 60° around the axis of the Red Sea (Fig. 3-c), are characterized by larger length percent and smaller number percent, reflecting the few bigger occurrences in the studied territories.

These predominant directions emphasize the interdependence between Al-Harra'at volcanoes, which are mostly fissure eruptions, and the tectonic of the Red Sea. The axes of Al-Harra'at are almost parallel to inclined by acute angle (up to about 40°) to the east and west of the Red Sea axis which is trending approximately N 28° W. The structural axes are almost of much harmony with the Red Sea axis more than the principal axes.

AREA AND SHAPE

The areas of the hundred and thirty nine occurrences shown in figures 1 & 2 are measured, recorded in table 1, and plotted also in the columnar diagrams of figure 4. According to these areas, Al-Harra'at are classified into six size categories as follows :

1. Huge category, includes occurrences of 10,000 km² or more in area. It contains four occurrences in Saudi Arabia, their total area equals nearly 67% from the sum area of occurrences in the studied territories.

2. **Big category**, includes areas less than 10,000 km² to 5000 km², it contains two occurrences in Saudi Arabia, with total area of about 13% from the sum in the studied territories.
3. **Medium category**, includes areas less than 5000 km² to 1000 km².
4. **Small category**, of areas less than 1000 km² to 100 km².
5. **Minor category**, of areas less than 100 km² to 10 km².
6. **Fine category**, includes all the occurrences less than 10 km².

Total areas and number of occurrences of each category with their percentages are summarized in table 2 and plotted in the columnar frequency diagram of figure 5.

- a) Area of Al-Harra'at in Saudi Arabia is much bigger than, about 15 times, that in Yemen. The huge and big categories appear only in Saudi Arabia, both together constitute about 80% by area from the sum in Saudi Arabia and Yemen territories.
- b) The number of occurrences in each category is roughly inversely proportional to its area; few occurrences constitute the higher categories (huge, big, and medium), while much occurrences constitute the smaller categories (small, minor, and fine).
- c) The minor category comprise the highest number percent of occurrences. Minor and fine together constitute about 73% from the sum number in Saudi Arabia and Yemen.

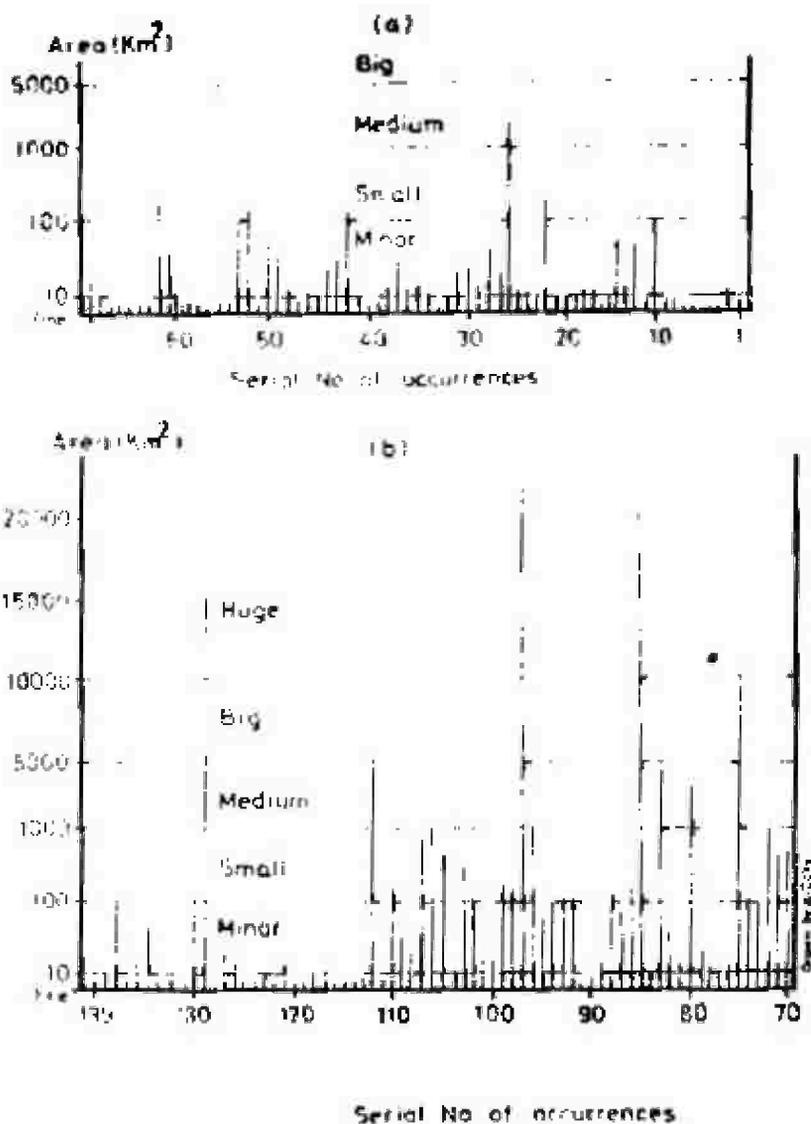


Fig. 4-
 columnar diagrams showing the planimetric areas of occurrences in Yemen (a) and in Saudi Arabia (b)-horizontal lines separate the proposed size categories (huge, big, medium, small, minor, and fine) (each with different vertical scale)

Table 1

The areas of Al-Harra'at measured by "Leitz A.S.M." :

A. In Yemen territory

| Serial number | Area km ² | Ser. no. | Area km ² | Ser. no. | Area km ² | Ser. no. | Area km ² /Ser. no. | Area km ² |
|---------------|----------------------|----------|----------------------|----------|----------------------|----------|--------------------------------|----------------------|
| 1 | 7.64 | 15 | 80.80 | 29 | 71.60 | 43 | 230.8057 | 3.10 |
| 2 | 13.4 | 16 | 11.68 | 30 | 27.00 | 44 | 51.6019 | 4.50 |
| 3 | 2.55 | 17 | 3.60 | 31 | 47.44 | 45 | 45.6019 | 6.70 |
| 4 | 3.12 | 18 | 18.84 | 32 | 38.20 | 46 | 11.4060 | 19.50 |
| 5 | 2.03 | 19 | 14.96 | 33 | 8.56 | 47 | 12.5061 | 67.60 |
| 6 | 3.12 | 20 | 9.68 | 34 | 2.70 | 48 | 6.2062 | 321.20 |
| 7 | 2.65 | 21 | 9.04 | 35 | 10.44 | 49 | 20.0063 | 4.68 |
| 8 | 3.40 | 22 | 10.92 | 36 | 24.80 | 50 | 58.0064 | 3.25 |
| 9 | 5.92 | 23 | 357.60 | 37 | 16.20 | 51 | 84.0065 | 5.00 |
| 10 | 8.10 | 24 | 11.04 | 38 | 55.80 | 52 | 5.5066 | 6.40 |
| 11 | 113.20 | 25 | 10.52 | 39 | 22.60 | 53 | 338.8067 | 3.80 |
| 12 | 9.20 | 26 | 14.00 | 40 | 6.88 | 54 | 106.8068 | 10.69 |
| 13 | 73.20 | 27 | 2664.00 | 41 | 4.80 | 55 | 6.3069 | 850.40 |
| 14 | 22.76 | 28 | 40.00 | 42 | 9.36 | 56 | 7.10 | |

B. In Saudi Arabian territory :

| Ser. no. | Area km ² /Ser. no. | Area km ² |
|----------|----------------------|----------|----------------------|----------|----------------------|----------|--------------------------------|----------------------|
| 70 | 689.00 | 84 | 13.24 | 98 | 280.00 | 112 | 7152.00126 | 29.00 |
| 71 | 476.40 | 85 | 20240.80 | 99 | 311.20 | 113 | 9.00127 | 37.70 |
| 72 | 1152.40 | 86 | 267.60 | 100 | 27.44 | 114 | 5.20128 | 4.00 |
| 73 | 125.60 | 87 | 90.80 | 101 | 30.88 | 115 | 6.60129 | 15227.60 |
| 74 | 120.80 | 88 | 176.8 | 102 | 121.20 | 116 | 4.20130 | 194.68 |
| 75 | 10832.50 | 89 | 26.36 | 103 | 552.40 | 117 | 36.00131 | 5.76 |
| 76 | 26.80 | 90 | 9.04 | 104 | 14.64 | 118 | 10.12132 | 14.80 |
| 77 | 15.60 | 91 | 3.74 | 105 | 652.40 | 119 | 5.28133 | 12.92 |
| 78 | 20.12 | 92 | 121.20 | 106 | 1165.84 | 120 | 5.60134 | 74.00 |
| 79 | 44.00 | 93 | 125.60 | 107 | 853.20 | 121 | 25.00135 | 25.88 |
| 80 | 3544.40 | 94 | 106.00 | 108 | 41.60 | 122 | 5.3136 | 10.76 |
| 81 | 26.20 | 95 | 79.20 | 109 | 64.80 | 123 | 7.6137 | 118.80 |
| 82 | 64.40 | 96 | 1056.40 | 110 | 269.60 | 124 | 8.72138 | 15.60 |
| 83 | 6264.00 | 97 | 21662.20 | 111 | 44.80 | 125 | 7.64139 | 113.60 |

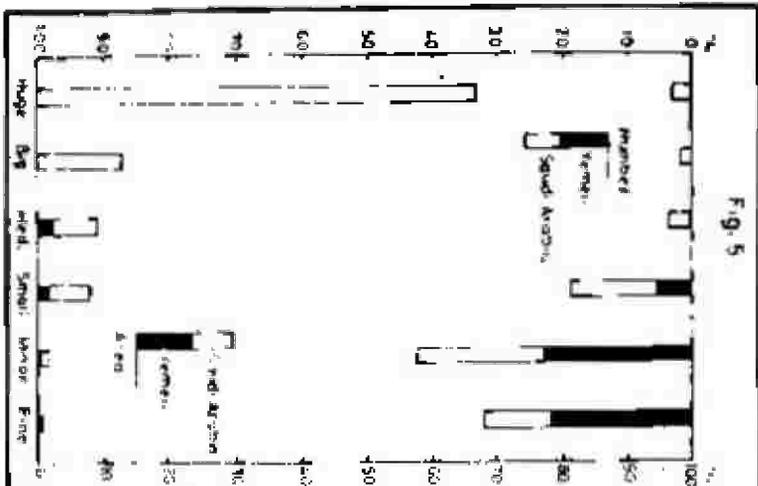


Fig. 5



Fig. 5
 Columnar frequency diagram showing percentages of total number and total area of occurrences in each size category

Fig. 6
 Regions of intensive Tertiary-Quaternary volcanic activity in Arabian Peninsula outlined by thick dashed lines

Fig. 6

Source: [illegible]

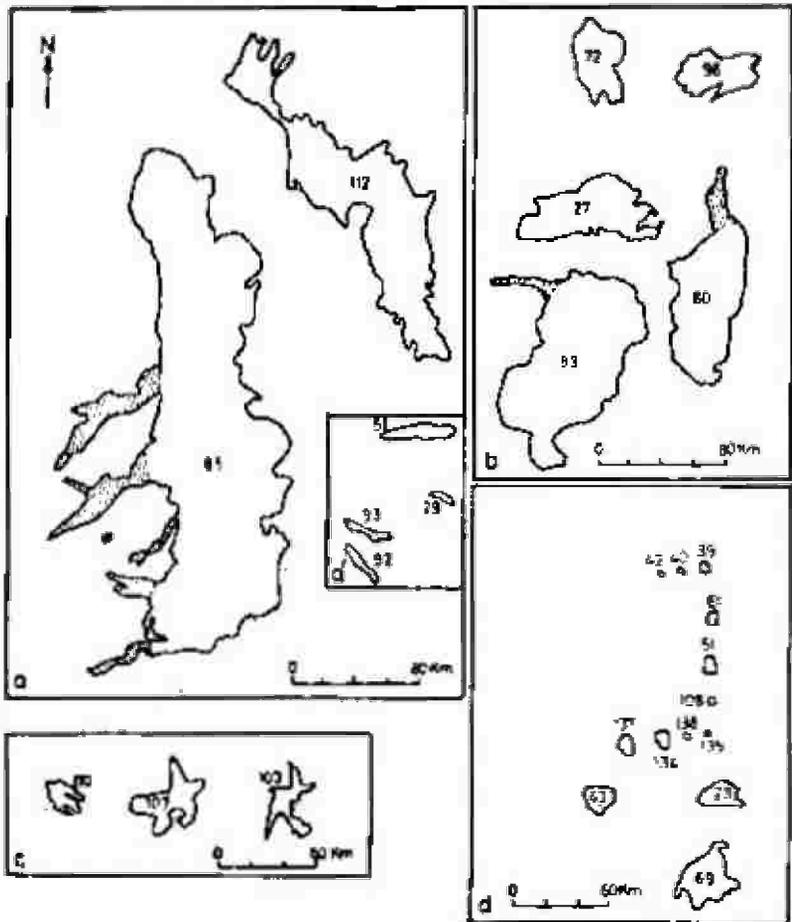


Fig. 7-
 Planimetric shapes of Al-Harraat and like phenomena; a & a'; longitudinal, b, rectangular, c, stellar and fan shape, and d; rounded to polygonal equidimensional. Side branches (stippled parts), especially of the large occurrences, are not considered. Each occurrence has its serial No as shown in Figs 1 & 2 and in Tab. 1.

Table 2

Classification of Al-Harra'at according to their planimetric areas shown in table 1 and fig. 4.

| Category | Country | No. of Occurrences | | Area of Categories | |
|----------|---------|--------------------|---------|-------------------------|----------|
| | | No. | Percent | Area (km ²) | Percent |
| Huge | Saudia | 4 | 2.9 % | 67963.10 | 67.2 % |
| | Yemen | | | | |
| Big | Saudia | 2 | 1.4 % | 13416.00 | 13.26 % |
| | Yemen | | | | |
| Medium | Saudia | 4 | 2.9 % | 6919.04 | 6.84 % |
| | Yemen | 1 | 0.7 % | | |
| Small | Saudia | 19 | 13.7 % | 5675.08 | 5.61 % |
| | Yemen | 7 | 5.0 % | | |
| Minor | Saudia | 27 | 19.4 % | 922.66 | 0.91 % |
| | Yemen | 31 | 22.3 % | | |
| Fine | Saudia | 14 | 10.1 % | 87.68 | 0.10 % |
| | Yemen | 30 | 21.6 % | | |
| Total | Saudia | 70 | 50.4 % | 94983.56 | 93.92 % |
| | Yemen | 69 | 49.6 % | | |
| Sum | | 139 | 100.0 % | 101127.81 | 100.00 % |

Al-Harra'at may also be classified according to their planimetric shapes into three principal types; longitudinal, rectangular, and equidimensional. The parameter for such types is considered to be L/B ratio, in which L represents the maximum length and B represents the approximate mean breadth of the occurrences. Transverse volcanic conspicuous branches, occasionally observed as extending from the big and huge occurrences, are disregarded when measuring B. It is proposed that the ratio L/B for the longitudinal type of occurrences should be more than 3.4, for the rectangular type; less than 1.5. The two variables; area and L/B are put in a

cross-tabulated contingency table (Table 3). The table is self-explanatory indicating that: a. Most of the occurrences belong to the rectangular type. b. Smaller occurrences (fine, minor and small categories) tend to be of equidimensional and rectangular types, this is indicated by the large number of them in such types. c. Bigger occurrences (big and huge categories) tend to be of the rectangular and longitudinal types of shape.

Table 3

Cross-tabulated contingency table for area by L/B showing number of occurrences and their frequencies in the six categories of area.

| L/B | | Equidimensional less than 1.5 | Rectangular 1.5-3.5 | Longitudinal more than 3.5 | Total |
|--------|-------|----------------------------------|------------------------|-------------------------------|-------|
| Fine | No. | 16 | 28 | 0 | 44 |
| | perc. | 36.4 | 31.3 | 0.0 | 31.7 |
| Minor | No. | 22 | 31 | 5 | 58 |
| | perc. | 50.5 | 36.9 | 45.5 | 41.7 |
| Small | No. | 5 | 17 | 4 | 26 |
| | perc. | 11.4 | 20.2 | 36.3 | 18.7 |
| Medium | No. | 1 | 4 | 0 | 5 |
| | perc. | 2.3 | 4.8 | 0.0 | 3.6 |
| Big | No. | 0 | 1 | 1 | 2 |
| | perc. | 0.0 | 3.6 | 9.1 | 2.9 |
| Huge | No. | 0 | 3 | 1 | 4 |
| | perc. | 0.0 | 3.6 | 9.1 | 2.9 |
| Total | No. | 44 | 84 | 11 | 139 |
| | perc. | 100.0 | 100.1 | 100.0 | 100.0 |

Other shapes of Al-Harajat that may also be identified include the "fan shaped" which distinguishes one small occurrence in northwestern Saudi Arabia, and the "Stellar or star shaped" which distinguishes, occasionally, a few of the small and medium size occurrences (Fig. 7-c).

ACKNOWLEDGEMENTS

I wish to thank the Department of Geography, Faculty of Arts, King Saud University, Ar-riyad, for providing the regional maps and giving facilities for measuring areas by the Leitz "A.S.M." instrument of the Department. I thank also Mr. A. Zaky in Faculty of Science, Alexandria University for the final drawing of maps and diagrams.

REFERENCES

- Abed, A.A. 1982 (in arabic) Geology of Jordan, Maktubat Al-Nahda, Al-Eslamiya, Amman, p. 225.
- Abed, Abdulkader M. 1977. 'Al-Medina harra (basalts), petrology and geochemistry'. Bull. Fac. Sci., King Abdulaziz Univ., Jeddah, 1. 119-128.
- Abu-Al-Haggag, Yousef. 1982. (in arabic). 'Geographical Observations in Western Arabian Peninsula'. Department of Geography, Kuwait Univ. Pap. 48. p. 36.
- Al-Andalusy, Abeid 1947. (in arabic). Dictionary of Vaguenesses, First part, Writing-Translating-publishing Committee press, Cairo, Egypt p. 447.
- Al-Balady, Atiq Ibn-Gheith 1978. (in arabic) Dictionary of Al-Higaz features. Dar Makkah for printing and publishing, Makkah, Saudi Arabia. p. 279.
- Al-Ecl, F. & Abd-Al-Rahman, A.H. 1974. (in arabic). Geology of Syria, Dar Al-Fikr, Beirut, p. 266.
- Al-Gasir, Hamad, 1981. (in arabic). In North West of the peninsula. Dar Al-Yamama, Al-Riyad, Saudi Arabia. p. 675.
- Al-Hamawy, yakout. 1956. (in Arabic). Dictionary of Countries, Dar Sadir for prin. And publ., Beirut, Lebanon. p. 3195.
- Al-Sayan, S.S. & Zol, J.G. 1978. Quaternary period in Saudi Arabia, Springer Verlag, Werlag, Wein New York, p. 334.
- Beudant, Z.R. 1866. 'Geology of the Arabian peninsula, Eastern Aden protectorate and parts of Dhufar'. U.S. Geol. Surv. prof. pap. 560-11, p. 49.
- Brown, G.F. 1960. 'Geomorphology of Western and Central Saudi Arabia'. 21 Int. Geol. Cong (Copenhagen) proc. Sec. 9, 150-159.
- Brown G.F. 1970. 'Eastern margins of the Red Sea and the Coastal structures in Saudi Arabia' phil. Trans. Roy. Soc. Lond. A. 267, 75-87.
- 1971. 'Tectonic Map of the Arabian Peninsula'. U.S. Geol. Surv., Saudi Arabia project Report 134.

- & Coleman, R.G. 1972. 'The tectonic Framework of the Arabian peninsula' 24th Int. Geol. Cong. (Canada) proc., Sec. 3, 300-305.
- & Others 1963. 'Geologic Map of the Arabian peninsula' compiled by the U.S. Geol. Surv. and the Arab. Americ. Oil Company; U.S. Geol. Surv. Misc. Geol. Inv. Map I 270A (1:2,000,000).
- Coleman, R.G., Fleck, R.J., Hedge, C.E. & Ghent, E.D. 1970-75. 'The Volcanic Rocks of Southwest Saudi Arabia and the Opening of the Red Sea'. Red Sea Research 1970-75, Bull. 22.
- Geokens, F. 1966. 'Geology of the Arabian Peninsula (Yemen)'. U.S. Geol. Surv., Prof. pap. 568B, p. 23.
- Sir Julian Huxley, F.R.S. 1978. The Earth and Man, World Atlas, Rand McNally and Company, New York p. 440.

